محاضرات في كنيسة الله

وليم كيلي

منشورات بيت عنيا

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

لمحة عن المؤلف وليم كيلي	٤
خلاصة المحاضرة الأولى	١٠
المحاضرة الأولى	١١
جسد المسيح الواحد :	١١
معاملات الله	١٢
الصليب	١٣
ابن الله	١٥
حالة الإنسان	١٦
الله والأمم	١٧
الكنيسة	١٧
دعوة الله لليهود والأمميين على السواء	١٩
الكل واحدٌ جديد في المسيح	٢١
العهد القديم والعهد الجديد	٢١
المسيحي قديس	٢٣
تعاليم جديدة	٢٥
وحدانية الروح	٢٥
كلمة الله للتمييز	٢٨
هوامش المحاضرة الأولى	٣٠
خلاصة المحاضرة الثانية	٣١
المحاضرة الثانية	٣٢
روح واحد	٣٢
تثبيت حقوق روح الله	٣٢
مفارقة: ما لم يتوقعه اليهود	٣٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إعلان النعمة والحق في المسيح	٣٤
بر الله	٣٧
الروح القدس "البارقليط "	٣٧
إتمام مواعيد الرب	٣٩
حضور الروح القدس: في الأفراد وفي الكنيسة	٤٢
اجتماعات المسيحيين تشهد على حضور الروح	٤٥
عمل الله في الأفراد	٤٧
الاعتراف بالكتاب المقدس وسلطته	٤٨
الكتاب ومشيئة الله	٥٠
خلاصة المحاضرة الثالثة	٥١
المحاضرة الثالثة: الجماعة والخدمة	٥٢
الجماعة والخدمة	٥٢
الذين يخلصون	٥٤
الكنيسة وليس الكنائس	٥٧
عمل الروح القدس	٥٩
العضو في الكنيسة	٦٧
الانتباه إلى حيل الشيطان	٧٠
الخدمة الحقة	٧٢
الجماعة والخدام	٧٤
الإيمان بالله	٧٥
خلاصة المحاضرة الرابعة	٧٧
المحاضرة الرابعة: السجود وكسر الخبز والصلاة	٧٨
ماهية السجود	٧٨
شروط السجود لله	٨٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ينبوع الحياة الأبدية	٨٢
السجود بالروح	٨٤
السجود الحقيقي	٨٥
السلام الكامل	٨٧
الشكر في السجود لله	٨٨
كسر الخبز	٩٠
الغاية من الاجتماع	٩٣
الاستحقاق والدينونة	٩٥
خلاصة المحاضرة الخامسة	٩٧
المحاضرة الخامسة: المواهب والوظائف المحلية	٩٩
المواهب مرتبطة بالمسيح	٩٩
خدمة بولس وبرنابا	١٠٠
التعيين الرسولي	١٠١
المؤهلات الأدبية	١٠٣
شرعية التعيين	١٠٤
واسطة توصيل الموهبة	١٠٥
مواهب أولاد الله	١٠٦
موهبة الخدمة	١٠٧
الكنيسة الأسقفية	١٠٩
الخضوع لكلمة الله	١١١
حكمة الله	١١٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لمحة عن المؤلف

وليم كيلي

مقتبسه عن كتاب ذكريات في حياة وليم كيلي وأيامه الأخيرة بقلم صديقه دكتور هيمان ريفورد Heyman Wreford حيث كان ينزل المؤلف ضيفاً عليه، وفي منزله رقد بيسوع في ٢٧ مارس عام ١٩٠٦.

خاتمة حياة مليم كيلي المكرسة التاعبة والطويلة كانت في ذاتها حادثة مست قلوب كثيرين من المؤمنين الذين ربطتهم به أعمق عواطف المحبة. فلقد كان وليم كيلي أحد عطايا المسيح الخاصة للكنيسة خلال نهضة القرن التاسع عشر – النهضة التي فيها تفتح الإدراك ووضح الحق ولمعت الشهادة، وفي خدمة سيده الذي امتلك قلبه، حسبه ربحاً أن يخرج منفصلاً عن كل شيء جاعلاً شعاره هكذا: "الإيمان بكلمة الله، والطاعة الحقيقية لها، والتكريس لشخص المسيح".

ولد وليم كيلي في Mill Isle Down في مايو ١٨٢١ وتلقى تعليمه في Down Patrick ثم في جامعة دبلن حيث نال أعلى مراتب الشرف في الآداب. وقد نشأ بروتستانتياً. وقد تجدد روحياً بعد تخرجه من الجامعة بقليل. ولما استقر به المقام في جزيرة سارك تعمق إدراكه للحرية المسيحية بوساطة سيدة من عائلة Acland قادته إلى ١ يو ٥: ٩ و ١٠ "إن كنا نقبل شهادة الناس فشهادة الله أعظم لأن هذه هي شهادة الله التي قد شهد بها عن ابنه. من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بابن الله فعنده الشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه". وتجده يشير إلى هذه الواقعة المفرحة في شرحه لرسائل يوحنا الذي نشره في أواخر أيامه. ولقد ظل وليم كيلي ملتزماً بالحق الذي وجده ووجد فيه شهادة الله في نفسه عن الخلاص والحياة الأبدية، وظلت قوة هذا الحق باقية معه إلى النهاية كما عبر عنها بنفسه قبيل رقاده إذ قال "إن الرب هو نور قلبي".

كان وليم كيلي في الرابعة والعشرين من عمره عندما تقابل لأول مرة مع يوحنا داربي، وكان قد استوعب هيكل التعليم الذي كان داربي يعلم به، وقد قبله كتعليم الروح القدس، وكان اكتشاف الخطأ التعليمي في اعتبار أن "الحقل هو الكنيسة" مفتاحاً للحق فأخذ يدرس بكل تدقيق أسفار الكتاب في السنوات اللاحقة حتى امتد نشاط إيمانه المسيحي إلى آفاق أوسع بكثير، وبالإيمان كرس مواهبه العظيمة وطاقاته الكبيرة لأجل خدمة المسيح.

كان وليم كيلي رجلاً علامة عميق الدرس والبحث، بليغ المنطق بلاغة نادرة مع سلامة الاستنتاج وقوة الإقناع وأصالة المبادئ وسمو الثقافة الروحية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وصفه كاتب فرنسي كانت له عشرة طويلة معه بقوله "وليم كيلي علامة محقق، منطقي في تفكيره، فيلسوف في تعبيره" كما وصفه كاتب ايرلندي "بأنه تلميذ فذ"، فقد ظل طالب علم كل أيام حياته. لم يكن نافراً معتزلاً، ولم يكن غامضاً. ومع أنه كان يواصل نهاره بليله في الدرس لكنه كان أيضاً يجد لذة عميقة في شركة المحبة المسيحية وفي الخدمة العاملة تبشيراً وتعليماً. ولقد كان موضع تقدير واحترام كبير من أعضاء لجنة مراجعة وتنقيح العهد الجديد بسبب تحقيقاته ومراسلاته المتميزة بغزارة العلم مع البعض منهم وكان يعتبر ترجمة داربي الجديدة للكتاب المقدس أكثر دقة من تلك المعروفة باسم Revised Version التي راجعها وأسهم بتدقيق في تصحيحها على صفحات مجلته التي تحمل اسم "خزانة الكتاب المقدس" الشهرية، والتي كان يعتبرها الكثيرون المجلة الوحيدة التي تستحق القراءة.

هذه المجلة ظهرت في سنة ١٨٥٦ وكانت مزدحمة الصفحات بكتابات شراح الإخوة الذين كان وليم كيلي أكثرهم لمعاناً وأغناهم حكمة روحية. هذه المجلة بما حوته من شروحات وتعليقات ودراسات تعليمية وموضوعات تعبدية كانت شهادة موثوقاً بها على مدى نصف قرن عن الحقائق المسيحية العملية المبعوثة من جديد. والحق أنها خدمة تحريرية فريدة في نوعها. وقد كان لقلمه منذ سنة ١٨٤١ نشاط من قبل ظهور هذه المجلة فقد نشر شرحاً لسفر الرؤيا في مجلة الأمل The Prospect التي كان يتولى هو تحريرها إلى غير ذلك من الموضوعات.

ولقد جمع وليم كيلي كتابات يوحنا داربي في المجموعة المسماة The Collected Writings of J.N.D. وهي تقع في أربعة وثلاثين مجلداً تضمنت محصول دراسات عميقة وبحوث مضنية لسنين طويلة، وفي لغات عديدة. وبهذا العمل أسدى وليم كيلي خدمة جليلة لكنيسة الله. وقليلون جداً إن لم نقل إنه لا يوجد أحد على الإطلاق قد أنجز مثل هذا العمل. كذلك اهتم وليم كيلي بإعادة نشر "ملخص أسفار الكتاب المقدس (The Synopsis)" بمجلداته الخمسة والتي كان يعتبرها وليم كيلي أفضل ما كتب داربي. على أنه كان يعتز جداً بكتابات داربي ويقدرها كثيراً ويروجها على أوسع نطاق كلما وجد لذلك سبيلاً. وكان في نفس الوقت يكنّ لداربي أعظم التقدير والإكرام، وإذا تكلم عنه فبعبارات تدل على عميق الحب والاحترام، ولو أن الشركة بينهما قد شابها بعض التصدع بعد خمسة وثلاثين عاماً من الصداقة السعيدة والخدمة القلبية المشتركة.

كان وليم كيلي يرى في داربي معلماً لا يدانى وحجة في شرح وتفسير الحقائق الكتابية التي طال بها العهد في طي النسيان. "اقرأ داربي" هكذا كان يقول وليم كيلي وظل يقولها إلى آخر أيامه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكتابات وليم كيلي هي موضوع اهتمام كل دارسي الكتاب ويقدر المؤمنون في كل مكان تعليقاته وشروحاته ويعتبرونها "عزاء وغذاء" جديرين بالاهتمام. هذه الشروحات بما فيها من تعليم وما تتميز به من سعة الأفق والتنوع ربما كانت بلا مثيل. ومحاضراته عن "سفر الرؤيا" هي مؤلف عظيم القيمة وعميق الفائدة الروحية. كذلك محاضراته عن "تعليم الروح القدس" وعن موضوع الأرواح "التي في السجن" وما كتبه عن "المجيء الثاني" و "شرح سفر اشعياء" (سنة ١٨٩٥) و "نبوة دانيال" و "شرح إنجيل يوحنا" (١٨٩٨) وشرح وسائل يوحنا وغير ذلك كثير مثل "في البدء" (١٨٩٤) و "المسيح مجرباً ومترفقاً" (١٨٧١) و "صلاة الرب" ١٨٥٠ و ١٩٠٠. والرسائل الرعوية. و "أعمال الروح القدس" ورسالتا كورنثوس ومحاضرات عن "كنيسة الله" ومذكراته على "رسالة أفسس" وما كتبه أخيراً عن "وحي الكتاب المقدس" – هذه جميعها تزيد الدارسين علماً وإدراكاً روحياً للحق وفهماً صحيحاً لشخص ابن الله وعمله. كما تكشف عن غزارة علم وقوة إيمان مصنفها.

والمؤلف الأخير "وحي الكتاب" قصد به إظهار البرهان الدامغ على سمو وعظمة الوحي الإلهي وكمال الإعلان المتضمن في الكلمة من بدايتها إلى ختامها.

هذا كله قليل من كثير كتبه وأذاعه وليم كيلي مما يعتبر بحق تركة غنية جداً للمجتمع المسيحي. وكلها تحمل طابع الكاتب القدير الموهوب الذي يكتب بأسلوب ينساب إلى قلوب القراء وضمائرهم، وهو في نفس الوقت لا ينحاز إلى طائفة معينة من المعلمين أو ينتمي إلى مدرسة بذاتها لها منهاج تعليمها، بل يتمسك بالإيمان بكلمة الله وبإرشاد الروح القدس. وهكذا يعلم المؤمنين.

كان هدفه تحقيق النمو في النعمة ومعرفة ابن الله وتجهيز اللبن "العديم الغش" للأطفال في الإيمان، و "الطعام القوي" للبالغين لأجل نمو الجميع "إلى أن ننتهي جميعاً إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملء المسيح". كذلك كان يسعى إلى توصيل فاعلية الكلمة إلى مفارق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، وتطبيق ما يتعلمه المؤمنون تطبيقاً عملياً، شهادة للمسيح ولأجل مجده. كان بين المؤمنين من "الآباء" إذ عرف الذي من البدء كما كان مرامه أن يعلم أناساً أتقياء لكي يكونوا قادرين أن يعلموا آخرين أيضاً.

وأغلب كتب وليم كيلي في شكل محاضرات. فإنه كمحاضر كان ممتازاً جداً. وإذا تكلم جهاراً كان خطابه سهلاً وفي نفس الوقت كان مؤثراً. لم يكن في كلامه يستعرض معلوماته وإنما كان يعطي تعليماً راسخاً وقوياً. وما أندر المناسبات التي كان فيها يكشف عن مكنونات قلبه وعقله فينبهر بها آخرون.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان ذا شخصية جذابة ولطيف المعشر، وحيثما توجه كان يتعب في خدمة الإنجيل بغيرة شديدة، كما كتب كثيراً وبتوسع عن مضامين الإنجيل. وكتبه: "مولودين من الماء والروح" و "الرسول في أثينا" إنما هي صفحات يستعرض فيها ما هو عمل المسيح وفعل النعمة وما في ذلك من بركة للإنسان ومجد الله. في هاتين النبذتين نجد أروع كتاباته التبشيرية.

كان يرى مثل مستر داربي أن الشعر (وليست الترانيم) هي مجهودات العقل البشري ليخلق بالخيال مجالاً لما وراء المادة، الأمر الذي يعطيه الإيمان كحقائق. مشيراً إلى شعر ملتون وتنيسون وكتابات كوبر الشعرية. وقد ذكر أن الشباب هم أكثر الفئات تأثراً بالشعر، حتى أن بعض المؤمنين لهم اهتمام بالشعر أكثر من حقائق الكتاب التي يمسك بها الإيمان.

كتب وليم كيلي بعض الترنيمات الجميلة التعبدية، وكثيراً ما كان يندد بضعف الإيمان عند المسيحيين إذا ما قورن بقوة وضخامة الإيمان عند الأوائل. وكان يتألم لتفشي الروح العالمية بين المؤمنين، وحاجتهم إلى التكريس وسعيهم وراء المادة، واتجاههم إلى الأمور العقلية. وكانت تعاليم البابوية تحز في نفسه وكان هدفه دائماً، كما شرح في سفر الرؤيا أن يخلص النفوس من تلك التعاليم. وكم كان أسفه لما لاحظه من عقبات تقوم ضد النور المسيحي في المحيط الجامعي وفي النظريات الإلحادية، وكان يخشى كثيراً على قادة المسيحية في المستقبل، وكان يعتبر أن الحاجة العظمى هي إلى الإيمان الحي بالله وبكلمته. قائلاً إن داود أظهر أفضليته على سيلمان بغلاوة تقديره لقيمة التابوت لأن الإيمان دائماً هو أفضل من الحكمة. وكان يقول أيضاً إن الحالة اللاودكية نشأت من احتقار الشهادة التي كانت لكنيسة فيلادلفيا – أي احتقار الحق الخاص الذي على أساسه تكونت تلك الكنيسة وهو حفظ كلمة صبر المسيح وعدم إنكار اسمه. ومرة قال لم أحدهم "أنك تستطيع أن تعمل لنفسك ثروة طائلة، ويمكنني أن أستخدم نفوذي لمساعدتك". فأجابه كيلي "هل لأجل هذا العالم أم للعالم الآخر؟ وماذا تستطيع أن تعمل لأجلي أكثر مما عمله الرب يسوع المسيح؟" إنه بكل أسلوب وبكل ثمن تجنب روح لاودكية.

انفصل كيلي عن الكنيسة الوطنية The Established Church عام ١٨٤١ وخرج إلى المسيح خارج المحلة حاملاً عاره. واستمر متمسكاً بالحق كل أيامه، وحتى بعد حدوث الانقسامات المحزنة فإنه لم يقطع شركته مع الأخوة المتقدمين الأوائل، لكنه بكل وسيلة تمسك بالمبادئ الأولى وكان قاسياً جداً في إدانة كل انحراف عن الحق سواء أكان كنسياً أو تعليمياً بين الأخوة أو بين أية جماعة غيرهم. كان ينذر كما كان يسند، وكان يوبخ كما كان يشجع، وكثيراً ما كان أسلوب التهكم المر هو سلاحه الفعال لتطبيق الحق.

ومن البدء حتى ختام حمل مشعل الشهادة العملية لحقيقة الجسد الواحد، ووحدانية الروح، والانفصال لاسم وشخص الرب يسوع المسيح، منتظراً مجيئه. وقد كان كيلي من أسعد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المؤمنين. لقد اختبر أحزان وأفراح الطريق، وقد كتب مرة يقول "وأخيراً فإن نصيبنا هو خفة الضيق إذا ما قورنت – لا أقول بآلام ذاك الذي ما تألم أحد مثله قط – إذا ما قورنت بآلام الرسول – وهو إنسان تحت الآلام مثلنا – فأية آلام بقيت دون أن يتألم بها من اليهود أو من الأمم أو من كنيسة الله؟"

ولقد تزوج في المرة الأولى من مس مونتجمري، وفي المرة الثانية من ابنة مستر جيبس من هيرفورد، وقد اتسمت الأخيرة بقدرات روحية وطبيعية وكانت عوناً لزوجها إذ ساعدته كثيراً. وتميزت مثله بانها كانت ضليعة في اللغات، وسعة الإطلاع، كما ترجمت حوالي نصف المزامير وقد ترجم كيلي الباقي وفي السنة الأخيرة نشرها كذكرى خاصة لزوجته. وقد رقدت في الرب في سنة ١٨٨٤.

كانت مكتبته تضم ١٥٠٠٠ مجلد، حوت صوراً طبق الأصل لمخطوطات للكتاب المقدس، وبلغات عديدة، كما ضمت فروعاً كثيرة في العلم والفلسفة والتاريخ، وتميزت بثرائها في كتب الأدب الكلاسيكي، والتاريخ الكنسي، واللاهوت وموضوعات نادرة لها علاقة بالأبحاث الكتابية. وقد أهدى مكتبته هذه إلى مكتبة في يوركشير لتكون عوناً لكثيرين في عمل الله.

ولقد كرس وليم كيلي وقتاً كثيراً وجهداً كبيراً للمراسلات، خادماً للجميع، متعلمين وجهلاء على السواء. وكل سطر خطه قلمه كان يحمل إرشاداً واضحاً وبياناً يعتمد عليه، ومشورة صادقة، وتشجيعاً مسيحياً. وجميع هذه كانت تصاغ في عبارات منتقاة ومعبرة. لقد كتب مئات من الخطابات وهي تشهد لهذه الخدمة التي كان يحرص على أن تحقق أكبر قدر من الفائدة، منفقاً فيها نفسه لأجل الرب وخير شعبه، تاركاً النتائج للرب وحده. ولكنه كان شاكراً دائماً لأجل الثقة ولأجل عواطف المؤمنين في كل مكان. وقد كان له أحباء معجبون به في الأوساط الاجتماعية الراقية وكان منهم كثيرون يحرصون على مطالعة كتاباته، وقد عرفوا فيه علمه الغزير وتفانيه وإخلاصه. فإن صداقة مثل هذا الخادم الأمين كانت امتيازاً. والثقة فيه كانت شيئاً غالياً. وكل من عرفه كان لا بد أن يحبه.

مرت الأيام والسنون السعيدة في خدمة غزيرة مثمرة إلى أن كان شهر مارس ١٩٠٦ وفي منزل صديقه الدكتور هيمان ريفورد في أكسينز حيث كان ينزل ضيفاً عزيزاً ليستريح بعض الوقت، هناك "رقد بيسوع" في اليوم السابع والعشرين من الشهر. وهكذا ختمت صفحات من الخدمة الفذة الفريدة في نوعها والتي سيبقى أثرها زماناً طويلاً في قلوب كثيرة مؤمنة.

ونقل جثمانه إلى مدافن شارلتون حيث دفن قريباً من جثمان زوجته الثانية التي رقدت في الرب في سنة ١٨٨٤.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في يوم ٣١ مارس ١٩٠٦ تم دفن الجثمان وقد التف حوله ما يقرب من خمسماية من أحبائه الحزانى. وصلى الدكتور ريفورد ثم رنم الحاضرون ترنيمتين: الأولى مطلعها "مع الرب كل حين" والثانية مطلعها "أمامك نجثو يا مخلص النفوس" ثم تكلم الدكتور ريفورد بكلمات مختصرة تعليقاً على أع ٢٠: ٢٥ مقدماً الشكر الكثير على عطية الله لكنيسته في وليم كيلي، ومعبراً عن حزنه لأنه لن ير وجهه أيضاً هنا، وقرأ ١ تس ٤: ١٣ – ١٨. ثم قرأ أحد الإخوة (مستر مور) مزمور ٩١: ١ مع عددي ١٦ و ١٧ من مزمور ٩٠ ذاكراً محبة وليم كيلي وتعبه لأجل الرب متذكراً من كلمات وليم كيلي "حقائق" كان يؤكدها قبيل رحيله إذ قال "إن الصليب حقيقة أكيدة، وعداوة العالم حقيقة أكيدة ومحبة الله حقيقة أكيدة أيضاً" ثم ختم المشهد بصلاة رفعها الكولونيل بيني (Binny) وانتهى حفل الوداع "إلى أن يفيح النهار وتنهزم الظلال".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خلاصة المحاضرة الأولى

(جسد واحد)

١- الفرق بين معاملات الله مع شعبه في العهد القديم وفي التدبير الحاضر. ٢- آدم. ٣- إبراهيم. ٤- إسرائيل كأمة. ٥- حالة جديدة ناتجة عن موت وقيامة المسيح. ٦- الجسد مكوناً من اليهود والأمم. ٧- الصليب يظهر خراب الإنسان خراباً كاملاً، ويرفع الحاجز لحرية عمل الله. ٨- أفكار الله تقوم في مجد ابنه. ٩- ظهور أول ظل لاتحاد الكنيسة بالمسيح قبل دخول الخطية. ١٠- أف ١ يرينا أن الله يعلن مشورات نعمته قبل ذكر خطية الإنسان. ١١- الصليب لا يسدد فقط حاجات الإنسان المتنوعة، بل يوحد اليهود والأمم في جسد واحد.
١٢- ومن ثم نرى إنساناً جديداً مخلوقاً. ١٣- ومسكناً استطاع الله أن يسكن فيه. ١٤- على أن المسيح كان وهو على الأرض هيكل الله الحقيقي. ١٥- ثم نجد أن حقيقة الجسد الواحد تسترعي التفات جميع المسيحيين. ١٦- والعلاقات البشرية والإلهية. ١٧- غرض الشيطان العظيم في تعطيل العمل الذي يجريه الله الآن في القديسين. ١٨- ونجاح ذلك الطاغية في نقطة ضعف الإنسان حيث يريد (الإنسان) أن يجعل نفسه شيئاً. ١٩- وعند هذه النقطة يسقط الإنسان فريسة لعمل العدو. ٢٠- مجد شخص المسيح كما يصرح به الروح القدس باعتباره نبع حياة وسيرة المسيحي. ٢١- الصعوبات الموجودة في طريق الجدل حول الكنيسة في زمان العهد القديم. ٢٢- المسيح رأس جسده بالقيامة. ٢٣- لذلك فالكنيسة سماوية كرأسها. ٢٤- كلمة "مسيحي" تعني أكثر من "قديس". ٢٥- مرامي الأناجيل والرسائل عن الجسد الواحد. ٢٦- عبيد وأولاد. ٢٧- اليهودي لم يكن في استطاعته أن يوفق بين العهدين القديم والجديد. ٢٨- الصليب أساس الإعلان الجديد. ٢٩- ما هي وحدانية الروح. ٣٠- لا يستطيع المسيحيون أن يتصرفوا بمقتضى هذه الوحدانية إلا حينما يجتمعون حول اسم المسيح. ٣١- نعمة الله في إحياء هذا الحق بمناسبة سرعة مجيء الرب الثاني.
٣٢- نصيحة للإخوة والأخوات الأحداث. ٣٣- كلمة الله هي القياس الوحيد. ٣٤- "العالم" "الذين الذين من داخل ... والذين من خارج". ٣٥- مركزي كمسيحي. ٣٦- الانفصال.
٣٧- ختام الخطاب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحاضرة الأولى

(جسد واحد)

(أف ٤)

جسد المسيح الواحد:

إن الخطاب الذي أريد بعون الرب أن أتكلم فيه هو الجسد الواحد أي جسد المسيح. على أنني لست أريد أن أتكلم عن الجسد الواحد كتعليم خطير وضعه الروح القدس في ثنايا رسائل العهد الجديد فحسب، بل أريد أن نقف على النتائج العملية لهذه الحقيقة، وتأثيرها على شركة وصفات كل عضو في الجسد – أي كل مسيحي.

وحتى نوضح المميزات الخاصة بجسد المسيح يجدر بنا أن نبين الفرق بين هذه المميزات وبين ما أعلنه الله أو وضعه للتدابير الماضية، إذ لا يخفى أن كان على الأرض أناس أحبهم تعالى، ولو أن الله كان أبداً يعمل فيهم بروحه القدوس، أجل – ومع أن الإيمان كان عاملاً لبركة النفوس – غير أنه توجد فوارق مهمة جداً، لو أن أحدنا تناساها إذن لخسر كثيراً، وأضعف شهادته أمام الآخرين، وفوق الكل: يقصر عن إدراك أعز شيء لدى قلب الله وهو مجده الخاص في المسيح.

وإذا ما تصفحنا العهد القديم فإننا نرى بوضوح أنه لما سقط الإنسان في الخطية تنازل الله فأعطى إعلانات خاصة للبركة، ترتكز جميعها على شخص الرب يسوع. وهذه الحقيقة نلمسها من بدء سفر التكوين: فلما دخلت الخطية لم يتعقبها القصاص العادل فقط بل تداخل النعمة أيضاً. ولما سقط أبوانا كان الله هناك، وعلى مسمع منهما، ونكاية بالحية، تكلمت رحمة الله عن ذلك الشخص المبارك الذي سنقرأ عن أمجاده العظيمة فيما بعد. وفي الوقت المناسب أعطى الله بصورة بارزة شخصية، بركات خاصة بإبراهيم وبنسله. غير أن إبراهيم لم ينل فقط مجرد إعلان الرحمة، بل امتلك وعداً صريحاً له ولنسله. أما في جنة عدن فقد كانت الحالة تختلف عن حالة إبراهيم. ففي الجنة سقط الإنسان – وواضح أن الإنسان الساقط لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصبح موضوع وعد الله. وإن كان قد حصل على وعد بالبركة إلا أنه لم يكن موضوع ذلك الوعد. وهناك فرق في حالة كل من إبراهيم وآدم عندما قبلا الوعد كل في يومه. فإبراهيم لم يكن – عند قبوله الوعد – مجرد إنسان ساقط، بل بالحري إنساناً مؤمناً، إذ قد كان الشخص المختار، المدعو، الأمين، الذي جعله الله مستودع الوعد. أما في حالة آدم فنرى أن الرحمة تداخلت، وبغض النظر عن حالة الإنسان واستحقاقاته قد أعلنت النعمة في شخص المسيح، وذلك عندما سقط آدم، وقبل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن تجري النعمة عملها فيه، لما فصل نفسه هو وحواء فصلاً تاماً عن الله. ويقدم لنا الكتاب نسل المرأة كمن له القدرة على إبادة ذاك الذي سبب تلك الغلطة العديمة الإصلاح. على أنها عديمة الإصلاح من وجهة المخلوق، أما من وجهة الله فقد قدمت له تعالى فرصة لإظهار نعمته الخاصة في مجد ذاك الذي سحق نفسه ليسحق رأس الحية.

معاملات الله:

وقد نتج عن الوعد المعطى لإبراهيم أن الله أفرز لنفسه عائلة قد أصبحت في الوقت المناسب أمة. وإذ امتلأت الأمة من الاعتماد على قدرتها، سر الله في حكمته أن يمتحنها بالناموس المعطى لها فوق جبل سيناء. إلا أن نتيجة هذا الامتحان لم تكن مجهولة مطلقاً واو أننا نرى أن الله تأنى فيه. فقد كان أنه عند الجبل الذي تكلم فوقه الله، قد ازدرى بنو إسرائيل بسلطانه ومجده تعالى، وسجدوا لعمل أيديهم. وبذلك أصبح الناموس الذي هو بمثابة مطاليب الله الأدبية من الإنسان منقوضاً من أساسه. وقد تمهل الله كثيراً إلى أن جاء الوقت الذي نفذ فيه مقاصده بكل صورة ممكنة. وآخر تجربة كانت مجيء المسيح – نسل المرأة، وابن الموعد أيضاً – الذي كان المقصود من كل الإعلانات، والمواعيد، والمعاملات، والرموز، ونبوات الله. فقد جاء ذاك الذي وجد فيه كل ما أرضى الله ووافق الإنسان. على أن مجيئه قد أظهر تلك الحقيقة المرعبة وهي أن الإنسان ليس فقط فاسداً في ذاته، وساقطاً بحسب إرادته. بل ويكره الصلاح الإلهي الذي أظهر في إنسان. فقد أظهر عداءه لله عندما أعلن ذاته في تلك الحالة المباركة في شخص ابنه العزيز. أجل – أظهر له عداءه لما أعلن نفسه – لا بالقوة فقط، إذ من المعلوم أن الإنسان الأثيم يرتعب من القوة المقدسة – بل بالمحبة الكاملة، آتياً في جسد الاتضاع، واضعاً نفسه عند قدمي الإنسان واعظاً إياه أن يقبل إليه ولا يقل واحد أن هذا كلام من منتجات العقل البشري بل هي كلمة الله التي تقوله وهاك قولها "إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة. إذن نسعى كسفراء عن المسيح كأن يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله. لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" فمحبة الله التي اتجهت نحو الخطاة لتعظهم أن يأتوا إليه كانت المظهر التام للنعمة الإلهية الظاهرة في شخص المسيح. على أن هذا ما كان من ناحية الله أما ما كان من ناحية الإنسان فإنه برهن على أنه ليس بمقدوره أن يحرر نفسه بأي وسيلة من الوسائل التي وضعها الله تحت تصرفه وبرهن أيضاً على أنه لو كانت مسألة خلاصه متروكة له (بغض النظر عن الرحمة والبركة والنعمة الكاملة العميقة التي ظهرت في شخص حي كربنا يسوع) إذن لضل تماماً، بل ومات في الخطية. لأنه بدلاً من أن تربحه محبة الله ازدرى بها إذ عندما وضع يسوع نفسه عند قدمي الإنسان رفع الإنسان عقبه وداس يسوع ابن الله.
ومع أن الإنسان – تحت قيادة الشيطان الضالة الغادرة – رفض المسيح وصلبه، إلا أن الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تداخل ولم يعلن فقط محبته (ويا لها من محبة صادقة) بل صنع للإنسان فداء سدد حاجات جميع الذين صلبوا ابنه ربنا يسوع – فداء استطاع أن يمحو أعظم خطية صدرت من الإنسان. وبذلك انتصر الله في الوقت الذي كان الإنسان يعمل كل أمر رديء ضده تعالى.

على أن هذا ليس الكل: ففي معاملات الله السابقة – لما أعطى الشريعة – فصل الأمة التي اختارها ودعاها من مصر، مفرزاً إياها عن سائر الشعوب، مميزاً إياها بكيفية بارزة جلية عن تلك الشعوب. وقد كان ذلك الانفصال ضرورياً حتى لا يشكو الإنسان من عدم عدالة الامتحان إذ أن القدوة الفاسدة التي قدمها من حولهم كانت تقودهم بالطبع إلى الضلال. لأجل هذا السبب، وبذلك الناموس وتلك الطقوس ميزهم عن الآخرين. وإزاء هذه الحواجز كان اليهودي يرتكب خطية عظيمة إن هو دخل في شركة مع الأممي مهما كان تقياً وراغباً في احترام شريعة الله. لا شك أنه كان مسموحاً قبول الأممي الراجع من الأممية، ومع ذلك فقد كان في كل نظام معاملات الله مع الأمة الإسرائيلية بواسطة الناموس، انفصال صريح مطلق لشعبه عن كافة الشعوب. على أنني لا أتكلم هنا عن سوء استخدام هذا الانفصال، وعن تأثيره على قلب الإنسان الفاسد ضد الآخرين – إذ قد آل سوء استعماله إلى تكبر قلب الإنسان فاحتقر الآخرين لسبب حالتهم المهملة من الله، إلا أنه بغض النظر عن سوء استعمال إسرائيل لذلك الانفصال، فقد كانت أمانة الله تستدعيه إذ فيه كانت مشيئته تعالى. فقد أثبت الله للعالم أجمع ذلك الحق المؤلم المذلل وهو أنه لو فازت أمة بمثل ما فاز به إسرائيل من رحمة وامتيازات نادرة، وحكمة أدارت مرافق حياتهم الخارجية والداخلية إذن لكانت النتيجة ازدياد العداء ضد الله نفسه.

الصليب:

على أن موت المسيح وقيامته أنتجا حالة جديدة من كل الوجوه. ولا ريب في أن جميع المسيحيين يسلمون بصفة عامة بهذا الأمر من حيث مطابقة عمل المسيح لحاجة النفس. ولا نظن أن مسيحياً له ولو اليسير من الفطنة الروحية، لا يعترف بخطورة أهمية صليب المسيح لحاجته الخاصة بالنسبة لمقامه أمام الله، اعترافاً واضحاً مشفوعاً بتشكرات قلبه. قد يكون ضعيف الشعور بالعتق الكامل، وقليل التمتع بالسلام التام الذي صار له بدم ربنا يسوع المسيح المهراق فوق الصليب، ومع ذلك فهو متمسك بهذا الحق، متمتعاً بنتائجه، شاكراً الله لأجله.

إلا أن الصليب لم يسدد حاجة الخاطئ فقط من جهة خلاص نفسه، بل هناك أعظم. لذلك أحب أن ألفت نظر القارئ إلى الإصحاح الثاني من رسالة أفسس حيث يوضح لنا الروح القدس مركز الصليب يف معاملات الله. فنقرأ في ذلك الإصحاح قول الرسول "ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح. لأنه هو سلامنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط. أي العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به" ومن هذه الأعداد يتضح لنا أن الصليب ليس هو فقط أساس سلام النفس بل هو أيضاً الأساس الذي يرتكز عليه "الجسد الواحد" الذي يصنعه الله الآن لنفسه من اليهود والأمم. وهذا نراه بوضوح إذا رجعنا بتأملنا في حياة ربنا المبارك وهو على الأرض. إذ نقرأ انه حذر تلاميذه من أن يمضوا إلى طريق أمم، أو يدخلوا مدينة للسامريين – ليس لنقص في محبة سيدهم، إذا لم يحصل أن قلبه المحب لم يعطف على أولئك السامريين المرفوضين، ولم يحصل أنه لم يعظم إيمان ذلك الأممي الذي قال عنه أنه لم ير في إسرائيل إيماناً مثل إيمانه – نعم وهذا ولا ذاك، بل كان على التلاميذ أن يذهبوا فقط إلى خراف بيت إسرائيل الضالة – تلك الخراف التي لأجلها فقط جاء المسيح والتي لأجلها فقط يجب أن يذهبوا هم أيضاً. ومع أن قلب المسيح كان مملوءاً بالنعمة إلا أننا نراه له المجد يحافظ تماماً على ترتيب الله المقدس الذي كان يطالب به الناموس. فقد كان الناموس يطلب حالة تختلف كل الاختلاف عما هو موصوف في أف ٢. وحتى في مدة وجود الرب على الأرض كان هناك حاجز قوي يمنع رسمياً اختلاط اليهود بالأمم – الأمر الذي قد زال بعد موت السيد وقيامته وأصبح اتحاد الأمم واليهود ليس فقط مجرد واجب بل سرور المحبة والصدى اللائق لموت المسيح وقيامته في نفوس القديسين (انظر مت ٢٨: ١٩) ولكن قد يقول قائل: وكيف تم ذلك؟ وعلى أي أساس حصل هذا التغيير الهائل؟ الجواب: على أساس الصليب – الصليب الذي أظهر عدم نفع الإنسان – المتدين صاحب الامتيازات النادرة تحت حكم شريعة الله. لأنه إذا كان الإنسان قد خاب تحت الناموس المعطى من الله فأي ناموس آخر ينفع يا ترى؟ فقد كانت شريعة الله أحكم الشرائع وأحسنها، وأقدسها، معاملة عادلة ممكن أن تتفق مع حالة الإنسان الطبيعية، ومع ذلك فقد أظهرت تمام خراب الإنسان. وتبارك اسم إلهنا: فلقد كان يعرف جيداً هذه النتيجة حتى أنه تعالى احتاط إليها فذكر في أول أسفار الكتاب المقدس وفي ذات نصوص الشريعة كما في سائر الأسفار بكلمات واضحة جلية أن الإنسان لابد أن يخطئ وأنه لا يوجد من ينفعه غير المسيح بسفك دمه فوق الصليب. ونرى في عدن شهادة جميلة لهذين الوجهين: فالمسيح كان ولا يزال محط رجال الإيمان. ومع ذلك نرى أن الله المنفرد وحده بالحكمة قد امتحن الإنسان في صبر كثير وطول أناة لعله يري منه شيئاً صالحاً. ولكن صليب ربنا يسوع قد أظهر تماماً أن كل ما في الإنسان إنما إلى الخراب تماماً. ولله الحمد، فإن في الميدان متسعاً لنعمة الله لكي تعمل لخير الإنسان. ويسرني أيها الأعزاء أن أتحدث إليكم قليلاً عن هذا الموضوع:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ابن الله

قد تأملنا في ما مضى في تاريخ الإنسان الأول، ورأينا ما كان عليه وهو تحت مسؤولية العمل لله. والآن نود أن نتأمل قليلاً في الله عندا استخدم قوته العظيمة لتعمل – ليس لمجرد خير الإنسان بل – لمجد ابنه الوحيد العزيز. إذ لا يجب أن يغيب عن بالنا أننا لن نحصل على ملء البركة إلا إذا عرفنا هذا الحق الخطير وهو أن قلب الله لا يعز أحداً مثل ابنه، ولا يفكر في أحد إلا فيه. فلا في خيرك وخيري أيها القارئ، ولا في بركة محبيه ولا حتى الأعداء إذا تابوا – بل في ذلك الابن العزيز الذي عليه تستقر عيناه، والذي لاقى ما لاقى لمجد أبيه، وربط ذلك العمل الإلهي المجيد بالبركة التامة الغنية الأبدية للذين يؤمنون باسمه المبارك. ودعنا أيها القارئ نمعن النظر ملياً في نتائج الصليب – ذلك الصليب الذي ظهر فيه ضعف الله!! الله نفسه المتنازل بفرط المحبة ليس فقط ليطلب إلى الإنسان أن يتصالح معه، بل ليضع حمل الخطية الثقيل على ربنا وسيدنا يسوع وبذلك سدد حاجة الخطاة في ابنه الذي تألم لأجلهم – نعم في ذلك الصليب دعنا نتأمل. ففيه نرى أن المسيح قضى على الخطية بضربة الموت إذ "أبطل الخطية بذبيحة نفسه" وبالصليب أيضاً أزال الله جميع الفوارق التي كانت بين اليهود والأمم، ونفذ غرض قلبه السامي الذي كان في مشوراته وعلمه السابق. ليس منذ تأسيس العالم فقط بل من قبل تأسيسه أيضاً – تلك الرغبة التي كانت في قلبه المحب قبل إعطاء الناموس وقبل سقوط الإنسان. ومما يدعو للعجب أن الرمز الحلو الذي طبقه الرسول في أفسس ٥ على سر المسيح والكنيسة، وكان قد أدخله الله قبل دخول الخطية (تك ٢) (أعني أن مشورة الله من جهة تكوين جسد لابنه كانت سابقة لدخول الخطية) وفي الحقيقة قد كانت مشورة نابعة من قلب الله الممتلئ بالمحبة – نعم – قلب الله من حيث هو تعالى في صفاته الإلهية. لاشك أ، دخول الخطية قد أعطى لله فرصة حتى يظهر نعمته بطرق مباركة. ولكن يجب ألا يغرب عن ذهننا أن الله تعالى كانت له في نفسه أفكار النعمة ومشوراتها المحتومة.

ولاحظ أيضاً أيها القارئ أن الروح القدس يذكر في سفر التكوين مشورات الله قبل أن يذكر شيئاً عن خطية الإنسان، وهذا التطبيق عينه نراه مذكوراً في أفسس أي أن فكر الله من جهة المسيح والكنيسة سابق لذكر جهالة الإنسان وخطيته وعاره وفقره. فالأول مذكور في ص ١ والآخر مذكور في ص ٢. ذلك الإصحاح الذي يوضح بطريقة عجيبة يندر أن إصحاحاً غيره يوضح بها ما أوضحه هذا من حيث تعمق الإنسان في الشر. على أن هذا ليس فكر الله الأول، إذ نقرأ في أفسس ١ قول الرسول "مبارك الله وأبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة" وإن كان الرسول قد أشار في العدد السابع من ذلك الإصحاح لقديسي الله المباركين ولا ذرة من الخطية إلا في تلك الإشارة العرضية التي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تخبرنا بحاجتنا إلى الفداء غفران الخطايا. ومعنى ذلك أن العمل كان من الله شخصياً وقد نفذه في ابنه المحبوب قاصداً به مجد ذلك الابن العزيز الوحيد الذي وهو كل مسرة قلبه أعطاه الآب كل المجد والكرامة، مقدماً له من فيض محبته الغزيرة ما يناسب مقامه السامي مما غمر القديسين الذين هم جسد المسيح كما يصفهم الرسول في نهاية الإصحاح الأول. وما أعجب أيها القارئ تلك الطريقة التي يبتهج الروح القدس أن يعلن بواسطتها مشورات النعمة!!

حالة الإنسان:

على أننا عندما نتقدم إلى الإصحاح الثاني نرى أن الروح القدس يبحث في حالة الإنسان بحثاً مستفيضاً. فيرينا في الإصحاح الإنسان في كفة الميزان فإذا به ناقص كما تظهر هذه الحقيقة في سائر أجزاء الوحي. غير أن إصحاحنا يمتاز عن غيره بأنه يعلن الإنسان ليس فقط كعامل حي يعيش في الخطية، بل كميت في الذنوب والخطايا، - هالك بلا رجاء – فاقد القوة في خطاياه – وبالإجمال قد أغلق عليه تماماً في هذه الحالة. ولكن تبارك اسم إلهنا فقد وجه نعمته في القوة السماوية التي أحيت المسيح وإقامته نحو هذا الإنسان الساقط – المائت أدبياً – والخاضع للشيطان.

ويعود الرسول ويكرر ذكر صليب المسيح في نهاية أفسس ٢ – ليس من جهة علاقته بمشورات الله كما جاء في الإصحاح الأول، ولا من جهة علاقته بحاجة أولئك الذين هم موضوع تلك المشورات كما جاء في أول الإصحاح الثاني، بل نم حيث المقارنة بينه وبين معاملات الله السابقة. فقد كان الله قديماً لا يهتم بالأمم الذين هم موضوع تلك المشورات كما جاء في أول الإصحاح الثاني، بل من حيث المقارنة بينه وبين معاملات الله السابقة. فقد كان الله قديماً لا يهتم بالأمم الذين كانوا خارج دائرة عمله تعالى، بل إسرائيل ذلك الشعب الذي أفرزه ليكون خاصته. أما الآن فبالصليب أصبح يكلم الأمم، وبالصليب أيضاً أعلن لهم الإنسان الجديد وسر المسيح والكنيسة التي هي جسده. نعم – قد كانوا كضائعين. ليس لأن عناية الله الخفية أهملتهم، ولا لأن نعمته تعالى لم تعمل لصالح الأفراد منهم، بل نهم بصفتهم أمماً كان مغلقاً عليهم. أما الآن فقد أصبحوا غرض النعمة الإلهية وصارت الدعوة ترسل إليهم عالية شاملة. وليس معنى هذا أنهم هم فقط الذين أدخلهم الله إلى الكنيسة (إذ هي تضم اليهود أيضاً) بل إن الله استحسن أن يقربهم إليه قرباً يختلف عن حالتهم التي كانوا عليها قبلاً ليعلن لهم بوضوح تلك البركات التي تقدمها نعمته الغنية لهم ولليهود في المسيح الرب. وفي ذلك يقول الرسول "لذلك اذكروا أنكم أنتم الأمم قبلاً في الجسد المدعوين غرلة من المدعو ختاناً مصنوعاً باليد في الجسد. إنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح أجنبيين عن رعوية إسرائيل وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم وبلا إله في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العالم. ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح. لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً".

الله والأمم:

ومن هذا القول نتعلم حقيقة أخرى وهي أن الأمر لم يقتصر على أن الله قرب الأمم إليه تعالى فقط، بل إن الأمم واليهود الذين يؤمنون أصبحوا جسداً واحداً لأن المسيح قد أزال حائط السياج المتوسط قاتلاً العداوة بجسده "مبطلاً ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً" فليست المسألة مجرد حياة جديدة بل حالة جديدة لم تكن من ذي قبل وهي أن المسيح والكنيسة يكونان "إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويصالح (أي المسيح) الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به. فجاء وبشركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين". قد كان الأمم بحسب تدبير الله بعيدين جداً وكان اليهود قريبين، أما الآن فقد تغير الحال كل التغيير. ونلاحظ أن المسألة لم تصبح أن الأمم الذين آمنوا تساووا مع إسرائيل في امتيازاتهم، بل أن هناك "إنساناً واحداً جديداً" ليس فيه يهودي أو أممي، إذ قد انتقل كلاهما من حالته السابقة إلى مركز جديد مبارك – إلى الاتحاد في المسيح، الأمر الذي لم يكن موجوداً من قبل إلا في مشورات الله.

الكنيسة:

هذه هي الكنيسة جسد المسيح، وهذا هو العمل الذي يتممه الله. فلا يخلص النفوس فقط، بل ويجمعها أيضاً، وليس فقط يجمعها إلى واحد، بل هو يجعل اليهود والأمم المؤمنين (وهم على الأرض) إنساناً واحداً في المسيح وجسداً واحداً لشخصه المبارك. حالة كانت قبلاً حسب وصية الله أمراً ممنوعاً منعاً باتاً.

ونرى في نهاية هذا الإصحاح حقاً آخر مرتبطاً مع الكنيسة فقط أشير إليه في سياق كلامي. فالروح القدس لا يخبرنا فقط عن تكوين جسد واحد في المسيح بل عن وجود مسكن على الأرض يسكن فيه الله. ومع أن موضوع سكنى الله ليس ضمن محاضرتي هنا، إلا أنني لا أقدر أن أحرم نفسي من لذة ذكر بعض الكلمات عن هذا المركز العجيب الذي أعطاه الله للكنيسة.

وقبل كل شيء ليلاحظ القارئ أنه لم يكن في العهد القديم بناء أو مسكن لله إلى أن وجد ما يرمز إلى الفداء. فبغض النظر عن رحمة الله وتنازله للذين أحبهم نرى أنه تعالى لم يقدر أن يسكن مع الإنسان إلى أن وضع الأساس الذي بمقتضاه قدر أن يسكن معه بالبر – وهذا الأساس هو سفك الدم. ولو تصفحنا سفر التكوين لما وجدنا فيه كله إشارة إلى أن الله سكن مع الناس، أو أنه تعالى وعدهم بأن يسكن معهم. ولكن بمجرد أن سفك دم خروف الفصح،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعبر إسرائيل البحر الأحمر نقرأ أنه صار لله مسكن في وسط شعبه. ولا يعزى السبب في سكنى الله إلى تحسن في حالة الشعب. لأن هذا محال، إذ لو قارنا إسرائيل الذي عبر البحر الأحمر بإبراهيم أو إسحق أو حتى يعقوب لوجدنا الفرق عظيماً. ومع ذلك نرى أن الله الذي يزور الآباء مجرد زيارة أصبح بعد الفداء يسكن بين البنين ويضع لسان أحدهم أن يقول "أجد مقاماً للرب مسكناً لعزيز يعقوب" وكيف تم ذلك؟ آه أيها القارئ فإن قليلين منا من يقدرون التغير العظيم وأثر الفداء العجيب حق قدرهما! فالمسألة ليست مقارنة بين الأفراد وبعضهم، أو بين يمانهم وأمانتهم، بل هي مسألة تقدير الله للفداء، وقد أظهر لنا أنه حتى لو لم يكن سوى أمراً إعدادياً، ومع انه كانت فيه علامة صريحة منظورة توافق شعباً أرضياً، ولكن الحقيقة الواضحة التي نراها منقوشة على تاريخ إسرائيل كالنقطة المركزية لبركتهم هي أن الله تنازل لأن يسكن في وسطهم (خر ١٥: ٢، ١٣، ١٧، ص ٢٩: ٤٣ - ٤٦).

على أن هذا الأمر قد أصبح للكنيسة على الأرض أغزر بركة وأكثر غبطة من ذلك العهد القديم. فقد سر الله أن يجعل شعبه على الأرض مسكناً له تعالى. ولكن يجب أن نفهم أن هذا لم يحصل قبل الصلب بل بالحري بعده. فقد جاء الله في شخص المسيح إلى الأرض، ولكن المسيح بقي وحده باعتباره هيكل الله الوحيد الحقيقي بدليل قوله له المجد "انقضوا هذا الهيكل" ولكنه بعد أن مات وقام، حدث شيء جديد، فقد أكمل الفداء ولذلك استطاع الله أن ينزل بالقداسة والبر اللذين يتفقان مع صفاته الخاصة ويسكن في شعبه. ليس لأن قديسي العهد الجديد أحق في ذاتهم بسكنى الله فيهم من قديسي العهد القديم، كلا! فإن من يعرف نفسه ويعرف الفداء يدرك أن هذا فكر فاسد لأن الطبيعة البشرية لا تصلح لشيء أمام الله، وأن الجسد وكل ما يدعو لافتخاره لا حيثية له في محضره تعالى، بل "من افتخر فليفتخر بالرب".

على أن هذا ليس الكل: فلم يصر لنا فقط رب نفتخر به بل فداء حقيقي فعلى المسيح بدمه. وما أعظم تقدير الله لدم ابنه الكريم، بل ما أعظم شعوره نحو الذين رش عليهم هذا الدم بالإيمان وأصبحوا به مغتسلين. ألا يحق أن يقول فيهم كما قال في إسرائيل بلسان الحال "الآن أنزل وأتخذ مكاني في وسطهم"؟ هذه هي في الواقع ناحية غالية من نواحي الكنيسة التي هي الآن مسكن الله بكيفية خاصة. لذلك يسميها الروح القدس في مواضع مختلفة من الكتاب "بيت الله" و"هيكل الله" على أن موضوعي ليس البيت بل "الجسد" لذلك لا أطيل الكلام عن البيت.

ومن ثم نجد أن الروح القدس يحرض القديسين في (أفسس ٤) أن يكونوا "مجتهدين أن يحفظوا وحدانية الروح في رباط السلام". ثم يوضح هذا الكلام بالقول "جسد واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد. رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة. إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهل يتصور واحد أن الحقيقة "الجسد الواحد" الخطيرة لا تؤثر على أفكار المسيحي وأخلاقه كما على عواطفه؟ وبفرض أننا حصلنا على معرفة المسيح وتأكدنا أنه ابن الله والمخلص وأصبحنا نستريح عليه كسلامنا أمام الله والآن نحن ندعوه كربنا، ولكن أليست لي علاقة بالآخرين على الأرض؟ هل أنا متروك وحدي لأدعو الله؟ وهل علي أن أفسح لي طريقاً وسط العالم باستخدام كلمة الله مع الصلاة فقط. هل أنا وحدي ابن لله مع أولاده المتفرقين هنا وهناك وما هو شعوري عندما أرمق بنظري أولئك الذين يسمون ذلك الاسم الحسن ويدعون اسم ربنا يسوع المسيح لهم ولنا؟ إن الجواب على هذه الأسئلة كلها هو "الجسد الواحد" والله هو الذي يكون ذلك الجسد لمجد المسيح الذي قد اتحد به هذا الجسد. "لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه" وليس في مقدور أحد أن يحدد ماهية نسبتنا الطبيعية إلى إخوتنا في المسيح لأن هذا عمل الله الذي يعطي ما يليق به تعالى ولو كان فيما يختص بدائرة الأرض والجسد. فلا يعطينا ما نختاره – لأننا لا نجهل غباوتنا من هذه الناحية. بل يعين لكل واحد مركزه سواء كان عالياً أو وضيعاً حسب حكمته الإلهية. وهل ما يعمله الله لأجلنا وما يعمله إيانا أقل مما يعمله الآن لابنه المحبوب؟ وهل مشيئته نحونا أقل أهمية منها نحو العالم الخارجي؟ كلا أيها الحبيب وألف كلا! فليس من يختلف في مشيئة الله من جهة النسب الطبيعية، بل حتى الأدبيون هم أيضاً لا يختلفون في ذلك. نحن نعلم ما تفعله الشهوة البشرية في خرق كل الحدود الفاصلة ومع هذا فإن الإنسان المسكين يدرك (بدون التفكير في الله) عوزه إلى هذه العلائق الطبيعية التي صارت له على الأرض ويقدر قيمة المحافظة عليها. أما العلائق الروحية فليس لها عنده هذا الاعتبار. وإنه لفكر خطر وحقيقة تذلل القلب المسيحي وتكسره أن تكون الكنيسة – وهي القريبة من الله إلى هذا الحد، والتي هي ثمار محبته الكاملة، والمخلوقة منه تعالى للمجد الأبدي الخاص بابنه المحبوب، وهي ترتيبه، ومشيئته، ومسرته، أجل – من العار أن تكون هذه الكنيسة أقل اعتباراً لدى المسيحيين من نفس نسبتهم الطبيعية التي تربطهم بعضهم مع بعض! ولكن أليس هذا هو الحاصل بينهم؟ وألا يكون ذلك خطية محزنة.

دعوة الله لليهود والأمميين على السواء:

وبماذا نعلل هذا الإهمال يا ترى؟ ومن أين نتجت غلبة العدو الهائلة هذه؟ ولماذا يوجد الآن ستار من الظلمة كثيف على موضوع "الجسد الواحد" بأسره؟ هل لأن الله لم يعلن لنا فكره بشأنه؟ كلا! إذ ما أكثر وضوح الكتاب المقدس في هذا الموضوع، وإن كنا لم نذكر سوى القليل من البراهين الكتابية عليه. ولكن هل هناك ما هو أوضح من أن الله قد أوجد حالة جديدة مؤسسة على صليب المسيح، وأنه أصبح يدعو اليهود والأمم الذين يؤمنون صانعاً إياهم "جسداً واحداً"؟ وهل في كلمته التي تتحدث إلينا عن الكنيسة ما هو أكثر وضوحاً من هذا الحق وهو. كما أن الله لا يعترف بجسد غير جسد المسيح هكذا هي مشيئته نحونا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهكذا هو واجبنا من نحوه تعالى أن نتصرف بموجب وحدانية هذا الجسد. فكيف غاب هذا الحق الثمين عن أفكار المسيحيين لأننا عبثاًَ نحاول أن نجده في كتاباتهم الحديثة أو القديمة. لا بل وقد عاش البعض منا نحن منذ زمان طويل كمسيحيين، وكثيرون كأعضاء كنائس عرفوا بالمنشقين، ومع ذلك فقد جهلنا كلنا صفات ذلك الحق جهلاً تاماً. ولكن إذا كان هذا الحق في غاية من الوضوح، وعليه في كلمة الله من الأدلة ما لا يدحض فلماذا يصبح نسياً منسياً بين أولاد الله؟

إن السبب في ذلك لا يرجع إلى عدم توفر الإخلاص والتقوى بين المسيحيين، بل إلى أن الشيطان يوجه كل قوته ودهائه ضد ما هو قريب من الله وضد ما يجريه تعالى الآن. وذلك لأن عمل الله الذي يجريه هذا متعلق بالمسيح، وهو مشيئته الفعلية الخاصة لأجل شعبه. ولذلك هو يسعى جهده لكي يفسد هذا العمل ويشوه جماله. فتراه لا يعمل على حجب حقائق أخرى، بل يقتصر على ما يتعلق بمجد المسيح كما قد ظهر لنا. وقد كان في كل زمان أمام أولاد الله مسرح القتال وحومة للوغى يستخدم فيها العدو كل وسيلة يعمى بها أبصارهم ويعوقهم عن إدراك وإتمام مشيئة الله وأبيهم. فالوقت الذي يجمع الله فيه كنيسته يبذل العدو كل جهده ليقاوم ويخلط ويحجب كل حق يتعلق بتلك الكنيسة.

ورب سائل يقول: كيف استطاع الشيطان أن ينجح بالرغم من الحق الواضح الذي يحويه العهد الجديد؟ بكل أسف نقول: أن السبب الأدبي لذلك واضح ولا يحتاج إلى البحث الكثير فقد يخدع أولاد الله بسهولة لأن التعليم عن الكنيسة التي هي جسد المسيح يقرب الله إلينا تماماً، ويضع أمام نفوسنا نعمته في كامل غناها ويجعلنا نشعر (إذا كانت نفوسنا تصدق الحق وتعتبره وتمارسه) ببطلان الأمور الحاضرة.

ولكن بالأسف فإن قلوبنا تفزع من هذا الشعور؟ إذ نحن بالطبيعة محبون للراحة والمركز في العالم – مولعون بالصيت، ليس في الأمور الدنيوية المحضة بل في ما يسمونه بالأمور الكنسية – ميالون على نوع ما إلى الحصول على كرامة لا تتعلق بالمسيح ولا يصلبه، حتى نعظم بها ذواتنا. إلا أن الجسد هو فقط للرأس لمجد الله لكي يتمجد به ابن الله. أما الإنسان الطبيعي فإنه يختفي، ومجده يتلاشى. وإرادته قد دينت كالخطية. ولكننا لا نميل إلى تعليم واختبار حازم سماوي كهذا بل بالأحرى نحب أن نعمل شيئاً وأن نعظم نفوسنا. ولأن الإنسان له في ذاته ما يعرضه لسلطة الخطية وخداع الشيطان ومكايده لذلك سرعان ما يعلن له هذا الحق العظيم حتى يأخذ في الاضمحلال وإلا فأين نجد لهذا الحق شهادة واحدة في كتابات الآباء الأولين؟ ألست تجد أيها القارئ كلما تقدمت في تاريخ المسيحية أنها قد دخلت إلى مركز العداء والمقاومة لهذا الحق السامي؟ خذ مثلاً ما شئت من كتابات الباباويين والبروتستانت والأسقفيين والمشيخيين واللوثريين والكلفينيين والأرمن وقل لي إن كنت لا تجدها جميعها تتجاهل هذا الحق وليس المعنى أنك لا تجد بين هذه الطوائف الحق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكافي لتبشير الخطاة حتى يخلصوا، بل إن مجرد خلاص النفوس ليس هو الحق الكامل. بل حتى ما يعلن كنيسة الله ليس هو الحق بتمامه. أفلم يكن على الأرض نفوس أمينة قبل أن يفرز الله لذاته تعالى شعباً خاصاً؟ أفلم يكن خلاص منذ البدء قبل الطوفان وبعده! بكل تأكيد كلن هذا كله قديماً.

الكل واحدٌ جديد في المسيح:

إلا أن هناك أمراً آخر لم يكن الله قد أعلنه أو ثبته حتى وقت رفض مسيا. ولأجل هذا الأمر قد أرجأ إرسال الروح القدس من السماء. ففي صليب المسيح قد وضع الله أساس هذا العمل الجديد وأصبح يجمع كنيسته من بين اليهود والأمم ليجعلهم إنساناً واحداً جديداً في المسيح. لا يخفى أن الإنسان يريد أن يجعل لنفسه أهمية في هذا العالم، وعندما يسمح لنفسه بالتهور في هذا الادعاء فإنه يسقط فريسة لمخالب العدو ويسهل عليه أن يخدع نفسه لأنه قبل صليب المسيح كان للإنسان مجال على درجة ما. فخرابه التام وعداؤه له وبغضه للنعمة المعلنة في شخص الابن كل هذا لم يظهر في ملئه حتى وقت الصليب. كما أنه قبل الصليب أيضاً لم يعلن لنا الله كما هو تعالى معلن اليوم – لا بل لم يكن في الإمكان إعلانه بهذه الصفة في ذلك الوقت. ولكن الابن الوحيد هو الذي أعلنه لنا بالنسبة للخطية وبالنسبة لبره – ذلك البر الجديد في نوعه الذي بواسطته ويبارك الذين يؤمنون بيسوع حتى ولو من أشر الناس.

والآن – إذا رغب القلب في النمو في ما أعلنه الله عن نفسه في المسيح حسب نعمته المتجهة نحو الكنيسة التي هي جسد المسيح الواحد، فإنني أستطيع حينئذ أن أحكم على الطبيعة أصلاً وفرعاً، وعلى العالم الذي يريد الإنسان أن ينال له فيه مركزاً. فكنيسة الله قد تأسست على حقيقة خراب الإنسان لتكون لمجد الله في ابنه كما صرح الروح القدس بذلك غير أن هذا يظهر المكانة السامية للحق الذي نتابع البحث فيه بالنسبة للنفس من حيث شركتها وسلوكها. (يا ليتنا نبتعد عن كل ما لا يتفق مع الاختبار ومع نسبة النفس إلى الله) والحقيقة هي أنه لا شيء (بفرض أننا طرحنا جانباً مسألة حق الكنيسة وحالة قلوبنا وضمائرنا وعلاقتنا بالله والعبادة والخدمة إلى حين) يميز المؤمنين ويربطهم معاً رباطاً متيناً إلا حق شخص المسيح، الذي لا سواه أكثر سطوة وبساطة ونفوذاً على سلوك الشخص المسيحي وسيرته.

العهد القديم والعهد الجديد:

وتأمل معي أيها القارئ في الصعوبات التي يستجمعها الناس من العهد القديم: على أي أساس يا ترى تقوم تلك الصعوبات؟ (أشير هنا إلى الصعوبات النظامية، وما يبدو لدى ذهن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المؤمن غير المتعلم نظامياً وذا سطوة بأي شكل من الأشكال) وما جوهر احتجاجهم التي يجعلون محورها تعاليم العهد القديم وتصرف رجاله في ذلك الحين؟

وهل التشابه الذي يزعمونه بين العهد القديم والجديد تشابه صحيح؟ وكيف نجادل ونتماحك في حقيقة وجود هذا "الإنسان الجديد الواحد؟" أو في كون الكنيسة أمراً جديداً لم يسبق له وجود حتى ذلك العهد القديم؟ ومن الواضح أن سلوك قديسي العهد القديم – كداود أو سليمان أو إبراهيم أو إسحق ويعقوب – لا يمكن تطبيقه على قديسي العهد الجديد بل بالأحرى هو لا يتكافأ مع السيرة التي ينتظرها الله من كنيسته. على أنني لا أتكلم هنا عن الظواهر الأدبية التي تحكم على البطل والفساد أو العناد – إذ ليس مفروضاً أن يستند المسيحي إلى خطايا أولئك ليبرر خطيته – بل عما كان صواباً وطبقاً لمشيئة الله المعلنة في ذلك العهد. وحالما يعرف تعليم الكنيسة كجسد المسيح فكل احتجاج وكل صعوبة لا يبقى لهما مكان. نحن نعلم أن الله يرى ابنه الآن في محضره كالإنسان المقام. وقبل أن يكون المسيح هناك كرأس الجسد (ليس كالابن الوحيد، بل كالإنسان المقام من بين الأموات) لم يكن مستطاعاً وجود جسد له. كما أنه لم يستطع أن يكون في محضر الله كإنسان إلا بعد إتمام الفداء. لقد كان له تبارك اسمه منذ القديم لقب ابن الإنسان بالنظر لما كان عتيداً أن يتخذه من الناسوت إذ أن ذاك الذي هو الله وابن الله كان مزمعاً أن يصير إنساناً حقيقياً.

لكن كيف استطاع أن يأخذ هذا المركز في السماء؟ لقد ولد كإنسان على الأرض وقبل أن يولد في العالم لم يكن إنساناً. فكيف يأخذ هذا المركز في السماء؟ فالمسيح لم يكن رأساً حينذاك ومن باب أولى لم يكن الجسد – الذي هو الكنيسة – موجوداً في ذلك الوقت. وحقيقة أن "الكنيسة هي جسده" تفترض ضمناً أن المسيح صار إنساناً بل ورأساً أيضاً كالإنسان المقام المرتفع. على أنه لم يأت بثمر إلا بعد موته كما نتعلم من مثله عن حبة الحنطة الوارد ذكرها في يوحنا ١٢ ولكننا لا نكتفي بالأمثال لنستند إليها بل ينبغي أن نتصفح الفصول الكتابية التي تنطق بعبارات جلية في تلك الحقيقة وفيها نجد الكثير. فمثلاً: جاء في نهاية الإصحاح الأول من أفسس قول الرسول "ما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته. الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً. وأخضع كل شيء تحت قدميه وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة" فالمسيح قد جعل لكنيسته رأساً فوق كل شيء ولكن بعد أن أقيم من الأموات وأجلس عن يمين الله. فالإنسان المقام هو الرأس الموجود في السماء. وحتى كونه رأساً ذلك لم يتم إلا بعد إكمال الفداء وهكذا أخذ المسيح مركزه في السماء.

وترى ماذا كانت النتيجة أيها القارئ العزيز؟ النتيجة هي أن جسد المسيح سماوي كما أن رأس الكنيسة سماوي ولكن الإنسان لا يجد لذة في هذا الكلام – لا بل وكثيرون من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيحيين يرونه كلاماً عالياً جداً وصعباً. إذ لو كان ذلك الإنسان شخصاً سماوياً فأين مجال مساعيه وخططه ومشاريعه الأدبية والعلمية والسياسية؟ وأين جميع هذه الأمور التي تملك على الناس عقولهم وأميالهم وأشواقهم؟ وهل يليق أن تكون هذه كلها في السماء؟ وهل المشاريع الحربية – وأحلام الملك العالمي – أمور نجدها في السماء؟ قد تسمع أيها القارئ بلا شك عن الحرب ضد إبليس (الذي قد طرد من السماء). كما سيحاربه الرب بواسطة ملائكة قوته فيما بعد، ولكن لا داعي لأن أقول أنه لا مكان في جسد المسيح لكبرياء الإنسان وطمعه وجهوده.

المسيحي قديس:

إذ ما هي حقيقة كنيسة الله؟ إن كنيسة الله هي جسد المسيح بعد أن أكمل الفداء الذي كانت نتيجته أن الخطية قد أبطلت تماماً ونزعت بطريقة مجدت الله وبررت المؤمن. وعلى هذا الأساس قد صار المؤمنون – ليس فقط مولودين من الماء والروح، ومبررين من خطاياهم بدم المسيح بل متحدين به كرأسهم المبارك الجالس عن يمين الله. فكنيسة الله ليست مكونة إذن من مجرد مفديين أو قديسين، لأن كلمة "مسيحي" تسمو في معناها عن كلمة "قديس". إنني أعلم أن كثيرين يظنون أن كلمة "مسيحي" تعني أقل مما تعنيه كلمة "قديس" وربما يعتبرون تعليمنا هذا غريباً لأنهم يعتقدون أن كل من حمل اسم المسيح فهو مسيحي. وأن القديسين على الأرض قليلون جداً – لا بل وربما لا يوجد (حسب فكرهم) قديسون إلا عندما يصلون إلى السماء. أما من جهتي فهو أمر في غاية الوضوح – ولا شيء أكثر منه ثبوتاً ويقينية – أن المسيحي قديس. بل وأكثر من قديس، وذلك على أساس ما قد صنعه الله من الفداء بدم المسيح. فهو قديس متحد بالمسيح عن يمين الله. ومسكن الله بالروح لأن الله قد استطاع حينئذ أن يسكن فيه – إذ أنه بعد أن تم العمل الكفاري. وسفك الدم ورش. استطاع الله أن يسكن هناك – وفعلاً تم ذلك. وإن قال قائل: كيف أعلم ذلك؟ فالجواب هو أن الله قد أخبرنا به في كلمته. قد يتمتع البعض بالأسف تمتعاً ضئيلاً بهذه الحقيقة – وهذا أمر آخر – غير أن التمتع بالحق يتوقف على مبلغ استناد نفوسنا عليه بالإيمان. ومع ذلك فإذا لم نحكم على الجسد، الذي يعوق إدراك هذا الحق والتأكد منه، فلا نستطيع أن نتمتع به وقتاً طويلاً وبدرجة سامية.

وقد بين الله في كلمته أن الكنيسة هي عبارة عن اتحاد المؤمنين وصيرورتهم واحداً مع المسيح – بالروح القدس – بعد أن مات وقام وارتفع إلى السموات. والنتيجة هي أنه ينبغي لنا أن نفكر في ما يتطلبه الله من أعضاء ذلك الجسد ما دمنا نرغب في معرفة كيفية سلوكنا، وعبادتنا، وخدمتنا وشعورنا نحو سائر أعضاء المسيح، وكيف نتصرف في "بيت الله".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والعهد الجديد مشحون بهذه المواضيع وعلى الأخص رسائل بولس. لأنه لم يمكن أن تتكلم الأناجيل عنها بصفة رسمية واضحة، إذ هي (أي الأناجيل) قد تخصصت في معظمها للكلام عن مسيح حي، وختمت بحقائق موته وقيامته وصعوده. وقد نجد فيها استعدادات العمل الجديد، والشهادة العتيدة (بدون أية إشارة لما كان مزمعاً أن يتم) ولكن جميعها تظهر أن بناء الكنيسة لم يبدأ فيه إذ ذاك. أما في الرسائل فنجد إعلانات مؤسسة كلها على ذلك الحق السامي وهو أن البناء يأخذ مجراه والجسد يتكون الآن. لاحظوا نقطة أخرى (أرجو أن أفيض فيها في الخطاب الثاني) وهي أن حق جسد المسيح يرتبط به حق آخر وهو حضور الروح القدس الذي نزل من السماء. وإنني أشير هنا إلى هذه الحقيقة لأظهر العلاقة الكائنة بينها وبين سابقتها. أي حقيقة الجسد الواحد على أننا سنرى خطورتها فيما بعد. والذين لم يتصفحوا جيداً شهادة الكتاب المقدس يشعرون بأهمية وقيمة التعليم الذي يلقيه علينا حينما يبسط لهم هذا الموضوع بأكثر وضوح. وهناك أيضاً حق بسيط آخر وهو مع أن الكنيسة شيء جديد، منفصل كل الانفصال عن كل ما صنعه الله قديماً، غير أنه توجد لدى الله مبادئ أدبية سامية ثابتة يعمل الله تعالى بمقتضاها سواء في العهد الجديد أم القديم. ففي كل جزء من أجزاء الكتاب المقدس حيث يتكلم الروح القدس فيها عن أزمنة ما قبل الناموس، وأزمنة الناموس، كما أيضاً عن زمان الإنجيل، نرى أن الله في هذه التدابير المختلفة يظل هو الإله البار، القدوس القدير، الصفات جميعها تضيء بأكثر لمعان في التدبير الحاضر وتثبت إعلان الله، فضلاً عن المعاملات الجديدة وأعمال النعمة التي لم يمكن إعلانها قبل هذا التدبير. ويا له من نور باهر ظهر لناس عندما أضاء المسيح الذي هو النور الحقيقي! أجل – وما أفصح إعلان الله نفسه في شخص المسيح! ويعوزنا الوقت والكلام في الصليب وموت الحبيب وقيامته وتمجيده، كإعلان الله!!

فلا شك إذن أن كل مجد الله الأدبي يقوم في هذا الإنسان الجديد. أفلا يليق إزاء هذه الإعلانات الكاملة، وإزاء إتمام الفداء الأزلي، أن يكون لما يعمله إله وأبو ربنا يسوع صدى في أفكار وقلوب وسلوك أولاد الله؟ إذا دعا الله شخصاً ليكون خادماً أو عبداً له فهناك مسئوليات خاصة متعلقة بذلك الخادم. ولكن لنفرض أن ذلك الخادم انقلب تماماً فصار غير أمين. وانتهى به الحال إلى العصيان ولذلك قال الله: لا أعود استخدم هذا الخادم وأمثاله بل سأخلق عائلة وأتبنى لنفسي أولاداً، وآتي بشعب من الحالة القديمة إلى هذا المركز الجديد حسب مسرتي الفائقة. لنفرض أن هذا حصل، فماذا إذن؟ من الواضح أن هؤلاء البنين إذا رجعوا ليشغلوا مركز العبيد (ولو بكل أمانة) فلا شك أن هذا هو منتهى الضلال بعد أن أصبحت المسألة مسألة بنين وليست مسألة عبيد، وأي ضلال أردأ من ذلك.

وعلى هذا الأساس المغلوط يشترك النصارى مع العالم ويشغلون أنفسهم بالأمور التي ترضي الجسد وتسره وتعطي الإنسان أهمية. أما الله فقد عمل على أساس آخر، فقد أعطى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لنا ذلك الحق المجيد القائل بأنه ليس عنده تعالى سوى رجل واحد (إذ قد انتهى آدم الأول وأعلن خرابه ومات ودفن في قبر المسيح). ونحن المسيحيين نخص الإنسان الثاني. الرب من السماء (١ كو ١٥) وإذا قيل "إنسان واحد جديد" فليس هذا بالمباينة مع الامتيازات القديمة بل هو تعبير عن توحيد قديسي اليهود والأمم جميعها في جسد واحد – هو جسد الإنسان الثاني وعلى هذا الأساس يعلن لنا حق الإنسان الجديد هذا في أفسس ٢.

تعاليم جديدة:

إذن أصبحنا – إزاء هذه الحالة الجديدة، نحتاج إلى إعلان جديد. وقد أعطانا الله ذلك الإعلان، فأعطانا تعاليم جديدة لم يكن لها مكان من ذي قبل. ولو فرضنا أن العهد الجديد كان موجوداً في أزمنة العهد القديم فماذا يكون في أثره حينذاك؟ لا شك أنه كان يحدث ارتباكاً كبيراً. لأن اليهودي لم يكن يعرف كيف يتصرف فيه. قد يجوز أن ما في العهد الجديد من حكمة وجمال وقداسة ومحبة تستوقف اليهودي وتدهشه – غير أنه كان من المحال عليه أن يعرف كيف يتصرف بمقتضاه، أو كيف يوفق بينه وبين الشريعة المعطاة لهم عن يد موسى. إذ يرى أن العهد القديم كان يأمره الانفصال عن الأمم بينما العهد الجديد يخبره أن اليهود والأمم يكونون جسداً واحداً. وإنهم جميعاً واحد في المسيح. ولهم جميعاً قدوم بروح واحد إلى الآب. فما كان في مقدوره أن يوفق بين هذين الأمرين – ولا غرابة إذا قلنا أنه لم يكن مقصوداً أن يتوافقا معاً. فكل منهما لزمان خاص، وحالة تختلف كل الاختلاف عن الأخرى. أما الخلط بين هذين العهدين فهو إحدى وسائل الشيطان التي نجح بها في الكنيسة الاسمية. ويا للأسف فإن هذا هو عين ما حدث في زمان معاملات الله مع اليهود فبينما كان الله يثبت شريعته كان من الشعب أو كسروها. وبينما كان سبحانه وتعالى يتمسك بوحدة اللاهوت اندفع الشعب إلى الأوثان وذهبوا وراء آلهة الأمم فكانوا غير أمناء على الإطلاق لشهادتهم. على أنني أعتقد أن اليهودي على ما كان عليه من ظلام وقلة دراية لفكر الله، كان يرى أن تعاليم العهد الجديد لا تتفق مع دعوته. ولكن الله ما كان ليعطي العهد الجديد بهذه الكيفية، بل بعد أن أكمل العمل الكفاري فوق الصليب، أبرز الله هذه الإعلانات الجديدة تدريجياً. ولماذا يا ترى؟ لأنه قد وجدت حالة جديدة – "إنسان واحد جديد" – لم تكن قبلاً. وإزاء هذه الحالة الجديدة أعطى الله كلاماً جديداً يتفق مع إعلان النسبة التي صارت للمسيحيين بعضهم نحو بعض، ومع عمل الله في الكنيسة التي هي جسد المسيح.

وحدانية الروح:

وقبل أن أختم تأملي، أذكر باختصار النتيجة العملية لهذه الحالة الجديدة وهي قول الرسول "مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام" ويا له من ربح جزيل كنا نحصله لو

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أننا طبقنا هذا القول بصفة فعلية إزاء انقساماتنا!! وتأمل أيها القارئ قليلاً في حالة شخص مسيحي قد أقيم من حالة الموت ووجد سلاماً ولكنه يسأل عما يجب أن يعمل. وفي الحقيقة كم تحير كثيرون منا في مثل هذه الظروف! قد لا نفهم سوى القليل جداً من كلمة الله ومع ذلك لا نزال نرى صعوبة في التوفيق بين الكلمة وبين ما يحيط بنا لاسيما من جهة القول "مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح" وفي الحقيقة إن هذه السبل واضحة وهادئة، فلست مكلفاً بصنع الوحدانية، ولا بصنع حدود لها أو الاشتراك مع الآخرين في ذلك. نعم لا هذا ولا ذاك، بل على أن اجتهد في حفظ وحدانية الروح، وبعبارة أخرى إن الله الروح القدس قد صنع وحدانية، ومشغولية كمؤمن هي ملاحظة هذه الوحدانية لكي أحفظها. وكم للنفس المتواضعة من راحة عجيبة عندما تشعر بأنها عرضة للخطأ، ولخطر السقوط في الرخاوة من جهة أو ضيق الفكر من جهة أخرى.

ولسائل يقول: ما هي وحدانية الروح؟ أين بدايتها وإلى أين تنتهي؟ وما هي طبيعتها وصفاتها؟ الكتاب يخبرنا أن الروح قد أقام وحدانية بين الناس، وأن هذه الوحدانية منفصلة عنهم وهي فوقهم. فما هي إذن؟ الجواب على هذا السؤال هو أن الوحدة موجودة في الكنيسة التي قد جعلها الله جسد المسيح. وكم يستريح المؤمن عندما يعرف أن واجبه هو أن يميز ببساطة وبواسطة كلمة الله مكان وحدانية الروح هذه؟ قد يقول قائل: كيف هذا؟ إنني أدخل بعض كنائس المسيحيين ولكنني لا أعرف أين أجد وحدانية روح الله، ولا كيف أدركها؟ الجواب هو أن الله قد أعطى لنا في الكلمة أدلة واضحة نيرة – أفتش فيها فأرى أنه آخذ في جمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد، فيجمعهم حول اسم المسيح مؤكداً لهم أنهم حيثما اجتمعوا بهذه الصفة فهو في وسطهم. واعلم أيها القارئ أنك لن تجد حلاً لكل معضلة روحية بعيداً عن المسيح. فإذا كنت تنتظر مجرد اتحاد بين المسيحيين، فمن الوهم والخطر أن تنتظره بدون أن يكون المسيح مركزه. فمن جهة المسيحيين ليس مكان يخلو منهم، ومن الناحية الأخرى ما من وهدة للضلالة لا تجد فيها بعضاً من أولاد الله. فإذا شئت أن أفتش عن أولاد الله فإنني بسهولة أجدهم تحت أشكال متنوعة من محبة العالم. فقد أراهم في هذه الناحية غير مرتبطين، وقد أراهم في الأخرى ملتصقين ومتعصبين. أجل – قد أراهم مجتمعين معاً بموجب قوانين بشرية ولأغراض تافهة جداً، وقد أراهم يجهلون محور اتحادهم إما بعض الشخصيات، أو التعاليم الخاصة. أو الآراء المستحسنة ولكن هل هذه هي وحدانية الروح؟ فإذا لم تكن هكذا فما هي إذن في معناها الصحيح. وما هي كيفية حفظها؟ جوابنا على هذه الأسئلة: إن وحدانية الروح هي ما يكونه الروح لمجد المسيح.

والمسيحيون هم الذين بالطبع تتألف منهم الوحدة. إلا أن حفظها لا يتوقف على مجرد كونهم مسيحيين بل على كونهم مجتمعين إلى المسيح – ليس إلى حضوره بالجسد، بل إلى اسمه كمن هو الآن في السماء. ولو أنهم لا يرونه رؤى العين المجردة ومع ذلك يعتمدون على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حضوره إذ هو أمين لكلمته. فإذا كنت أفرز نفسي عن اجتماع كهذا، فأكون غير مكترث بالغرض الذي مات المسيح لأجله (يو ١١: ٥٢) وناقضاً وحدانية الروح. وإذا كنت أقدر قيمة موت المسيح وأجتهد في حفظ وحدانية الروح فسيكون اجتماعي على هذا الأساس لا على غيره. لاشك أن كثيرين من أعضاء المسيح متفرقون الآن في كل مكان بينما كان يجب أن يوجدوا مع الذين يجتمعون حقيقة حول اسم المسيح. ولكن هل واجبي – كشخص يعرف إرادة سيده – أن أتنحى ناحية قاصية بدعوى أن الآخرين لا يعرفون إرادة السيد. وحتى إذا عرفوها فإنهم يظهرون عدم الأمانة في إتمامها؟ وهل من واجبي أن أقول إن مشيئته لا يمكن أن تتم!!

وهنا نجد علة من علل خراب المسيحية، كما نجد الحقيقة المؤلمة وهي أن الشيء الذي لأجله مات المسيح قد وجه الشيطان كل جهوده في مقاومته وقد أثمرت تلك الجهود. ولكن لا تتعجب أيها القارئ، فإن كل أمر يشرع فيه الله يضعه أولاً بين يدي الإنسان لأنه مسئول أو يستعمله لمجد ذاته الكريمة. ولكن للأسف!! فإنه لا توجد سوى نتيجة واحدة لهذا العمل وهي خراب الإنسان خراباً تاماً. ولذلك لا تعود الرواية تتكرر مرة أخرى حتى يظهر إذا كان يستخدم فرصة مجيء يسوع وملكوته لمجد الله. على أن نهاية الألف سنة ستكون برهاناً على أن ما حدث قديماً سيحدث حينئذ، ولكن قد وجد في كل الأزمنة أن الإيمان يتغلب وينتصر. فانظر أيها القارئ أن تكون متمسكاً بالحق تماماً، ولا تدع أحد يحرمك من البركة التي أعطاها لك الله، والتي دعاك لأن تتمتع بها. وما أحلى أن نحفظ في بالنا أن الكنيسة المؤسسة على الصليب، والمتحدة بالمسيح بواسطة الروح والمنتظرة مجيئه – هي الثمرة الغالية لنعمة الله.

وبعد أن حاد شعبه عن القوة، وأهملوا حتى مجرد صورة هذا الحق السامي، قد عاد ووضعه أمامهم من جديد. ولست أرتاب في أن الله قصد إعادة هذا الحق بالنظر إلى سرعة مجيء الرب. و إلا فبماذا نعلل دعوة الله للكنيسة "حسب مسرته" لتعد نفسها للعريس، باعثاً من جديد تلك الشهادة السماوية التي كانت يوماً ما محتقرة ومهجورة ومهملة! وما أسعد النفس التي ليست فقط تنحني إجلالاً فتقبل نعمة الله الموجودة فيها بل تحفظ الكنز بأمانة! نعم أيها القارئ ما أسعد تلك النفس لذلك "تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك" وتأكد أننا معرضون كالذين سبقونا – لخطر إهمال ما أعطاه الله لنا، وأن كل آلة يستطيع الشيطان أن يخترعها ليبعدنا بها عن الرب، كأن يستخدم فرصة الإهمال، أو مصاعب الحياة، أو التجارب، أو أي شيء يستغلنا لأكبر درجة – نقول أن كل آلة من هذا النوع وغيره سيصوروها ضدنا لأنه لا يبغضنا نحن فقط بل أيضاً شخص المسيح وحقه الإلهي.

ولكن بما أن الرب قد سر بأن يقيم ثانية شهادة لشخص الكريم ولعمله ومجده السماوي، فإنني أرجو قرائي وأتوسل إليهم أن يحترسوا لئلا يقودهم الشيطان بخداعه إلى الانحراف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عن الصخرة الإلهية الوطيدة في وسط تلاطم أمواج الارتداد، ولاسيما الأحداث والحدثات منهم، وكل من لم يشعر بقوة تلك الشهادة وأهميتها ممن تدربوا على مبادئ الحق وتربوا فيها ولم يتكلفوا الكثير في سبيل تعلمها، ولم يختبروا نقض علاقات القربى والصداقة في تدريب عميق مدركين تدريجياً حالة النصرانية. وأنني أسلم تمام التسليم بأن كل من وصل إلى هذا المركز الجديد – أي جسد المسيح – ينبغي أن يسلك في طريق تتفق مع ذلك المركز. وأنه لمن العار الفاضح أن يكون التكريس الصحيح في يومنا هذا أقل منه في ذلك الزمان الذي لم يكن قد أشرق فيه هذا الحق السامي كما أشرق علينا. عار علينا، ومانع خطير للحق، ودراية لنعمة الله التي أعلنت ذلك الحق أوصلت نفوسنا إليه، نعم عار وفضيحة أنه بعد كل هذا لا يظهر لذلك الحق سوى سطوة قليلة!! فكيف ترى نتصرف فيه؟ هل نزدريه ونرتاب فيه؟ وهل لعدم أمانتنا نطرح جانباً كلمة الله الواضحة التي تحكم علينا من أجل الأساس الواطئ الذي أصبحنا نستريح عليه وادعين قانعين؟ وهل ترى نستسلم للاستحسان البشري ونخترع محور وحدة غير المسيح وخدمته غير خدمة الروح؟ أجل – وهل يسوع لنا أن نترك المكان الوحيد والمبدأ الواحد الذي يسمح به العهد الجديد لأعضاء جسد المسيح – بحجة أن التصرف بمقتضى النور السماوي المعلن لنا أمر غير مستطاع في عالم كهذا؟ لا شك في أن هناك صعوبات كثيرة ومعطلات متنوعة تعترضنا في سبيل المحافظة على ذلك الحق – أما إذا أردنا أن نسير مع الله فنحتاج باستمرار أن ننكر ذواتنا عملياً.

كلمة الله للتمييز:

ولكن كيف نستطيع أن نحكم ونميز إذا لم نستخدم كلمة الله؟ وهل نحن مستعدون لأن نكتفي بتلك الكلمة باعتبارها مقياساً لحكمنا الصحيح؟ وبينما كلمة الله تدين "بالطبع" تقصيرات أولئك الذين نالوا من اله تلك الامتيازات العجيبة، والذين لم يدخلوا فقط في وحدانية الروح كسائر القديسين – بل قد عرفوا وآمنوا بتلك الوحدانية كحقيقة، وبينما يكون تقصيرهم وفشلهم (مهما كانت درجة ذلك التقصير) بلا عذر أكثر من سواهم – إلا أنهم بواسطة الكلمة يبررون الله وكلمته والروح القدس حاكمين على أنفسهم بانكسار وتذلل وإذ يكون أساسنا "أن نم افتخر بالرب" فسوف نجد بمزيد التألم أننا قد جئنا إلى هذا المركز لكي نتعلم أغلاطنا بكيفية لم نر مثلها من قبل وعجز الآخرين بدرجة لم نكن نظنها. قد ندهش من السقطات والتجارب المضاعفة والمهارب الضيقة وأسباب العار والخجل الكثيرة، ولكن كيف استطعنا أن نرى هذه كلها ونشعر بها؟ هل لأن وقوعها في الكنيسة أمر غير منتظر؟ بل لأنها كذلك. ومما يعزى إيماننا فيما يسبب الحيرة والارتباك أننا نعلم قيمة الكتاب المقدس بكيفية لم نختبرها قبلاً. ولو تأملنا في كل معاملات الله التأديبية لوجدنا أنه لم يمكن تطبيقها حينما كنا مختلطين بالكنيسة الاسمية. ولكن عندما أخذنا نسعى لحفظ وحدانية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الروح قد وجدنا أن تلك المعاملات ثمينة وغالية ونافعة ولا يمكن الاستغناء عنها. ولا تسل أيها القارئ عن التحذيرات التي وجهت لنا ضد محبة العالم فإننا بالجهد نعرف ما هو ذلك العالم. و إلا أفلا تسمع المسيحيين في كل حين يتساءلون عما هو؟ أو أليس في جوابهم على هذا التساؤل أيضاً دليل على أن العالم قد أثر عليهم فأعمى أبصارهم؟ قد تراهم يتجنبون بعض الأمور فلا يعملونها وهذه هي ما يسمونه "العالم". ولكن حالما نميز جسد المسيح يتضح لنا معنى العالم: بمعنى أننا إذا تحققنا من حالة "الذين من داخل" فإن مسألة "الذين هم من خارج" لا تكون في نظرنا مبهمة وغامضة.

فلا نخشى إذن من أن نترك كل شيء لمجد الله في هذا العالم، ولننتظر منه نعمة تعيننا على تحمل كل الصعاب بدلاً من إهمال مجده. قد لا يوجد إلا اثنان أو ثلاثة ولكن إذا اعتبروا حقيقة جسد المسيح، وانفصلوا بحسب مشيئته في عالم الذات هذا. ولست أقصد أننا نصادق على من يجدف على المسيح أو نتساهل مع المجدفين في أعمالهم (إن لم يكن في أقوالهم) كلا! فإن واجبنا أن نقول "في مجلسهم لا تدخل نفسي بمجمعهم لا تتحد كرامتي" ومن العبث أن نتناقش في أن وحدانية الروح تعود بالمجد لشخص المسيح، نحن نعلم ما يصنعه الشيطان مع الذي يحب الرب من القلب، وكيف أنه يوقعه في شرك إنكار سيده، وإنكاره بقسم أيضاً. ولكن من ذا الذي يتماحك في تبرير خطية كهذه وفي الشركة مع صاحبها حال وجود تلك الخطية؟

وأكرر ما قلته: أنه إذا وجد اثنان أو ثلاثة واجتهدوا أن "يحفظوا وحدانية الروح في رباط السلام" فينبغي عليّ كمسيحي أن أتخذ مكاني معهم. نعم إنه من واجبي أن أسكب قلبي في الشفاعة لأجل كل مسيحي مهما كانت ظروفه، سواء كان من الطوائف المنشقة أو البابوية بغض النظر عن الأغلاط والشر – لا بل ويجب أن ينسكب قلبي لأجله لاسيما إزاء هذه الأغلاط – ولكن هل معنى هذا أنني أتراخى في حفظ وحدانية الروح، وهل أصادق شخصاً كهذا واشترك معه في ما أعلم أنه ليس موافقاً للكتاب وأنه إثم وخطية بحجة وجود بعض المسيحيين الحقيقيين في تلك الحالة؟ كلا، بل ينبغي أن أحرضه على الانفصال لأجل الرب. على أن ذلك لا يتم بواسطة انغماسي في الطين بل بالأحرى بواسطة خروجي منه ووقوفي على الصخرة خارجاً، وهناك يقف المسيحي الحقيقي مستمداً من الله نعمة حتى بواسطة إظهار الحق لضميره، واحتمال نور المسيح الساطع في كلمته، والتشديد في مسئولية التصرف كأحد أعضاء جسد المسيح، يستطيع أن يرجع عن ضلال طريقه، ويجب ألا أنكر على أمثال هذا أنهم أعضاء في جسد المسيح بل بالحري أذكرهم بتلك الحقيقة الغالية الخطيرة وهي أنهم (فعلاً) أعضاء في جسد المسيح حتى لا يعودون ويعتبرون جسداً آخر غيره. فإذا كانوا أعضاء في ذلك "الجسد الواحد" فلماذا لا يعترفون به دائماً وينكرون ما عداه؟ وإذا كانوا تابعين لوحدانية الروح فلماذا لا يحفظونها والله لا يقيم الدعوى ليس ضد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

البابوية والبروتستانتية بل ضد إنكار المسيحية الاسمية للكنيسة التي هي جسد المسيح. وهمنا الآن يجب ألا ينصرف إلى تأسيس الكنيسة في الحاضر أو المستقبل بل إلى الالتصاق بالكنيسة التي قد صنعها الله والاعتراف بخطية المنافسات – لنرفضها جميعاً ونخرج منها ولنطرد كل اختراع بشري في أمور الله ونحفظ أنفسنا من الأصنام. إن كلمة الله في كل زمان تدعو أولاده للخضوع له ولمشيئته تعالى فهل نتصرف هكذا أيها القارئ. إن كان جوابك: نعم "فإن علمت هذا فطوباك إن فعلته" و إلا فاعلم "إن من يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فهذا خطية له" ولا شك أنه إذا وجد شيء تتضح فيه خطية الإرادة البشرية أكثر من سواه فهو ذلك المكان الذي يعظم الله فيه السيد المسيح، وقد سبق أن أرسل فيه الروح القدس ليكون ينبوع القوة في طاعة شعبه.

ولو أن هذه المحاضرة هي مجرد مقدمة (ولذلك لا أستطيع الإتيان بجميع البراهين التي تثبت ما قلته فيها. وكل ما حصل أنني وضعت أساساً لمواضيع التي أرجو متابعتها) إلا أنني أثق أن ما ورد في هذه المحاضرة كاف لأن أبين للقارئ – مهما كانت درجة نضوج إدراكه – خطورة التقدم إلى الله حتى يعطيه في رحمته وحنانه أن يدرك أنه ليس فقط قديساً بل مسيحياً، مستنداً على الفداء، متحداً بالمسيح، مسئولاً لأن يتصرف كعضو في جسده، ويجتهد حفظ وحدانية الروح دون أي أمر في العالم. وهذا التزام إلهي يتسامى على تغييرات حالة الكنيسة هنا على الأرض. ولا عبرة بكثرة العدد، بل هو واجب حتمي ولو لم يوجد سوى اثنين أو ثلاثة أدركوا الحق.

هوامش المحاضرة الأولى

١) إنني لا أريد أن أدخل في التفاصيل بل كل غرضي أن أجيء على الفكرة العامة للمعاملات الإلهية إيضاحاً لموضوعي.

٢) ليلاحظ القارئ أن الفصح وعبور البحر الأحمر رمزان للفداء فالأول يرمز إلى سفك دم المسيح، والثاني إلى موته وقيامته. وبهذين الأمرين تم الفداء المرموز بفداء إسرائيل.

٣) ولا أتكلم هنا عن قيمته على فرض وجوده في ذلك التدبير.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خلاصة المحاضرة الثانية

(روح واحد)

١. شخصية الروح القدس ٢. عمل الروح القدس في التدابير السابقة ٣. أفكار اليهودي والأممي عن المسيح ٤. خيبة الآمال اليهودية ٥. حقيقة إرسال الروح القدس من السماء هي الحق الرئيسي للعهد الجديد وله المنزلة الأولى بعد ما للمسيح من منزلة فيه ٦. التلاميذ يعدون لحقيقة الروح ٧. الروح القدس ليس مجرد قوة بل هو شخص ٨. لماذا لا يكون الروح القدس معروفاً للعالم ٩. الروح القدس مرسل من الآب باسم المسيح، ومرسل بالمسيح من الآب ١٠. الله ممجداً في تعظيم الإنسان يسوع المسيح ١١. بر الله ١٢. شجاعة بطرس الناشئة من الضمير المطهر ١٣. التفاوت في أقانيم الثالوث ليس كتابياً ١٤. العلاقة المزدوجة التي للروح القدس أي علاقته بالعالم وبالقديسين ١٥. توصيل حياة القيامة بالروح القدس ١٦. حضور الروح القدس على الأرض في غياب المسيح ١٧. العلامات المعجزية لحضور الروح القدس في بداية المسيحية ١٨. إحزان الروح القدس ١٩. شهادة سفر الأعمال لعمل الروح القدس ٢٠. تعليم الرسائل عن حضوره في الأفراد وفي الكنيسة ٢١. مفتتح الرسالة الأولى لكورنتوس تظهر دوام عمل الروح القدس في الكنيسة طالما كانت موجودة على الأرض ٢٢. السبب في عدم استمرار المعجزات ٢٣. حكمة الله في منعها الآن ٢٤. الوح علامة مسرة الله في عمل ابنه ٢٥. قبول المسيح للروح القدس مرتين ٢٦. الأهمية العملية لهذه الحقائق ٢٧. كيف يعمل الروح القدس في الجماعة ٢٨. واجب المسيحي في أن يوجد حيث يعترف بالروح القدس ٢٩. ما هي علة ضعف الكنيسة لهذا الحد ٣٠. الاعتراف بالروح القدس لا يعطل الخدمة الفردية ٣١. السبب الحقيقي للاجتماع هو إرضاء الرب يسوع ٣٢. تحليل فكرة التعصب ٣٣. لماذا أطلب من الغير أن يحضر معي اجتماعاتنا بينما أنا لا أذهب معه إلى اجتماعاته؟ ٣٤. فتش كلمة الله أيها القارئ لنفسك ٣٥. ختام الفصل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحاضرة الثانية

(روح واحد)

(١ كو ١٢: ١ - ١٣)

تثبيت حقوق روح الله:

إن مهمتي في هذه المحاضرة هي "تثبيت حقوق روح الله في كنيسة الله" وإنني موقن أن هذه المهمة ينبغي أن تكون شغل المسيحي الشاغل ليس بالكلام فقط بل بالعمل والحق.
وأقول "تثبيت حقوق روح الله" لأنني أفترض هنا شخصيته، إذ لا داعي لإيراد البراهين عليها كما أنه من باب أولى لا داعي لإيرادها على لاهوته – ليس لعدم توفر الأدلة عليهما في كلمة الله بل لأنهما ليسا ضمن موضوعي، هذا فضلاً عن كونهما حقيقتين مسلماً بهما.
أما موضوعي الآن فهو حقوق الروح القدس وعمله السامي في الكنيسة، ذلك العمل الصادر من حضوره كمرسل من السماء. وكثيرون حتى من أولاد الله يجهلون هذا الموضوع ويجدون فيه صعوبات وغموضاً، لا بل وحتى البعض ممن حصلوا على بركات جزيلة، وعمل الروح القدس بقوته فيهم وبهم لخير النفوس، يرون هذه الصعوبات عينها.
وما لم نتعلم هذا الحق من الله، وما لم نقبله كأمر إلهي مؤكد، فواضح أنه مهما عملت النعمة في إخضاعنا عملياً فإننا نخسر خسارة كبرى إذا لم نعرف الطرق الخاصة التي تشاء إرادة الله أن يكرم الروح القدس بها في الأفراد وفي الكنيسة. وقد قصدت أن أدخل في هذا الموضوع ولو أنه واسع والمجال ضيق.

وسأبين هنا أيضاً – كما بينت في معالجتي لموضوع "الجسد الواحد" – من كلمة الله ما كان يصدق دائماً على الروح القدس، وما ليس له علاقة خاصة بالوقت الحاضر، حتى نستطيع أن نميز جيداً الوسائل التي بواسطتها يظهر الله نفسه في زماننا هذا، وكيف أن المسيحيين عرضة للخطأ في هذا الأمر الذي يعتبر الخطأ فيه خطيراً جداً لأنه مسألة تمس صحة الإقرار بأقنوم إلهي. وإن كنا نحافظ على حق الروح القدس في أن يعمل في الكنيسة حسب إرادته، ففي هذه الحالة لا نعترض على عمله في النفوس – العمل الذي يمارسه من البداية. وكل من له إلمام وإدراك للكتاب المقدس لا يرتاب في هذه الحقيقة ولا في أهميتها، ولا يوجد عنده أقل فكر أو رغبة أو باعث للارتياب في شأنها. فالروح القدس كان على الدوام هو العامل الأصلي فيما قصد الله أن يجريه. فلو نظرنا إلى الآباء الذين اشتهروا بالإيمان فإننا لسنا نظن أن مؤمناً ما يرتاب لحظة واحدة في أنه بواسطة عمل الروح القدس فقط آمن الإنسان قديماً وحديثاً. فهو الذي عمل في هابيل وأخنوخ ونوح وباقي القديسين الذين يشهد لهم الكتاب المقدس. وحينما خطب الله شعبه إسرائيل، فإن كان قد عمل بكيفية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خاصة تناسب إظهار مجده في وسطهم فقد كان الروح القدس هو القوة العاملة خارجاً وداخلاً. فهو الذي كان قد عمل في موسى ومن بعده حتى بصلئيل وفي شمشون ومن تعقبه حتى داود. وإذا ما جئنا إلى الأنبياء فلا حاجة بنا للقول بأنهم كأناس الله القديسين إنما تكلموا مسوقين بقوة الروح القدس، وإن روح المسيح سبق فشهد فيهم بالآلام التي له والأمجاد التي بعدها (ولو أنهم لم يفهموا عن تلك الآلام سوى القليل) ولذلك فكل الذين يدافعون عن الامتيازات الحالية (أي حضور الروح الواحد) لا يوجد لديهم أي ميل لأن يجعلوا هذا الموضوع غامضاً بل على العكس هم يقدرون كل التقدير جميع ما عمله الروح القدس قديماً إذ بالحقيقة ما من أمر كان من الله إلا وعمل الروح القدس.

مفارقة: ما لم يتوقعه اليهود:

إلا أننا عندما نأتي إلى العهد الجديد يعرض لنا أمر جديد. فقد رأينا من (يو ١٢: ٣٤) أن الخبر عن ابن الإنسان محتقر مصلوب مفارق للعالم كان غريباً على مسامع اليهود الذين يرجون أن المسيح يبقى إلى الأبد ويملك على الأرض بالمجد وبالبر. ولكن حالما رفضه الإنسان، وإسرائيل على الأخص، برز هذا الحق – الذي أدهش اليهود – قائلاً أن مسيا وابن الله كان عتيداً أن يفارق الأرض. وإن كان الأمم (كما أعتقد) لا يفكرون في هذا إلا قليلاً ولكن هل أظهروا هم في دورهم حكمة أعظم من أولئك اليهود؟ لقد كان ذلك الإعلان مدهشاً جداً لليهود ولا يتفق لأول وهلة مع الناموس والأنبياء – إذ أنهم كانوا يرجون مسيا الشخص الموعود به الذي كانت مسرة قلوبهم في حضوره، والذي كان يشتاق إليه الملوك والأنبياء من الأعماق لأن الله وضع في نفوسهم ذلك الشوق. ولكن الذي ظنوه متمماً لآمالهم إذا به عتيد أن يفارقهم، ويغوص في لجة الحزن والعار والموت – موت الصليب، تحت يد الإنسان لا بل تحت يد الله!! وليس ذلك فقط بل حتى بعد أن قام من بين الأموات – فبدلاً من أن يحافظ على مجده في كرسي داود أبيه ويملأ الأرض بالبركة التي تنبأ عنها الأنبياء، أجل – بدلاً من أن يتمم لهم ما كانت قلوبهم تصبو إليه لكي يشرق ويضيء العالم إلى الأبد – وإذا به مزمع أن يترك العالم في ظلامه ويرجع إلى السماء من حيث أتى. على أن صعوده إلى الأعالي ليس كنزوله منها: فقد نزل كبن الله لكي يصير إنساناً كما هو مكتوب "والكلمة صار جسداً"، أما الآن فكإنسان قام من بين الأموات كان مزمعاً أن يترك العالم لكي يأخذ مكانه عن يمين الله. وفي حال وجوده هناك وعد أن يرسل الروح القدس بكيفية لم تكن معروفة قبلاً. لقد كانت مهمة العهد القديم أن يعد قلوب اليهود للمسيا على الأرض. أما كون مسيا – بعد موته وقيامته – يغيب عن نظر العالم الذي طرده، ويدخل في مشهد جديد سماوي، وإرسال الروح القدس شخصياً ليحل محل المسيح أثناء غيابه عن العالم، كل هذا لم يكن ينتظره اليهود مطلقاً.

 All rights reserved © 2008-2018

هذا هو الحق الرئيسي الذي يعلنه العهد الجديد بعد إعلانه شخص المسيح. ولكن المسيحيين قد تباعدوا في هذه الأيام عن السير بمقتضاه كالأساس الراسخ وقد انحط هذا الحق في أفكارهم عن مستواه الصحيح حتى لقد اقتصروا على الاعتقاد بمجرد استمرار التأثير الذي كان يحدثه الروح القدس على الدوام. وقد نتج عن ذلك أن كل من يرفض حضوره على الأرض بكيفية خاصة وبصفة شخصية كنتيجة للفداء فإن مثل هذا ينساق إلى طرق محزنة لكي يتخلص من الأقوال الكتابية الواضحة والبسيطة. وأستطيع أن أذكر هنا مثالاً واحداً قد يثير الدهشة في البعض عندما يسمعون مثل هذه التصريحات لاسيما من شخص له شهرة واسعة في المعرفة الروحية. وسنرى من هذا المثال أن عدم الإيمان بهذا الحق السامي (أي حق حضور الروح القدس فعلاً بكيفية لم تكن معروفة قبلاً) هو العلامة التي تظهر أولئك الذين يقاومون هذا الحق بواسطة أنظمتهم. ففي المعزي نراهم يدعون بأن الروح القدس كان يعطي قبلاً وأنه قد فارق الأرض حال وجود الرب عليها حتى يسكبه مرة أخرى عند صعوده إلى السماء. ومن ثم فإن فترة حضور المخلص على الأرض لم تكن فترة عيد مبهج بل بالأحرى فترة موحشة لأن الروح القدس لم يكن موجوداً إذ ذاك!

وقد ذكرت للقارئ مجرد الفكرة حتى أبين له مبلغ التهور الذي من شأن عدم الإيمان أن يقود إليه حتى رجال الله العقلاء. وهل أراني بحاجة إلى أن أقول العكس أن الذين احتاطوا بالمخلص واغتبطوا بتعاليمه تمتعوا بكل ما كان يتمتع به قديسو العهد القديم وأكثر؟ فقد أيقظ الروح القدس نفوسهم كما أجدادهم بإعطائهم الإيمان بالمسيح. وفوق ذلك فإن التلاميذ في يومهم فازوا بحضور المسيا في وسطهم، وبإعلان النعمة والحق به في كلامه وتصرفاته. لاشك أنه كانت لدى الرب أمور كثيرة لم يستطيعوا أن يحتملوها حينئذ كما قال السي له المجد، ومع كل فقد كانوا مؤمنين حقيقيين كالذين سبقوهم. والحقيقة أن محاجة كهذه لهي مجهود ضائع يبذله الإنسان في طريق الهروب من حق الله الخطير.

إعلان النعمة والحق في المسيح:

والعهد الجديد واضح جداً في هذا الموضوع: فنرى فيه أن ربنا له المجد قد أعلن أول كل شيء التعليم عن الروح القدس وذلك لضرورة هذا الأقنوم الإلهي لتسديد حاجة الإنسان لكي يولد من الروح وأن يحصل عليه حتى يستطيع أن يسجد للآب بالروح والحق وأكثر من ذلك فإن الروح القدس هو الذي كان سيعد التلاميذ للعمل العظيم وهو نشر الحق ونعمة الله. وإزاء شدة الحاجة إليه في هذه النواحي فقد ذكر لنا الرب التعليم الخاص به في إصحاح لا مفر منه وهو (يو ٧) وقد وضع الرب ذلك التعليم في قالب الرمز. فقوله أن من يؤمن به تجري من بطنه أنهار ماء حي كان هذا "عن الروح (الذي لم يكن يعطى لشخص حتى يجعله يؤمن بالمسيح بل بالحري هو الذي) كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه. لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد. لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد" ولاشك أن كثرة الأخذ والرد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في آيات صريحة كهذه يعد إهانة لكلمة الله. نعم إننا إذا وجدنا غموضاً في دراستنا فنجتهد في التوضيح، أما إذا وجدنا أن عبارات الوحي أسهل من أية لغة تقوم مقامها فاعتقد أنه يليق بأقوال الكتاب الجزلة السلسة أن تنطبع في ذهن القارئ.

وفي الإصحاحات الأخيرة من إنجيل يوحنا نرى أن ربنا له المجد يخبرنا بطريقة وافية ومحددة ليس فقط عن أن الروح القدس سيعطى بعد تمجيده بكيفية لم تكن قبلاً بل أننا أيضاً سنفوز بعمله الشخصي حينما يرسل إلينا ويأتي إلى أرضنا ولذلك نرى أن شخص ربنا المعبود يتكلم في (يو ١٤) عن الروح القدس كالمعزي. وأرجو أن يلاحظ القارئ أهمية هذا: فقد نتجادل في كون الروح القدس قد أعطي كمجرد قوة روحية لا أكثر، ولكننا لا نقدر أن نخفض من قيمة المعزي الذي قد أرسل – لأنه من هو المعزي إلا الروح القدس نفسه؟ كما أنه لا يقدر واحد أن يقول أن "المعزي" يقصد به معجزة لسان أو أي عمل من الأعمال. لاشك أنه يعمل في هذه الطرق المتنوعة ولكن يجب أن نتذكر أن الذي حل محل المسيا بعد تركه الأرض هو شخص حقيقي. ومجرد قراءة بعض أعداد من (يو ١٤) تجعل القضية سهلة. وما أسهل القول "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" فليس الكلام عن المعجزات أو غيرها فالمعجزات كان لا بد أن تحدث وتنتهي كما انتهت الألسنة. والنبوات تبطل، والعلم أيضاً يبطل، بل بالأحرى الكلام هنا عن شخص إلهي يمكث مع القديس إلى الأبد "روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" لقد كان العالم تحت التزام أن يقبل شخص ربنا يسوع لأنه رآه بصورة بارزة، أما الروح القدس فلأنه لم يتجسد لذلك لم يمكن لعين العالم أن تراه. إنني أسلم بالطبع أن العالم لا يقبل فعلاً شخص ربنا يسوع بطريقة روحية أكثر من قبوله للروح القدس، ومع ذلك توجد إشارات واضحة إلى كيفية حضور الروح القدس هنا على الأرض، كيفية لا تترك مجالاً للعالم ليفكر في إدراكه بواسطة العين أو المعرفة.

وقيل أيضاً في (يو ١٤: ٢٦) "وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم" ون هذا نفهم أن الروح القدس ليس موهبة أو قوة أو مجرد تأثير بل بالأحرى هو ذات فعلية قد أرسلت، وشخص يعلم كل شيء ويذكرنا بكل أقوال الرب. ومن ثم نقرأ في (يو ١٥: ٢٦) "ومتى جاء المعزي" وهنا لا يقول سيدنا "ومتى أرسل المعزي" (لأنه قد يقول البعض بإرسال تأثيره) بل "متى جاء" نعم – "ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق (وما أشد حرص الرب على هذا الموضوع وما أعظم صيانته له) الذي من عند الرب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء" وما أكثر خطورة ووضوح قضية مجيء الروح القدس كما نراه في هذه الفصول. فقد رأينا في (يو ١٤) أن الآب يرسل الروح القدس باسم المسيح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي (يو ١٥) رأينا أن المسيح يرسله من عند الآب. وفي المرة الأولى يقال عنه أنه ذكر التلاميذ بكل ما قاله لهم المسيح وفي المرة الثانية يقال أنه مرسل من الابن ويشهد له. لقد كان التلاميذ معاشرين للمسيح وهو على الأرض لذلك كان عليهم أن يشهدوا لما رأوا. وها هو الروح القدس عتيد أن ينزل من الآب الذي في السماء لكي يكون لربنا يسوع المسيح شهود متحدون.

وعلى أننا لا نزال نجد أن (يو ١٦) يستمر معلناً الحق ذاته بأكثر قوة إذ نه في الحقيقة موضوع خطير وهام جداً. رأينا في الإصحاح الرابع عشر أن الرب أخبر التلاميذ بأنه ينبغي لهم أن يفرحوا لأنه كان ماضياً إلى الآب وكان عازماً أن يترك مشهد الاتضاع والآلام لكي يكون في بيت محبة الآب ومجد الآب. ولو كانت محبتهم بسيطة، وكانوا يفكرون في سيدهم لا في أنفسهم، لكانوا يفرحون لأنه كان مزمعاً أن يمضي إلى الآب. أما في الإصحاح السادس عشر فإنه يضع هذا الحق بصورة أخرى. فيقول له المجد "خير لكم (وليس لي فقط) أن أنطلق" يا للعجب!! هل هذا خير لأولئك التلاميذ المساكين الضعاف الكثيري الخوف والرعب، الذين كان يعتني بهم شخص الرب أمام وجه كل إسرائيل الذي رذله ولم يرض أن يجتمع إليه؟ لا شك أنه كان يجمع أولئك الأصاغر ويظللهم تحت جناحيه، وحتى في ساعة رفضه بسط يديه إليهم. أما الآن فينبغي أن يتركهم وقد كان خيراً لهم أن يمضي إلى الآب. وقائل يقول: كيف يكون ذهاب السيد إلى الآب خيراً للتلاميذ؟ لنا من فم ربنا يسوع جواب لا نملك سواه: فقد كان ذهابه للآب خيراً بالنسبة إلى ما كان في فكره. نعم إن حضوره كمسيا كان سبب غبطة ولكن نظراً لأنه كان على الأرض إنساناً محاطاً بجمع من التلاميذ لذلك كان حضوره محدوداً بالضرورة – إذ لم يكن مستطاعاً أنه يحضر في كل مكان كإنسان. أما الروح القدس فلم تتحد الطبيعة الإنسانية بشخصه الإلهي مثل الابن المبارك. وفضلاً عن ذلك فقد استطاع الروح القدس بعد إتمام الفداء أن يوصل إلى قلوب التلاميذ بكيفية دقيقة قيمة شخص المسيح وعمله – المسيح المرتفع للسماء والمكرم من الله الآب.

وهكذا قد وضعت أسس الحق. فالرب يسوع لم يكن ليترك العالم أو يمضي إلى الآب إلا بعد أن يسوي إلى الأبد كل المسائل التي كانت بين الله وبين الإنسان الخاطئ. ولما أبطلت الخطية بذبيحة نفسه فوق الصليب، وتثبت البر في المسيح المقام من بين الأموات والمرتفع إلى الأعالي، لم تصبح المسألة مجرد نعمة خالصة كذب قبل بل بالأحرى أصبحت مسألة بر الله بعمل المخلص. فقد رجحت كفة الميزان لخير الإنسان الخاطئ بحق فاعلية دم الحبيب – لأن الإنسان يسوع المسيح هو الذي مجد الله من جهة الخطية بواسطة سفك دمه. لاشك أنه كان ابنه الحبيب وعطية نعمته التي لا يعبر عنها – وهنا لا يستطيع الإنسان أن يفخر بشيء لأنه هو الذي رذل الابن وأبغضه بلا سبب! ومع كل لا ننسى أن الله تطلع إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأرض، ولاسيما الصليب، ليرى ذلك فبدت مسألة جديدة وهي: ماذا يفعل الله لهذا الإنسان المبارك؟ ولكن هل لأنه كان ابنه العزيز لذلك أحبه ورفعه أقل من كونه الإنسان الذي مجده فوق الصليب؟ لقد أقام الله الإنسان يسوع من القبر وأجلسه عن يمينه. ولم يكن هذا العمل تكريماً لشخص المسيح وحده ب هو مقياس قبول المؤمنين بفضل المسيح في فرط نعمة الله. وما كان أكثر دهشة السموات وأعلى مديحها وتسبيحها عندما رأت الإنسان الذي وضع قليلاً عن الملائكة قد ارتفع في شخص المسيح فوق كل رياسة وسلطان ليلجلس على عرش الله؟ لا بل ومن تلك اللحظة قد أصبحت مشغولية الله نفسه، ومسرته تعالى، أن يظهر تقديره لذلك الإنسان الذي بالرغم من الخطية والموت والشيطان والدينونة الإلهية قد استرجع لله حقوقه وحصّل مجداً لاسمه الكريم بواسطة إنقاذ الخاطئ إلى النهاية إذ قد احتمل الآلام لأجله. وقبل هذا كان الإنسان هو الآلة الفعالة على الدوام في إهانة الله. وما كان تعالى ليلحقه أي استخفاف أو إهانة أو افتراء من كل الخليقة مثل الذي لحقه من الإنسان! إن الشيطان لما ترك حالته الأولى أضاع إلى الأبد مركزه وفوق ذلك فالدينونة المروعة تنتظره، إذ لا توجد ذرة من الرحمة أو أشعة من الأمل تتخلل تلك الظلمة الحالكة التي أغرقت الخطية فيها ذلك الملاك الساقط. أما الآن فبعد أن أحب الإنسان الظلمة أكثر من النور، وبعد أن جرى شوطاً بعيداً في طريقه العدائي ضد الله! فقد تحولت الدفة في موت المسيح الرب وبواسطة عمله.

بر الله:

وعلى هذا الأساس يتغنى الرسول بولس بالقول "بر الله" ويملأ به كتاباته. فإن كان قد ثبت الآن أكثر من قبل أن الإنسان هالك فإن الله من الجهة الأخرى عليه دين يفيه، وكجزء من وفاء ذلك الدين قد أجلس الرب يسوع كإنسان عن يمينه، وبرر من يؤمن به تبريراً مجانياً وإلى النهاية وأرسل الروح القدس حتى يكون حلقة اتصال إلهية بين ذلك الإنسان المبارك وهو في المجد وبين الذين يؤمنون به حتى أولئك الذين فزعوا لفكرة رحيله عنهم. ويا له من تغيير عجيب حدث بعد ذهاب السيد! فلم ينل التلاميذ والمؤمنون من بعدهم فطنة روحية فقط بل نالوا قوة أيضاً. فبطرس الذي كان قد أنكر الرب استطاع بعد ذلك التغيير أن يقف بجرأة ويخاطب اليهود قائلاً "ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار" وأمام هذا القول صمت الجميع وما أجابوا. أما نكرانه فقد نسي إلى التمام، وأتجاسر وأقول أنه قد مجد الرب أكثر من قبل ذلك النكران. فقد اتقدت نفسه قوة فعالة، وامتلأت نصرة عجيبة، وفاز بمعرفة سامية لا عن ضعفه وعدم استحقاقه فقط بل عن الله والقيامة وعن نعمته، وحصل على إدراك نصيبه في المسيح – ذلك النصيب الذي زاد على ما كان يدركه قبلاً. لاشك أن اليهود كانوا يعرفون جيداً ما عمله بطرس لأن أنكر سيده جهراً في دار رئيس الكهنة وأمام شعب مستعد لأن يلاحظ أغلاط أحد تلاميذ المسيح، ومع ذلك فقد وقف ذلك الشخص الذي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنكر سيده ثلاث مرات وبفيض النعمة جابه اليهود مخبراً إياهم بملء الشجاعة أنهم هم الذين "أنكروا القدوس البار" أجل – فقد تطهر ضميره ولم يكن له فيما بعد ضمير خطايا – "عب ١٠" وكل ما كان عليه أمام الله قد أمحي لا بل وقد تبرأ من كل أمر.

هذه ثمرة واحدة كريمة وثمينة ولكن من أين جاءت؟ لقد كان بطرس مؤمناً ومولوداً ولادة جديدة من قبل، فما الذي أحدث هذا التغيير يا ترى؟ لقد كان لذلك التغيير ناحية واحدة من نواحي عقبى الخلاص العظيم، تمت بقوة روح الله الذي أتى من السماء وقد عمل في بطرس من هذه الناحية. ولاشك أنه سبق ذلك تدريب أدبي في بطرس وتوبة عميقة عن خطاياه ورد لنفسه، غير أن الذي ناله بعدئذ أكثر من هذا كله: فلقد حصل على عطية الروح القدس وعلى قوته الإلهية الفعالة. وهنا أيها القارئ تظهر الكنيسة ضعفها بواسطة عدم الإيمان! ولم تصبح المسألة لدى المؤمن مجرد قضية سلبية بل بالأحرى مسألة قوة فعلية حاضرة كما قيل لتيموثاوس الذي احتاج الأمر أن يذكره الرسول بحقيقة تلك القوة أنه لم يعط روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح.

الروح القدس "البارقليط"

والآن لنرجع إلى ذلك الحق السامي. لقد رأينا في (يو ١٤ و ١٥ و ١٦) أن ربنا يسوع يعلن عمن سيخلفه في حضوره الشخصي على الأرض، وهو "بارقليط" إلهي حقيقي ندعوه الأقنوم الثالث الأقدس. وبهذه المناسبة أقول أنني لا أحبذ كلمة، أقنوم ثاني أو ثالث، لأن ذلك يفهم منه وجود تفاوت في اللاهوت الأمر الذي لا يقول به الكتاب. إننا قد ندخل التشبيه الإنساني في الموضوع ونتكلم عن ابن وعن كيفية خضوعه لأبيه ولكن مثل هذا التشبيه يخفى تحت طياته خطراً جاثماً عظيماً طالما استغله إبليس، فالكتاب المقدس يرينا أن الآب هو الله والابن هو الله والروح القدس هو الله وأنهم إله واحد متساوون في كل شيء.
فإدخال التفاوت في اللاهوت إنما هو آلة لهدم اللاهوت الخاص بالابن وبالروح القدس. على أن فكرة التفاوت تصح عندما نتأمل في المركز الإنساني الذي تنازل الابن وأخذه، أو في الوظيفة التي يشغلها الروح القدس الآن لمجد الابن، على مثال ما عمله الابن، إذ خدم الله الآب وسيملك على الأرض لمجده تعالى.

ولكن لنرجع أيضاً إلى تلك الإصحاحات العجيبة من إنجيل يوحنا حيث يخبرنا ربنا يسوع في واحد منها أنه كان خيراً أن يمضي إلى الآب فيقول له المجد "لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي ولكن إن ذهبت أسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بي. وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضاً. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين". ولست أقصد أن أذكر أية ملاحظة عن هذه الآيات بل قصدت إيراد الحق بوجه عام. ومنها ندرك الغرضين اللذين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لأجلهما جاء الروح القدس. فقد أثبت أن العالم تحت الخطية وأنه لا يوجد أي بر إلا في ذلك الشخص الكامل الموجود مع الآب وأن رئيس هذا العالم قد دين – ولو أن الدينونة لم تنفذ فيه فعلاً إلا أنه قد دين. لقد كان للعالم رجاء بواسطة اليهود أما الآن فبالنظر إلى ما صرح به شخص ربنا للتلاميذ عن انطلاقه وعن مجيء الروح القدس فواضح أن العالم قد هلك وأن الروح القدس قد صار موبخاً له. ثم أن الروح القدس هو الذي كان عتيداً أن يرشد التلاميذ إلى الحق ويأخذ مما للمسيح ويخبرهم ممجداً إياه. ومن هنا يتضح لنا أنه توجد علاقة مزدوجة للروح القدس، أولها العالم كنظام خارجي وهذا قد دين. وثانيها القديسون الذين سيرشدهم ويخبرهم عن أمور عتيدة لا بل وعن كل ما يختص بالمسيح وبمجده العظيم. هذا هو التعليم الواضح السهل الذي يكتبه لنا الرسول يوحنا عن الروح القدس.

إتمام مواعيد الرب:

وهيا بنا ندخل في سفر أعمال الرسل لعلنا نجد فيه ما يفيد إتمام مواعيد الرب، ولاشك أننا واجدون. ففي الإصحاح الأول من ذلك السفر نرى أن التلاميذ كانوا موجودين مع الرب وكانوا يشتركون معه اشتراكاً هنيئاً فيما كان يملأ قلبه قبل انطلاقه. فقد كانوا يرقبون ملكوتاً يفوق بالكثير على العالم وعلى إسرائيل. وإن لم تكن أفكارهم قد انحطت بدرجة انحطاط أفكار المسيحيين الذين يقولون اليوم بملك ألف سنة بلا مسيح، الأمر المخجل لهم وهم يرفعون عقيرتهم بيننا تفاخرا وإعجاباً – إلا أن أفكار التلاميذ في يومهم لم تكن أسمى من أفكار اليهود العاديين. كما أنهم لم يكونوا قد فهموا وقتئذ الرجاء المسيحي الثمين ذلك لأن أفكار المسيحيين هي أفكار السماء بموجب إخبار الروح القدس لهم، الإخبار الذي لاق بالآب إذ أن ذلك كله كان مرتكزاً في الابن وفي مجده السماوي. في تلك الشركة قد دخلنا أيها القارئ! لا في شركة مع الأنبياء في الرؤى المباركة التي رأوها عن مجد عتيد أن يملأ الأرض بل "مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح". أما في حادثة (أعمال ١) فإن التلاميذ لم يكونوا قد حصلوا على قوة الإدراك لأن الروح القدس لم يكن جاء شخصياً مع أنهم كانوا حاصلين وقتئذ لا على حياة فقط بل على حياة في القيامة ففي نفس اليوم الذي قام فيه شخص الرب من بين الأموات نفخ فيهم فعلاً وقال لهم "اقبلوا الروح القدس" على أن هذا لم يكن بالطبع نوال عطية المعزي، ذلك الشخص الإلهي الموعود به والذي كان عتيداً أن يقوم المسيح على الأرض بل بالأحرى كان هذا عبارة عن توصيل حياة المسيح بعد القيامة بواسطة الروح القدس. لذلك أعتقد أن نفخ السيد في التلاميذ كان فيه إشارة إلى نفخ الرب الإله في آدم. غير أن بين العملين فرقاً. فقديماً كانت النفخة لقبول الحياة الطبيعية لآدم أما الآن فقد وجد على الأرض شخص إلهي كان رباً وإلهاً (كما اعترف توما) وفي نفس الوقت كان الإنسان المقام أو آدم الأخير الروح المحيي لذلك هو يعطي هذه الحياة بواسطة الروح القدس (لأن الحياة لابد من إعطائها بواسطته) لأجل هذا قيل "اقبلوا الروح القدس". ومع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كل فإننا نتعلم من (أعمال ١) أن الروح القدس الذي هو المعزي لم يكن قد جاء حينئذ ونستنتج هذا من حق بسيط وهو أن الرب لم يكن قد انطلق بعد كما قال له المجد "إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي" فكان حتى ذلك الوقت موجوداً مع التلاميذ وأوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب. ومهما كانت البركة التي فازوا بها يوم القيامة إلا أنها مع ذلك لم تكن هي إتمام موعد الآب.

أما الإصحاح الثاني من هذا السفر فإنه يرينا الروح القدس عاملاً على الأرض في غياب المسيح بطرق متنوعة. فيخبرنا ذلك الإصحاح عن مظاهر غير عادية للنعمة الإلهية بدت في موهبة الألسن التي سمت على التشويش الذي جلبته خطية الإنسان والقضاء الإلهي إلى العالم في اختلاف الشعوب والأجناس والألسن – الأمر الذي ظل موجوداً منذ أيام بابل حتى عصرنا الحاضر. وها نحن أولاء نرى الروح القدس يذيع أخبار عجائب نعمة الله للجميع، وكأنها تثبت أنه حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً. ولكن يجب ألا ننسى الألسنة الجديدة لم تكن هي حضور الروح القدس بالذات – ولو أنها كانت ثمرة عجيبة لعمله الإلهي – بل كانت نتيجة وعلامة واضحة للرب الذي مرة صلب والآن هو مرتفع ممجد وشهادة عامة لبشارة النعمة بالمقابلة مع الناموس. ومع ذلك فلم تكن هي بالذات عطية الروح القدس نفسه. وهذا الحق في غاية الخطورة لأن عدم إيمان البعض قد جعلهم يتوغلون في الاعتقاد والقول بأنه إذا لم تكن الألسنة موجودة الآن فإن الروح القدس ليس موجوداً كذلك. وكم في هذا الاعتقاد من تحقير لحضور الروح القدس! ونكران للمسيحية وللكنيسة! فالحقيقة هي أن الألسنة وسائر القوات التي سر الروح القدس حينئذ أن يجريها لم تكن كلها سوى علامات معجزية تتناسب مع حضوره ومع إعلانه الإنجيل وتأسيسه الكنيسة. وقد كانت هذه الحالة جديدة على الإطلاق ولم يسبق لها نظير. لقد كانت المعجزات تتبع خطوات الابن في حال وجوده على الأرض وترافق كلمته لأن ذلك كان يليق به وقد ناسب في وقته إتمام النبوات. فإذ قد جاء شخص إلهي آخر أفلم يكن من اللائق وجود براهين تثبت حضوره لاسيما وأن ذلك الشخص الإلهي لم يتخذ هيئة ثابتة تظهره للعيان نظير ابن الله؟ لأجل ذلك كانت الحاجة ماسة جداً لوجود آثار واضحة وعلامات تسترعي الالتفات وتدعو قلب الإنسان لأن يزن ما هو الله وماذا يعمل – ليس فقط كما ظهر في الابن بل كما شهد الروح القدس الحاضر على الأرض.

هذا هو الحق الأساسي الذي تقوم عليه كل الحقائق التي نراها في طول العهد الجديد وعرضه. فقد اصطدم الناس وقتئذ بحقيقة لم يكن لها نظير يجهلها العالم كل الجهل إذا لم تقل أنها أدهشت حتى أولئك الذين تعلموا من الرب نفسه أن ينتظروا حدوثها – تلك هي حقيقة حضور الروح القدس بالذات وإشهاره ذلك الحضور بختم القوة المجيدة ليعلمه الناس ويقرأوه بوضوح وبكل جلاء. ولذلك إذا ما تصفحنا سفر الأعمال كله فإننا نواجه لأول مرة

 All rights reserved © 2008-2018

شهادة واضحة لا عن عمله ومنتجات ذلك العمل وحسب بل عن الحق المجيد، حق وجوده شخصياً في ذلك الزمان. وتأمل أيها القارئ في الحادثة المدونة في (أعمال ٤) التي انفجر فيها لأول مرة عداء العالم الديني وتأمل في جواب الروح القدس عن تلك الحادثة كما هو مذكور في عدد ٣١. وخذ أيضاً تلك الخطية الأولى والفضيحة المشهورة التي نرى فيها أن حنانيا وسفيره قد حكم عليهما في حال خطيتهما بأنهما لم يكذبا على الناس بل على الله. وسل أيها القارئ عن كيفية إثبات ذلك!! الجواب: أنهما كذبا على الروح القدس الذي كان موجوداً حينذاك. وكان قياس الحكم عليهما ذلك الشخص الذي أهاناه والذي كان موجوداً في وسطهما. ودعني أقل أيها القارئ أن مقياس الخطية هذا صحيح في الحالات الفردية كما في الكنيسة أيضاً. ومن ثم نرى أن الرسول في (أف ٤: ٣٠) لا يحذرنا من مجرد كسر وصية أو أخرى بل يوصينا قائلاً "ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء". وما أحرانا أيها العزيز أن نمعن التأمل في هذا القول!!

وعندي، أنه كلما تأمل أولاد الله في هذه القضية كلما شعروا بخطورتها وأهميتها. فلو فرضنا مثلاً أن واحداً ممن نعزهم، ونسر بهم، حضر معنا، أفلا يكون حضور ذلك العزيز مؤثراً على طرقنا وكلماتنا بما يناسب تقديرنا ومحبتنا لحضوره معنا؟ قد أكون في حياتي العادية في سكون وهدوء ولكن إذا مكث معي حبيب يجذب تكريمي وتقديري له فلا شك أنني أحس وجوده إحساساً عميقاً و إلا فإنني جماد. وعلى كل حال ففي وجود ذلك الحبيب معي لا شك أنني أفتكر في كل ما يجلب له السرور، وأحاذر مما يجرح إحساساته، وقلبي يكون يقظاً ونشيطاً فرحاً في أن يعمل ما يرضي ذلك الحبيب. هذا مثال أردنا أن ندلل به عما يجب أن نعمله للروح القدس الذي بمجرد إتمام الفداء قد أتى إلينا إذ قد محي عن كل مؤمن ما كان الله يغتاظ منه وأصبح كل قديس يقف بالبر الإلهي أمام الله – وكل ذلك قد صار له في المسيح. فكيف إذن يغيب الروح القدس؟ إذ ينبغي له أن يقوم بنصيبه في العمل بعد أن صنع كل ما هو كريم في عيني الله والإنسان وإذا كان الآب قد أتم أغراضه في الابن وبالابن فهل يجوز أن يكون الروح القدس غائباً فلا يعمل؟ والآن وقد أكمل الله عمله العظيم، أي عمل المسيح الكفاري، وحيث قد وجد دم الذبيحة المقبولة استطاع الروح القدس لا أن يعمل فقط بل أن يسكن أيضاً. لأنه إذ دخل المسيح بدمه إلى الأقداس مرة واحدة فوجد فداء أبدياً فإن الروح القدس قد أتى ليمكث معنا إلى الأبد: هذا هو الأساس والقياس لكل أمر. وعليه، فإن سفر الأعمال هو بالأحرى سفر أعمال الروح القدس لا أعمال الرسل ولو أنهم كانوا أواني مهمة في يده ومع ذلك فلم يعملوا وحدهم. لقد رأينا في حادثة حنانيا وسفيره أن الروح القدس قد حكم في القضية بحضوره وتصرف بمقتضى ذلك، ورأينا أيضاً حينما كان التلاميذ في خطر الفزع من تهديدات الناس أن الروح القدس تنازل فأثبت حضوره العظيم ببرهان مشجع مبهج. فلم تكن المسألة مجرد وجود بطرس أو يوحنا أو من سواهما بل أن المكان الذي كانوا مجتمعين فيه قد تزعزع في ذلك الوقت. ومن ذا الذي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حضوره أحدث تلك الزعزعة يا ترى؟ وفي وسط من حدثت؟ إنه حضور الروح القدس ليس في فرد من الأفراد أو غيره بل في جماعة الله. وأكثر من ذلك فإننا نرى من (أعمال ١٣ أن الروح القدس أخذ مركز العمل البارز وأرسل بولس وبرنابا للعمل كما قال "أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه" "وهذا إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية... " وأشير هنا فقط إلى الحادثة لأبين أن المسألة ليست مسألة معجزات وألسنة وقوات بل مسألة شخص إلهي حقيقي كان الفاعل الرئيسي كموجود في كنيسة الله، وأن حضور الروح القدس شخصياً في الإنسان كان شيئاً جديداً ولم يكن له مثال في معاملات الله وطرقه قديماً (قارن أيضاً أعمال ٨: ٢٩ و ٣٩، ص ١٥: ٢٨، ص ١٦: ٧، ص ٢٠: ٢٣، ص ٢١: ١١).

حضور الروح القدس: في الأفراد وفي الكنيسة:

وتعال معي أيها القارئ لندخل سوياً في الرسائل متجاوزين الفصول الكتابية التي تشهد بحضور الروح القدس في الأفراد. ولو أن حضوره في الأفراد خطير ومهم جداً إلا أنه ليس موضوعي، بل أنا أقصد أن أتكلم عن حضوره في الكنيسة ولذلك سأتجاوز رسالة رومية التي تتكلم عن نسبتنا الفردية إلى الله، وتعتبرنا أولاداً له تعالى. فهي تخبرنا أننا قد انتقلنا من مركز الموت والخطية وصرنا أولاد الله وإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً والروح القدس يعطينا روح التبني ويملأ قلوبنا برجاء الميراث العتيد. أما رسالتا كورنثوس فلا تتكلمان عن حالة الإنسان ولا عن إعلان البر الإلهي ونتيجتهما في الخطاة والقديسين كما نرى في رومية، بل بالأحرى موضوعهما كنيسة الله في حالة الخطأ المحزنة، حالة العار وعدم الترتيب – ومع ذلك فلا تزال هي كنيسة الله!! وإذ ذاك نرى التعليم عن الروح القدس موضحاً فيهما في مكانه اللائق باعتبار الروح القدس موجود في الكنيسة. والنص الذي جعلناه محور تأملنا (١ كو ١٢: ١ - ١٣) يظهر لنا عمله في الكنيسة وما أسهل وأوضح هذه الأقوال. فهي تتكلم عن الروح القدس كشخص حقيقي حاضر وعامل في مواهب وآيات خارجية كما في طريق لبنيان المؤمنين. ومهما تنوعت صور عمله فالحق العظيم هو أنه كان موجوداً بنفسه وعمل في أفراد جماعة الله الكثيرين. وهل ترى كان هذا كله مظهراً وقتياً أو أن حضور الروح القدس كان قوام هذا جميعه؟ وهل كان هذا الذي نقرأه في فصلنا المطروح أمامنا محصوراً في جماعة محلية خاصة ولزمان خاص مضى وراح أو أن لنا في زماننا، ولكنيسة الله على وجه العموم في كل الأزمنة، ما يخصنا ويخص كنيسة الله في تلك الأقوال؟ لا شك أننا نرتاب في الجواب ما دمنا خاضعين لكلمة الله فإن ربنا المبارك قد أخبرنا في (يو ١٤) أن روح الحق سيمكث مع تلاميذه إلى الأبد وهذا بالمقابلة مع غيابه الوقتي عنهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولا ننسى أن رسالة كورنثوس الأولى لم تفتتح بدون أن يجعلها الروح القدس ذات تطبيق أوسع من دائرة كنيسة كورنثوس إذ نقرأ في الإصحاح الأول منها قول الرسول "إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع المدعوين قديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا" وهذا القول لم يرد في الرسالة الثانية وفي الحقيقة لست أؤكد إذا كان قد ورد ما يماثله بالضبط في مكان آخر من العهد الجديد. فهل نعد ما جاء في (١ كو ١: ٢) خطأ؟ دعنا من كل من يأثم بهذا الفكر وأرجو ألا يكون بين قارئي كتابي هذا من لا يعترف بمثل هذا الفكر وأرجو ألا يكون بين قارئي كتابي هذا من لا يعترف بمثل هذا الفكر كخطية ضد الله. إذ هل نظن أن في كلمة الله خطأ؟ بالعكس فإنني أرى فيها حكمة الروح القدس الخاصة، وصلاح ذلك الأقنوم الإلهي الذي سبق فرأى عدم إيمان المسيحيين، وهو الذي عرف أن هذه الرسالة سوف يعتبرها المسيحيون كرسالة خاصة لها معناها الخاص الذي كان ينطبق على زمان ومكان مضيا وراحا وأصبحت لا تصدق على كل الذين يدعون باسم الرب يسوع المسيح "لهم ولنا". وقد حرض الروح القدس من أول الأمر ضد فكر كهذا وأوضح أن مثل الاعتراض المذكور إنما هو مقاومة صريحة لكلمة الله. وهكذا لم تعد المسألة مسألة رأي شخصي فقد تكلم الله وكتب لنا حتى نصدقه وهو الرسالة قد قصد بها أن تكون ذات معنى واسع ولذلك فكل شك في عدم استمرار عمل الروح القدس في الجماعة طالما كان الروح والكنيسة موجودين هنا – يجب أن نعتبره خطية لا بل ورفضا صريحاً لكلمة الله الواضحة. أفليس عدم الإيمان أيها القارئ هو الذي يقلل من قيمة حضور الروح القدس شخصياً في الكنيسة؟

ولم نقصد مطلقاً أن نقول أن الروح القدس لابد أن يعمل بالطرق الكثيرة التي كان يعمل بها قبلاً، وعلى نفس قياس القوة في ذلك الوقت. وفي الأواخر من العهد الجديد لا نقرأ كثيراً عن المعجزات إذ أنها كانت قليلة جداً وأخذت تقل كثيراً على مر الأزمنة. نحن نعلم أن معاملة الله في العهد الجديد تختلف عنها في العهد القديم ولذلك أمام هذه المعاملة الجديدة يسهل علينا أن نعرف أن الله قد رضي في صلاحه تعالى بوجود تلك الأعمال العجيبة ومظاهر القوات العظيمة لإيقاظ المتغافلين. أما وقد تثبت حق حضور الروح القدس، وكتبت أخباره الجديدة بالتدريج، وأصبح أمامنا ليس مجرد برهان علامات خارجية بل وحي صريح أودع لمسئولية الإنسان، فإننا ندرك بسهولة أن الشهادات الخارجية لم تعد مطلوبة اليوم وأن روح الله (وهو كما نعلم محزون مما يجده في كثيرين نم المعترفين باسم المسيح) استطاع أن يسحب تدريجياً لا نفسه – بل مظاهر العلامات العظيمة، ورفض أن يضع زينة خارجية على ما أهان الرب يسوع.

وواضح أننا لا نقرأ ولا نسمع، حتى في الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤيا، شيئاً عن قوات الدهر الآتي. ولا شك في أن هذا الترتيب إنما هو من حكمة الله بالنظر إلى الحالة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التي كنا عتيدين أن نصل إليها. وأفتكر أنه من السهل علينا أن نميز ببصيرة روحية السبب الذي لجله أصبح استمرار تلك القوات المعجزية غير لائق بمجد الله. ولنفرض جدلاً أن الله أراد أن يعمل الآن بواسطة المعجزات فواضح أن هذه المعجزات تظهر بإحدى الطريقتين الآتيتين: فواحدة منها أن الله يعمل تلك المعجزات حيث يبشر باسم المسيح وحيث يعرف هذا الاسم. ودعنا نتأمل أيها القارئ في حدود هذه الناحية: فمعنى هذا حصول معجزات في رومية وفي كونتربري وبين المشيخيين والاستقلاليين والوسليين والمعمدانيين والكلفنيين والأرمن واللوثريين وبين الكنيسة اليونانية وسائر المذاهب والطوائف المسيحية. وقد يجوز أن يكون بين أفراد تلك الطوائف من يبتهج بمنظر المعجزات على أنني شخصياً لا أحسدهم. وأعتقد أن القارئ العزيز يشعر شعوراً عميقاً بشذوذ ختم ظاهري كهذا على كتلة من الفساد مثل هذه. ولو فرضنا أن الله سر بأن يقول أنه لا يستطيع أن يعطي علامات قوته ومجده هذه حيث تعم الفوضى والعصيان ويحوطان بالكنيسة في الوقت الحاضر. ولذلك يقتضي أن يعين جماعة واحدة فمن هي تلك الجماعة؟ طبعاً هذا من رابع المستحيلات أن يحصل ولا ينبغي أن يحصل وحاشا لنا أن نتمناه والحالة هكذا!

ولكن دعنا نتصور أن الرب تطلع إلى أحد أولاد الله مجتمعاً في مكان ما وقال "انظر إلى شعبي الخاضع لكلمتي وحيث أجد اثنين أو ثلاثة مجتمعين في أي مكان باسمي فهناك أجري المعجزات" فماذا تكون النتيجة؟ إننا لا نعرف كيف نتصرف، لأننا ضعاف جداً وأغبياء ومعرضون للإعجاب بذواتنا. وحتى لو حدثت المعجزات في زماننا الحاضر فإننا مع ضعفنا المستمر، وعدائنا، وروح الاحتقار الموجود فينا، لا نقدر أن نضبط أنفسنا. ولا ننس فوق ذلك استخفافنا بأولئك الذين نعترف أنهم حقيقة أعضاء للمسيح وهياكل للروح القدس نظيرنا بالتمام.

وإنني موقن أن هذا راجع إلى وجود نعمة كاملة وحكمة سامية في طرق الله، وهو تعالى لا يعمل بالمعجزات فيما بعد. على أن الحق الذي قصددت أن يكون موضوع خطابي هذا هو أن الروح القدس قد أعطي ليس كمجرد مظهر القوة على الأرض بل كعلامة ودليل على تقدير الله لقيمة الصليب. والله الآب قد أعطى الروح القدس للمؤمنين كختم الفداء العديم التغير، الكامل، المطلق في فاعليته. وأقول بكل وقار واحترام أنه إذا نزع الروح القدس من أضعف قديس على الأرض فلا يكون هذا ذراية بالمؤمن أكثر من كونه إهانة لابن الله ولعمله الكفاري. وينتج من ذلك أن يقال بأن خراب الكنيسة قلل من كرامة دم المسيح. ولكن هل من عادة الله أن يؤيد الكذب؟ وهنا حصن الإيمان ومعقله، وهنا نستريح واثقين وادعين. ليس فقط لأن الرب يسوع قد أوضح فكر وأغراض الله، بل أننا في نعمته نستطيع إلى حد ما أن نفهم أساس تلك الأغراض وعلتها وصفاتها وغايتها كما معناها أيضاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ونستطيع أن نقدر هذا كله ونتمتع به بواسطة الإيمان لأن الله قد أوضحه لنا. وإذا لم يكن المقصود من كلمة الله أننا نفهم فكره ونشعر بمحبته ونتأكد من حقه وحكمته وصلاحه فلماذا أعطاها لنا يا ترى؟ ومن ثم نحن موقنون أن الله، بإرساله الروح القدس ليمكث دائماً مع المؤمنين مهما كانت حالتهم محزنة فردياً أو اجتماعياً، لم يعط مجرد علامة لإثبات موافقته عليهم، بل بالحري كعنوان سروره في العمل الذي قام به ابنه المحبوب شخصياً.
نحن نعلم أن الروح القدس حل على المسيح حينما كان على الأرض بدون رش دم، ذلك لأن المسيح كان على الدوام بلا خطية، كاملاً أدبياً كما هو الآن في السماء، وقداسته كإنسان ليست بأقل مطلقاً من قداسته كالله. ونحن لا ننسى بالطبع أن المسيح كان عليه أن يتكمل بمعنى آخر لكي يصير رئيس الخلاص ولكي يتكرس كاهناً سماوياً. نعم – وواضح أنه كان لديه عمل ليعمله ومركز مجد رسمي ليحصل عليه ولكن لم يكن شيء من ذلك يستطيع أن يزيد على كماله الأدبي ذرة واحدة. ولذلك استطاع أن يقبل الروح القدس لنفسه كإنسان مع عدم رش الدم. غير أنه بعد صعوده إلى الأعالي قبل من الآب موعد الروح القدس وكم في هذا الحق من تعزية وثقة وادعة وراحة هنية! ولو فرض أن الروح القدس أعطي لنا نحن رأساً لكان جائزاً أن نظن أننا إذا لم نتصرف كما ينبغي فإن الروح القدس ينزع منا، ولا نعجب حينئذ إذا رأينا نفساً تضطرب تحت عامل هذا الفكر. ولكننا نشكر الله، فالآب قد أعطى الروح القدس مرة ثانية للمسيح: إذ لما صعد إلى الأعالي قبل من الآب موعد الروح القدس وسكب ما رآه وسمعه الذين كانوا حاضرين في يوم الخمسين. فالعطية كانت بفضل المسيح الذي بعد أن محا خطايانا قبلها كنتيجة لعمله. والأساس الراسخ الأمين الذي يقوم عليه أمام الله ودوام حضور الروح القدس في القديسين أفراداً وفي الكنيسة، هو محبة الله للمسيح وتقديره لعمله الذي صار لأجلنا (هذا إذا لم نتكلم عن كلمته العديمة التغير).

اجتماعات المسيحيين تشهد على حضور الروح:

وقبل أن أختم خطابي هذا أذكر بعض كلمات عملية ولا أطيل فيها لأننا سنرى في المحاضرات التالية تطبيقاً ونتائج أخرى عليها. ودعني أسألك أيها القارئ هذا السؤال: إذا وجد شخص إلهي على الأرض يسكن في القديسين فردياً وفيهم باعتبارهم كنيسة الله فهل يعتبر هذا أمراً ثانوياً؟ وهل هذا الحق يمكن أن يتأثر بالظروف؟ وهل هو من الأمور التي يمكن أن نقصيها عنا رغبة في عدم إزعاج البعض منا؟ وهل يقدر أولئك الذين يفتكرون هذه الأفكار ويتفوهون بها ويتصرفون بمقتضاها أن يؤمنوا بصحة حضور الروح القدس موجود فعلاً في الكنيسة على الأرض؟ ولست أشير بهذا السؤال الأخير إلى مجد الروح القدس الإلهي الذي يملأ به كل الأشياء لأن هذا من الأمور الحقيقية على الدوام. فهو حقيقي قبل مجيء المسيح وبعده، كما أن هذا الحق يصدق بالتمام على أقانيم الثالوث المقدس.
ولكن كما أن الابن نزل من السماء وعاش كإنسان نيفاً وثلاثين سنة ثم انطلق، هكذا قد أتى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الروح القدس شخصياً ليمكث معنا ويدوم فينا بطريقة لم تكن معروفة قبلاً إلا في المسيح. لقد قلت أن الروح القدس أتى ليمكث معنا ويدوم فينا شخصياً وكما كان المسيح هيكل الله الوحيد الحقيقي هكذا أصبحت فعلية عملية وكامتياز أيضاً للقديس وللكنيسة. وعلى ذلك، فإذا طبقنا هذا الحق على اجتماعات المسيحيين، فإن مسئوليتهم تقوم في أن تلك الاجتماعات يجب أن يسوسها حق وجود الروح القدس هناك.

وإن قال قائل: ولكن كيف يعمل الروح القدس عمله حيث يعترف بحضوره فإننا نحيله على الفصل الموضوع رأساً لخطابنا هذا فيجد فيه الجواب وهو أن الروح القدس يوزع على كل واحد بمفرده كما يشاء. أفلا نعترف إذن بحضوره؟ إزاء هذا العمل؟ ألا نحترم عمله ونقدره حق تقدير؟ وما الذي نكتشفه لو قصدنا أن نمتحن (بكلمة الله) تصرفات المسيحيين في هذا الموضوع؟ ولو أنني لست أشاء أن أزعج أحداً ولا أن أثير خصومة أو جدلاً غير أنني أقول أنه توجد بعض حقائق لا يجوز التسامح في التوفيق فيها ومساواتها إلى حد أغراض المعاندين وفي الحقيقة أن كل الحق الإلهي يرفض مثل هذا التوفيق غير اللائق. وماذا لنا أيها القارئ – من المشاعر والإيمان والأمانة لهذا الحق المهم للكنيسة، والجوهري للتكريم الصحيح لشخص الروح القدس وللرب نفسه؟ وهل أنت ترتاب في أن كنيسة الله قد أصبحت في عدم النظام؟ وأي مسيحي عاقل ذاك الذي لا يعترف بهذا الحق الصادق مهما تفاوتت درجة اعترافه؟ وهل يوجد شخص روحي يدرك أن الحالة الحاضرة التي صارت إليها الكنيسة تتفق مع ما نقرأه في العهد الجديد؟ ألا أشعر بخطيتي في هذا الأمر المحزن وبخطية الكنيسة فيه وأتذلل أمام الله لأجل تلك الخطية؟ ألا ينبغي على أن أسعى لأكون حيث يعترف بحضور الروح القدس؟ ولا يهم مطلقاً أين كنت بجهالة قبلاً – إذ لا أشك أنني كنت في مكان ليس فيه أي مظهر من مظاهر الاعتراف بحضور الروح القدس وبعمله حسب الكتب، وقد أكون اشتركت مع البعض في الصلاة لله حتى يسكب الروح القدس مرة ثانية (كنه لم يأت وكأنه ليس موجوداً في كنيسة الله) فهل تدعو أيها القارئ مثل هذه الصلاة اعترافاً بحضوره؟ أما أنا فلا أتصور أن هناك أكثر وأوضح جهلاً بحق حضور الروح القدس في الكنيسة من تلك الصلاة غير الكتابية. ولكن لو صلينا ألا يحزن روح الله فينا، أو أن القديسين يمتلئون به لكانت صلاتنا هذه كتابية. وماذا كنت تقول في تلميذ موجود مع ربنا يسوع أثناء حياته على الأرض يصلي طالباً من الآب أن يرسل ابنه؟ وأن يقيم المسيا بينما المسيا كان فعلاً موجوداً على الأرض؟ أفليس روح العالم فقط هو الذي لا يستطيع أن يقبل الروح القدس لأنه يراه ولا يعرفه؟ أما نحن فنعرفه أو على الأقل ينبغي أن نعرفه.

وإذا كنا نعرف حقيقة أن الروح القدس موجود فهل هو أمر هين إذا خضعنا أم لم نخضع لعمله في الكنيسة؟ عبثاً أقول إنني أعترف بحق حضوره، إذا كنت غير خاضع للكتاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المقدس الذي يشهد بأن الروح القدس يعمل لمجد المسيح حقاً ما أردا ذلك. فمجرد الكلام لا يكفي لأن الله ينتظر الأمانة لكلمته والخضوع لسلطانها والاعتراف العملي بحضور الروح القدس.

نحن نجتمع معاً وقد نكون قليلي العدد أي شيء نستند في اجتماعنا نعم نحن ضعاف وجهال ولكن يوجد في وسطنا من يعرف كل شيء ومن هو مصدر لكل قوة. فهل نحن قانعون به؟ وهل نعتمد عليه بالرغم من المخاطر والصعوبات؟ ولماذا قد وصلت الكنيسة إلى الضعف؟ لماذا نلمس العوز إلى القوة والغبطة والسلام والتعزية بين أولاد الله؟ وهل ندهش من هذه الظواهر؟ أما أنا فلا أدهش منها بل بالحري من رحمة الله وإمهاله وطول أناته وبركته التي يرسلها إليهم بالرغم من شكوكهم وعدم إيمانهم؟؟ وهل تظن أيها القارئ أن هذا أمر لا يكترث به الله؟ أفلا يطلب مني إتمام إرادته بلا تردد بأن أعترف بحضور روحه وبحرية عمله؟ وكم يجب أن تنحني إجلالاً لهذا الحق السامي وهو أنه بفضل الفداء إكراماً لشخص الرب يسوع قد أتى الروح القدس شخصياًّ وهو الآن موجود في الكنيسة على الأرض! إنه حق يمتحن النفس وفعلاً هو أعظم امتحان للمسيحيين. لا شك أن المسيح يبقى إلى الأبد المحك العملي لكل أمر ولكل شخص ومع ذلك فإذا كانت نفسي تعرفه وتعتبره الطريق والحق والحياة أفلا يهمه أن تكون تصرفاتي في كنيسة الله قائمة على الأساس الذي وضعه لي وهو الإيمان بحضور الروح القدس الموعود به؟ أفليس هذا هو الحق الذي قد عينه الله نفسه ليكون حياة الكنيسة ونبع نشاطها؟

عمل الله في الأفراد:

غير أن هذا لا يمس بأي حال من الأحوال أعمال الله التي يجريها بواسطة الأفراد: فهو يرسل شخصاً لكي يبشر بالإنجيل للعالم، ويقيم آخر لكي يبني أولاد الله. هذه ناحية أخرى من الحق وأنا أشير إليها لأبين فقط أنه مع تشديدنا بضرورة التزام الكنيسة لأن تعترف بحضور الروح القدس غير أن هذا لا يتداخل مطلقاً في عمل الروح في الأفراد لأجل الخدمة. ومع تسليمي بهذا كله في كماله وخطورته فإنني أوجه سؤالاً لضمير القارئ: أين توجد جماعة من قديسي الله يجتمعون معاً ويتركون لروحه القدوس الحرية التامة ليعمل ويستخدم من يشاء كأواني لقوته؟ أفلا يوجد بين قرائي المسيحيين من لم يأخذ مكانه مع تلك الجماعة الوحيدة التي تؤمن عليها كلمة الله؟ إن وجد فإنني أرجوه أن يتأمل ملياً في تلك الكلمة بروح الصلاة وليسأل نفسه كيف عمل هذا؟ قد تكون أيها القارئ عضواً في جماعة الله ومع ذلك لم تعرف مطلقاً تلك الجماعة المجتمعة بحسب الكتاب ولا عرفت عمل الروح القدس كما يوافق تلك الجماعة. قد تكون عضواً في جسد المسيح ومع ذلك لم يسمح الروح القدس قبلاً أن يستخدمك لا أنت ولا بعضاً من أعضاء ذلك الجسد لمجد المسيح ولبنيان أخوتك. إذا كان هكذا فكيف جرى؟ ولماذا تبقى على هذه الحالة؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إنني أسلم بوجود أسئلة خطيرة في هذا الموضوع وبوجود صعوبات جمة، وأثق أنه ينبغي علينا أن نصلي كثيراً لأجل أولئك المتحيرين منها والمرتكبين بها ولا أخفي عنهم ما يتكلفونه في هذا العالم في سبيل الإخلاص للرب ولكلمته الصادقة، كما أنه لا يجوز لنا (ويل ليت الرب يحمينا من هذا!!) أن ننظر بعين الاستخفاف والبرود إلى أولئك الذين هم في تلك التجربة المحزنة إذ نكون قد تذوقنا شيئاً من مرارتها بأنفسنا. وما الذي نطلبه لأولاد الله أقل من نجاتهم من تلك التجربة ونجاة كل فرد منهم؟ وإلا فليس جميع القديسين الواقفين على أساس فداء المسيح هم من أعضاء جسده؟ أفلم يضعهم الله في كنيسته حسب مسرته؟ وماذا نعمل يا ترى إزاء هذه الحقائق؟ هل نجتمع معاً لنضيف شيئاً على عمل الروح القدس في كنيسة الله؟ الله لا يسمح: فنحن نجتمع معاً لإكرام الرب في يقيننا بحضوره وسطنا. والسبب الإلهي الوحيد الذي لأجله نحن نجتمع باسم الرب يسوع هو أن ذلك الاجتماع بحسب مشيئته والطريقة التي عينها وهو أمر يسره. فإذا اجتمعنا هكذا بالتمام فإن الله يبارك اجتماعاتنا ببركات جزيلة لتهذيب أرواحنا ولتدريب الإيمان. وإلا فهناك خطأ في نفوسنا. فهل أنا إذن متمسك بحضور الروح القدس كمحور اجتماعي؟ إذا لم أكن متمسكاً به فمعنى هذا أنني لم أحصل لنفسي على ما عينه الله ليكون محور الاجتماع، ومعناه أيضاً أنني لا أزال تحت سطوة التقليد بأي شكل ظهرت به، وأنني مستمر على ما فعله آبائي أو على ما يروق لفكري ولكن أين مكان الله من هذه كلها؟

الاعتراف بالكتاب المقدس وسلطته:

قد يتهمني الغير بالتعصب والاستقلال بالرأي على أن مثل هؤلاء المنتقدين لا يزنون ما يقولون، فالتمسك المغلوط بالتعاليم الخاصة والتصرفات الشخصية بدون تصريح إلهي – هذا أسميه تعصباً. ولكن إذا فضضت شركة عزيزة عليّ في سبيل إطاعة كلمة الله وإتمام مشيئته فهل يعد هذا تعصباً؟ وهل هو استقلال في الرأي إذا كنت أترك المذاهب والطوائف جميعاً لأكون على الدوام في المكان الوحيد الذي أستطيع أن أجتمع فيه بالقديسين باسم المسيح بموجب الكلمة وبالاتكال على الروح القدس؟ على أنني لست أفترض أن شخصاً لا يعترف بالكتاب المقدس كحق الله العديم التغير يستطيع أن يتصرف هكذا. إنما أنا أسأل القارئ العزيز الذي يعترف بسلطة الكتاب عما إذا كان يسمح لنفسه أن يترك الأساس المعلن من الله مهما كانت التجارب الداخلية أو الخارجية. لابد أن يتعلق قلبي بصلات عزيزة تولد أمامي صعوبات كثيرة فقد يرجوني أصحابي أن أذهب إلى اجتماعات الطوائف ولو مرة واحدة وعند ذلك يبدو من الصعب أن أرفض رجاءهم لاسيما إذا كانوا هم أنفسهم لا يفهمون قوة العقيدة الإلهية التي ينقصهم أن يعرفوها. وقد أدعوهم أن يحضروا معي حيث اجتمع في حين أنني أرفض أن أذهب معهم حيث هم يجتمعون. فيبدو تصرفي هذا في نظرهم تكبراً وعدم محبة أخوية ويعتبرونه أمراً غريباً. أما أنا فيجب أن يكون هذا الحق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

واضحاً وجلياً أمامي فربما يكون تصرفي هذا نابعاً من تواضع حقيقي ومحبة ولو اعتبره الجهل الأحمق عجرفة وجفاء.

ولنتصور شخصاً تقياً من رجال الكنيسة السقفية أو سائر الطوائف المنشقة يسألني هذا السؤال البسيط: وكيف تأبى أن ترافقني إلى كنيستي أو معبدي وأنت هو ذلك الحر الطليق في قبول المسيحيين باسم المسيح والرحيب الصدر بهم؟ لمثل هذا يكون جوابي وأنك تستطيع (بحسب مبادئك الخاصة كمسيحي بروتستانتي) أن تحضر هنا بضمير صالح حيث تثق أن رغبتنا الواحدة هي الخضوع لشخص الرب ولكلمته في وحدة جسده وفي حرية روحه القدوس. وبكل تأكيد أنت تعترف أن لا خطية في اجتماع هو بحسب الكتاب المقدس كهذا، لذلك تقدر أن تجتمع معنا. أما من جهتي فإنني موقن بأن تركي للأساس الكتابي، ورحيلي إلى أساس المنشقين أو الانجليكانيين ليس عملاً كتابياً ولذلك فإذا امتنعت عن الذهاب معك فليس ذلك لنقص في محبتي لك بل أخاف الخطية إذ أنكم لا تطلبون أن تجتمعوا على أساس جماعة الله، ولا شك أن الذي يحرضني ضد عقيدتي القوية الواضحة فإنه متعصب وأشر من متعصب لأنني إذا ما اشتركت معه فأنا مخطئ ضد الله ولا محالة. لأن الخطية هي أن يصنع الإنسان مشيئته الخاصة أو مشيئة آخر دون مشيئة الله. فإذا ما طلبت مني أن أترك ما أنا موقن أنه إرادة الله فلابد أن أرتكب خطية إذا وافقتك إلى ما تريد لأن هذا ليس خطية في ذاته فقط، بل هو على الأخص خطية فيّ إذ أنني أعلم – ولو كنت أنت تجهل ذلك – أن تصرفي هذا إنما هو شك في عمل الروح في الكنيسة.

فلا تتزعزع أيها القارئ من تعييرات المعيرين ولا تملق المتملقين إذ لا محبة حقيقية إلا في إطاعة الله (١ يو ٥: ٢ و ٣) ولا تتحول مطلقاً عما تعتقد أنه إرادته تعالى. ربما تكون قد اجتمعت معنا على أساس الله ولك دراية قليلة بالحق وبما يتضمنه من المسئوليات الخطيرة، وربما كان الدافع لك أنك قد تجددت في تلك الاجتماعات، ولكن كيف حالك الآن؟ هل فتشت كلمة الله لكي تتأكد من فكره ومشيئته تعالى؟ وهل ترى أن حضور الروح القدس وعمله في الجماعة هما حق الله؟ ألم يتضح لك في جلاء وصدق أن الله قد أرسل روحه القدوس وأن هذا الحق يجب أن تعترف به وتتصرف بموجبه أنت وجميع المسيحيين؟ إنك لا تستطيع أن تنكر هذا الحق لعلمك أنه من الله، ولكنك قد لا تقدره حق القدر، وهذا أمر آخر فيا ليت الرب يمنحنا أن نقدر هذا الحق أكثر وأكثر.

 All rights reserved © 2008-2018

الكتاب ومشيئة الله:

أيها القارئ. فتش الكتاب، افحص كلمة الله لأجل نفسك وبهذه الواسطة تستطيع أن تحصل على الفطنة الروحية الصحيحة. فقط علينا أن نطيع وحينئذ نرى أننا لسنا نحتاج إلى أكثر من هذا كله. ولنذكر أن المعرفة التي نحصل عليها في عدم الطاعة هي معرفة خطرة وبلا قيمة. أما إذا تعلمت الحق وتصرفت بمقتضاه خطوة خطوة فإنك تسلك في أسعد الطرق وأقدسها وأكثرها بساطة الإيمان. ومع تقديرنا لقيمة المعرفة ينبغي أن نذكر أن هناك حقاً آخر خطيراً وهو الخضوع لمشيئة الله بعين بسيطة حتى لو كنا قليلي المعرفة بأمور كثيرة.

ولا ننسى أن "رأس الحكمة مخافة الرب" وهذه الآية لم تمتد إليها يد القدم وأنا أعتقد أن السير في نورها لهو الطريق الإلهي السوي. وقد قسم الله غبطة وفرحاً للنفس التي تنمو حثيثاً في حق الله وفوق الكل ترفع بصرها إليه تعالى راجية أن تسير في ما تعرفه.

والآن أرجو أن يوصل الرب إلى أعماق قلوب القراء هذين الحقين الساميين اللذين تأملنا فيهما معاً وهما "الجسد الواحد" و "الروح الواحد" نعم – وليوصلهما بقوته الإلهية حتى نتعزى جميعنا نحن الذين نعرفهما ونتثبت أكثر معرفتهما وحتى يتعلمهما "من الرب نفسه" كل الذين يجهلونهما.

 All rights reserved © 2008-2018

خلاصة المحاضرة الثالثة

(الجماعة والخدمة)

١. الجماعة والخدمة أمران صادران من عمل المسيح الكفاري التام ٢. كلمة "الجماعة" أضبط من كلمة "الكنيسة" ٣. الصخرة التي بنيت عليها الكنيسة ٤. المسيح ابن الله الحي ٥. بناء الجماعة المذكور في متى ١٦ حقيقة مقبلة بالنسبة لزمان النطق بها بفم الرب ٦. الاعتماد بالروح ٧. لا وجود للكنيسة إلا بعد إرسال الروح القدس لغرض تكوين الوحدانية ٨. تحليل القول "بالكنيسة الغير منظورة" ٩. لا وجود للكنيسة إلا بعد موت المسيح ١٠ جماعة يهوه ١١. مركز "الذين يخلصون" ١٢. ملاحظات انتقادية على (أع ٩: ٣١) ١٣. قضية الأخ المذنب إلى أخيه ١٤. النعمة هي التي تتداخل في هذه القضية بدلاً من الناموس ١٥. الفكرة الخطأ عن حقيقة المحبة ١٦. ترتيب الجماعة بواسطة الروح القدس ١٧. كيف نميز – ليس من هم المسيحيون بل – أثمار الروح القدس ١٨. الروح القدس يحافظ على أمرين: مجد المسيح بالنسبة لشخصه الكريم وسيادته له المجد بالنسبة إلى مركزه العظيم ١٩. الجماعة لا تتأثر بالزمن ولا المكان ٢٠. كنيسة كورنثوس الحديثة العهد ٢١. الحديث ٢٢. كيفية استخدام الموهبة ٢٣. ما هو معنى "التنبؤ" ٢٤. ليكن كل شيء للبنيان ٢٥. أنواع الألسنة الغير معروفة ٢٦. استحالة الحصول على إعلان في هذا الزمن الحاضر ٢٧. إتمام الوحي ٢٨. حضور الروح القدس في الجماعة ٢٩. العضو في كنيسة الله هو عضو فيها حيثما وجد ٣٠. الفرق بين كنيسة ما وبين الكنيسة ٣١. رسائل التوصية ٣٢. واجبنا ليس أن نكون كنيسة بل أن نلتصق بالتي أسسها الرب ٣٣. يسوع في الوسط ٣٤. أين كنت تجتمع سابقاً أيها القارئ؟ ٣٥. كيف يستطيع الله أن يبارك حتى الروم الكاثوليك ٣٦. ماذا يعمل الأمناء حينما يجتمعون على المبادئ الإلهية؟ ٣٧. خطأ الذين لم يشعروا بقيمة الانفصال عن الخراب المحيط بنا ٣٨. واجب المسيحي عندما تبتعد الجماعة عن كلمة الله ٣٩. يجب أن نتصرف في حالة كهذه بتأن وانتظار شديد للرب ٤٠. الخدمة ٤١. الرب هو الذي يدعو ويرسل ويراقب وليست الجماعة هي التي تعمل هذا ٤٢. إرسال مبشرين من طرف البشر إنما هو اختلاس لحق الرب ٤٣. مسألة فيلبس ٤٤. بولس وأبلوس ٤٥. بولس يذكر عدم رغبة أبلوس لزيارة كورنتوس ولا يعلق على الحادث ٤٦. مسألة برنابا وشاول ٤٧. جواز التعاون في الخدمة طالما لا توجد عبودية فيها ٤٨. الخضوع للمرشدين ٤٩. نظرة جامعة حول "الخدمة والجماعة" ٥٠. خاتمة الخطاب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحاضرة الثالثة

الجماعة والخدمة

١ كو ١٤

الجماعة والخدمة

قد يبدو لأول وهلة أن هذين الموضوعين اللذين سنتأمل فيهما هما موضوعان منفصلان انفصالاً بعيداً. وحتى لو ظهرا كذلك فهما في الحقيقة صادران من المسيح سواء بسواء: فكلاهما قائمان على أساس عمله كحقيقة قد تمت، وكلاهما صادران عنه وهو في مركز ارتفاعه عن يمين الله، وكلاهما أيضاً قد تأسسا لغرض صريح وهو تعظيم الرب يسوع كما للمحافظة على سيادته له المجد. ولهذه النقطة الأخيرة أهمية عملية خطيرة: إذ مهما كانت قوة الروح القدس في الخدمة، ومهما كانت امتيازات الجماعة، فإن لحقيقة سيادة المسيح ناحية جوهرية في فكر الله، ومركزاً خطيراً في إجراءات روح الله العملية سواء في الأفراد الذين هم خدام المسيح، أو في الجماعة التي هو رأسها كجسده الواحد. ولذلك فإننا نستطيع أن نرى أنه مهما اختلفت النواحي التي تتجه إليها الخدمة والجماعة فإن مصدرهما كلتيهما مصدر واحد، وقد قصد الله بهما أن تكونا خاضعتين للرب يسوع المسيح، وواسطتين لتعظيم شخصه المحبوب. وإنني أحسبه لزاماً عليّ في هذه الفرصة أن ألفت نظر القارئ إلى الشهادة التي تنطق بها كلمة الله عن هذين الموضوعين حتى أبين جهد الغرض الجامع لكليهما كما ومسئولية المسيحي إزاءهما.

على أنني في كلامي عن الجماعة سوف لا أطيل اكتفاء بما قلناه في موضوعي "الجسد الواحد" و "الروح الواحدة" غير أنني أحب أن ألفت نظر القارئ إلى بعض فصول من كلمة الله لأدلل بها على ما أسلفناه وقلنا وهو أن جماعة الله مؤسسة على عمل المسيح الكامل وعلى ارتفاعه إلى المجد السماوي.

وأحب أن أقول كمقدمة لكلامي أن لفظتي الكنيسة والجماعة تدلان على معنى واحد ولذلك قد استعملت في خطابي هذا كلمة "الجماعة" منعاً لسوء الفهم. وإن كان الجدل يثير أسئلة كثيرة حول كلمة "الكنيسة" ولكن من الصعب أن يوجد صعوبات بالنسبة لكلمة "الجماعة" أضبط في مطابقتها للأصل من كلمة "الكنيسة" التي كثيراً ما تحمل آراء غامضة بل ومتعاكسة مع غيرها.

ولنا في سفر أعمال الرسل – بالمقابلة مع مت ١٦ – ضوء كاف نسترشد به في موضوعنا المطروح أمامنا. ففي إنجيل متى نرى الرب يكلم بطرس بصفة خاصة – ولو أن الكلام

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان للتلاميذ رفقائه أيضاً – مخبراً إياه بأنه كان عتيداً أن يبني جماعته. فيقول له المجد "على هذه الصخرة أبني كنيستي" ويرجع سبب ذلك إلى أن مكيال عدم إيمان اليهود كان قد كمل بعد أن أتى لهم المسيح ببراهين إلهية كاملة: في المعجزات والآيات وإتمام النبوات وفوق الكل في القوة الأدبية التي ظهرت فيه. الأمر الذي هو أعظم مجداً من المعجزات أو النبوة. أجل، وبعد أن استخدم كل الوسائل التي أملاها عليه صلاحه وحكمته، إرضاء لمشيئة الله الآب، وكانت نتيجة نعمته الصابرة أن استفحل عدم الإيمان به كالمسيا الحقيقي وازدادت الذراية بشخصه وتضاعفت جهود الروح العدائية ضده بعد هذا يسأل تلاميذه قائلاً "من يقول الناس أني أنا" وقد كان الجواب على سؤال الرب هذا بينة على شكوك إسرائيل، لا بل حتى أولئك العقلاء الذين رأوا من المسيح أموراً كثيرة أخطئوا في معرفته، ولذلك يعود ويسأل ليس شخصاً عظيماً. بل شخصاً صادق القلب وهو سمعان بن يونا وهكذا أرسلت شفتا سمعان ذلك الاعتراف السامي الذي طوبه عليه الرب نفسه، لأنه لم يكن اعترافاً من منتجات اللحم والدم مع ما يعتريهما من ضعف وما فيهما من مقاومة ضد الله، وإنما الآب الذي في السماوات هو الذي كان قد أعلن لنفس عبده بطرس هذا الحق العظيم وهو أن ذلك الشخص المستتر في الصورة المحتقرة، المطرود، الناصري، ليس فقط هو المسيح بل بالحري ابن الله الحي. وفي الحال تمسك الرب يسوع بهذا الاعتراف وقال – مشيراً إلى الجزء الأخير منه أي كونه ليس فقط المسيا أو المسيح بل "ابن الله الحي" على هذه الصخرة أبني (أي في المستقبل) كنيستي.

لقد كان المسيح – كالمسيا الظاهر في حالة الذل والاتضاع حجر صدمه لإسرائيل، ولكنه كابن الله الحي المعترف به كان هو الصخرة التي عليها تأسست الكنيسة. وهذه الاعتراف الكامل الذي نطقت به شفتا بطرس كان اعترافاً عميق الأثر، جديداً في ملئه وكماله وقد نظر إليه الرب بهذه النظرة. وليست جدة ذلك الإعلان قائمة في حقيقة كون المسيح ابن الله الحي منذ الأزل، بل في أن هذا الاعتراف قد فاه به لأول مرة فم بشري مرسلاً إياه من قلب تعلم من الله الآب. ولأول مرة أيضاً نرى أن الرب يسوع يعلن رسمياً أنه على أساس هذا الاعتراف سيبني كنيسته ولذلك أمر تلاميذه في الحال أن لا يقولوا لأحد أنه كان عتيداً أن يرفض ويتألم. فبعد رفض الشعب للمسيح، بل بعد اعتراف بطرس (كممثل للبقية) بمجد شخصه العظيم، نرى أن الرب يصرح بآلامه وموته في الحال. هذا هو الذي فتح الباب لعمل الله الجديد أي الكنيسة التي كانت ستبنى على أساس الاعتراف بيسوع المسيح بأنه "ابن الله الحي" وقد عقب ذلك أن الرب مات فوق الصليب، وتعين ابن الله بالقوة بالقيامة من الأموات، وتمجد وفي الوقت المناسب أرسل الروح القدس من السماء. والإصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل الذي يخبرنا بحقيقة حضور الروح القدس يرينا لأول مرة الجماعة كشيء موجود على الأرض.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأرجو أن نلاحظ هذا بغاية الاعتبار: فلقد تكلم الرب في (مت ١٦) عن كنيسته كأمر سابق لأوانه في قوله "على هذه الصخرة أبني (أي سأبني في اللغة العربية) كنيستي" أما في (أع ٢) فنرى الكنيسة آخذة في أن تبنى كما قيل في ختام الإصحاح "وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة (أو يضم معاً) الذين يخلصون".

وهذه مسألة هامة مليئة بالنتائج الخطيرة. فهي تبرهن على أن الكنيسة لا تعني مجرد أناس خلصوا أو سيخلصون – إذ أن الخلاص كان موجوداً قبل الجماعة – بل أن الرب أخذ أولئك الذين خلصوا وأدخلهم في الكنيسة. ولو لم تكن هناك جماعة يدخلهم فيها فهذا لا ينفي حقيقة كونهم مخلصين.

الذين يخلصون

ولكن ما معنى القول "الذين يخلصون"؟ إن هذا القول يقصد به أولئك المعينين للخلاص من إسرائيل – أولئك اليهود الذين اتجهت نحوهم النعمة وعملت في نفوسهم. ففي وقت انحلال النظام اليهودي أبقى الله لنفسه بقية حسب اختيار النعمة. وفي كل زمان كان لله فيه ببقية، وما كانت أزمنة الانحلال والخراب إلا عاملاً في إبراز وإظهار تلك البقية أو "الذين يخلصون"، وجميع الذين كانوا عتيدين أن يعترفوا بيسوع كالمسيا بواسطة الروح القدس هؤلاء قيل عنهم "الذين يخلصون" – عل أنه لم تكن هناك حينئذ كنيسة يضمهم الرب إليها. أما في الوقت الذي أشار إليه (أع ٢) فقد وجدت الجماعة أو الكنيسة التي استطاع الرب أن يضمهم إليها. وهذا الإصحاح يخبرنا عن الكنيسة بالارتباط مع حضور الروح القدس – الأمر الذي يتفق مع ما جاء في (١ كو ١٢: ١٣) حيث قيل "لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد"، أي أن تكوين الجسد كان موقوفاً على الاعتماد بالروح. وإن كان (أع ١) يخبرنا أن الاعتماد بالروح لم يحصل حينئذ غير أن (أع ٢) يقول أنه حصل ومن ثم تظهر لنا حقيقة وجود الكنيسة فعلاً على الأرض. ولو أن حجارة ذلك البيت كانت موجودة قبلاً كحجارة حية ولكنها كانت متفرقة وقبل ذلك لم يكن الله قد بنى بيتاً كهذا البيت الجديد.

وهنا نحن نرى الرب ينفذ قوله "على هذه الصخرة أبني كنيستي" فقد أخذ يجمع الأحجار الحية معاً ويبنيها بيتاً واحداً – بيتاً لله، ليس بمجرد الإيمان بل بالروح القدس المرسل من السماء. ويذكر لنا الوحي في (أع ١) مائة وعشرين اسماً كانوا من "الذين يخلصون" وذلك حتى قبل أن ينضموا إلى الكنيسة. أنني لست أشك في انه قد وجد أكثر من هذا العدد ممن كانوا حقيقة إخوة بدليل ما نقرأه في (١ كو ١٥: ١٦) حيث قيل أن "أكثر من خمسمئة أخ" رأوا الرب بعد قيامته: لذلك من السهل أن نعتقد بوجود مؤمنين كثيرين في أرض إسرائيل. وما كان المائة والعشرون إلا الأفراد الذين عاشوا في أورشليم زمان الصلب أو بعده. ولكن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مهما تعاظم عدد الأخوة في طول البلاد وعرضها، ومهما كثرت أفرادهم في أورشليم فإن الكنيسة التي هي جماعة الله لم تكن موجودة إلا بعد أن نزل الروح القدس لكي يوجد الوحدة ويكون من أولئك المؤمنين جماعة واحدة لك أن تسميها بين الله أو جسد المسيح. ولو أنه توجد فروق جوهرية بين هاتين الناحيتين (أي بيت الله وجسد المسيح)، غير أن حضور الروح القدس هو الذي يجعل الكنيسة جسد المسيح أو هيكل الله. والرسول بولس يتكلم عن الكنيسة، في رسالته الأولى لأهل كورنثوس، كمؤسسة بواسطة الروح القدس الحاضر فيها والعامل في وسطها ويسميها في تلك الرسالة جسد المسيح كما رأينا من الآية التي اقتبسناها آنفاً وهي قوله "لأننا جميعاً أيضاً بروح واحد اعتمدنا إلى جسد واحد".

ولا شك أن القارئ يدرك بوضوح ما لهذا الأمر من خطورة، لأن ما يظنه الناس ويتكلمون عنه كالكنيسة غير المنظورة، (ولو أن الكتاب المقدس لم يستعمل هذا الاصطلاح مطلقاً) كان موجوداً فعلاً قبل الكنيسة وفي الواقع أن الرب عندما أسس الكنيسة كان قد وضع حداً للحالة الغير منظورة. نحن نعلم أنه في أزمنة العهد القديم كانت لله أمة اعتبرها ودعاها شعبه الخاص، وكان في وسط تلك الأمة أفراد مؤمنون، كما كان بلا شك نظيرهم بين الأمم: فنقرأ مثلاً عن أيوب الذي عاش في العصور الأولى. وفي مواضع كثيرة من الكتاب المقدس نقرأ عن أفراد من الأمم كانوا خارج الرعوية الإسرائيلية ومع ذلك أظهروا الحياة الإلهية فيهم وانتظروا الفادي الآتي. ومع ذلك فما كانت الكنيسة بموجودة، وما كان جمع أولاد الله المتفرقين إلى واحد إلى أن مات المسيح. فقد كان أولاد الله متفرقين ولكن بعد موت المسيح اجتمعوا معاً. ولهذا فإن التلاميذ لم يكونوا فقط معينين للخلاص بل كانوا قد جمعوا فعلاً إلى واحد وهم على الأرض – وهذه هي الكنيسة. ولا ننسى أن "الجماعة" تفترض بالضرورة جمع القديسين إلى جسد واحد منفصل عن سائر الجنس البشري – ومثل هذا الجسد لم يكن موجوداً قبلا. ومن ثم فالكلام عن "الكنيسة" في الأزمنة اليهودية أو العصور الأولى خطأ محض. وامتزاج المؤمنين بمواطنيهم غير المؤمنين (الذين يعبرون عنه بقولهم "الكنيسة الغير المنظورة") كان هو الأمر الذي أنهاه الرب (ولم يبتدئ منه) عندما أخذ "يضم كل يوم إلى الكنيسة الذين يخلصون".

والخطأ الشائع في هذا الموضوع هو القول بأن مجموع الذين يخلصون يكوّن الكنيسة مع أن آية كالتي أوردناها وكثيراً غيرها – يُظهِر عكس هذا القول. فقبل زمان (أع ٢) لم يكن "الذين يخلصون" في الكنيسة أما الآن فها هو الرب يأخذهم ويضمهم معاً كل يوم صانعاً منهم جسداً واحداً. ومن هذا يتضح لنا أن "الجماعة" شيء والذين يخلصون هم شيء آخر. على أن الرب لم يترك "الذين يخلصون" ليبقوا في وحداتهم القديمة بل أخذ يبنيهم معاً ويضمهم إلى الكنيسة تدريجياً. ونكرر ما قلناه سابقاً من أن هناك فرقاً بين الذين يخلصون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبين كنيسة الله فالأولون كانوا موجودين في العهد القديم بينما الأخرى لم تكن موجودة على الإطلاق بالمعنى الذي نستخلصه من الكتاب المقدس.

ولا شك أن جماعة إسرائيل كانت موجودة ويدعوها الوحي "جماعة الرب" غير أن هذه الجماعة كانت هي الأمة بأسرها ومجموعة الشعب اليهودي، ومن هذه الأمة نفسها أخذ الرب أول نواة "في الكنيسة". وإذ نزل الروح القدس ليسكن في الذين كانوا موجودين فقد أخذ الرب في جمع الذين آمنوا في يوم الخمسين وما بعده، وضمهم إلى أولئك وهكذا ظلت عملية تكوين الكنيسة سائرة في مجراها. فيتضح لنا إذن أن الحالة الأولى التي أخذت تتلاشى توافق ما يقول الناس عنه "الكنيسة المنظورة والغير المنظورة" فنراهم يقولون عن الأمة اليهودية أنها الكنيسة المنظورة، ولكن ما لنا ولهم، دعهم يسمونها كما راق لفكرهم، وكل الذي أريد أن أؤكد وأشدد فيه على من يخضع لكلمة الله هو أن أفكارهم وكلامهم هذا – الذي يطبقونه على ما يسميه العهد الجديد "كنيسة الله" – تحكم عليه أقوال الكتاب الواضحة الجلية. وما كنت لأشدد النكير في قولي لو أن الكتاب ترك مجالاً للشك في هذا الموضوع. أما إذا كانت حكمة الله واضحة فإنني أحسبها جريمة على المؤمن أن يشك فيها، إذ هو لا يكفيه ألا يعمل كما ينبغي بل يتقدم إلى أردأ إذ يعاون على انتشار الكفر في العالم. فنحن مدينون لله في أن نوطن العزم حيث تتضح كلمته – مدينون في أن نكون راسخي الأقدام مطيعين. فإذا كانت كلمة الله صريحة فيما أُظهرت لنا الكنيسة لأول مرة مكونة بواسطة الاعتماد بالروح القدس الممنوح للمؤمنين – وأخبرتنا أن أولئك المعينين للخلاص (أي الذين يخلصون) قد أُخِذوا من إسرائيل وضموا إلى تلك الجماعة، فإنني لقاء هذه الصراحة الإلهية في الكلمة أقول أن تلك الكنيسة – بحسب اصطلاح العهد الجديد – لم تكن موجودة على الإطلاق قبلاً بحيث أنها احتوت على أناس مخلصين أُخِذوا من اليهود أولاً ومن الأمم بعدئذ (كما نعلم) وأنهما قد جُمِعا معاً في جسد واحد على الأرض وهذا الجسد هو كنيسة الله أو جماعته.

وفي الوقت المناسب أخذ الرب يوسع دائرة العمل: فنرى من (أع ٨) أن السامرة قبلت الإنجيل، وأن الروح القدس يُعطى للمؤمنين بالتبعية، ومنه أيضاً نرى أن الخصي الحبشي قد عرف المسيح. وتعقب ذلك حكاية تغيير رسول الأمم العظيم ليكون أصلح شهادة للنعمة وأنفع خادم للكنيسة المتحدة مع المسيح في السماء – وقد دعا نفسه في (كو ١) ليس فقط خادم الإنجيل بل أيضاً خادم الكنيسة التي يتكلم عنها في ذلك الإصحاح باعتبارها جسد المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكنيسة وليس الكنائس

ويحلو لي أن أذكر عرضاً ملاحظة على (أع ٩: ٣١) وهي أن النسخة اليونانية الشائعة، وسائر النسخ الإنكليزية والعربية، قد قللت من هذه الآية: فهي تذكر لنا كما يأتي "وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر" غير أن أضبط النسخ وأقدمها تقول "الكنيسة" وليس "الكنائس". نعم إنني أسلم تماماً بوجود كنائس كثيرة في تلك النواحي – وهذا أمر لا يدعو للدهشة- إلا أنني موقن أن ما قصده الروح القدس في هذه الآية هو "الكنيسة". قد تحيرت أفكار الكثيرين حينئذ لأن فكرة وجود الكنيسة كجماعة متحدة على الأرض قد ضاعت في نظرهم لاسيما عندما كانوا يديرون التفاتهم إلى مقاطعات وبلاد مثل اليهودية والجليل والسامرة. غير أن القراءة الصحيحة لهذه الآية ترجع بنا إلى حقيقة الوحدة الجوهرية لكنيسة أو جماعة الله هنا على الأرض. وإن صح وجود اجتماعات متعددة في اليهودية والسامرة والجليل إلا أنها جميعاً كانت عبارة عن الكنيسة. نعم نقرأ عن كنائس اليهودية أو غيرها كغلاطية مثلاً – وليس من يعارض في حقيقة وجود جماعات كثيرة في تلك البلاد المختلفة – إلا أن هناك حقاً آخر يجهله كثيرون من أولاد الله وهو أن الله لم يكوّن فقط جسداً لم يكن له وجود قبلاً، بل إنه حيثما وُجِدت الجماعات فليست جميعها سوى الكنيسة. ولم يؤسس فقط كنيسته على الأرض قابلة للنمو كل يوم، بل بينما كان يوسع في دائرة العمل ويُوجد اجتماعات جديدة في أماكن مختلفة، كانت تلك الجماعات كنيسة واحدة بغض النظر عن الأماكن. والآية التي نحن في صددها تثبت هذه الحقيقة لو أننا أخذناها حسب القراءة الصحيحة، وأستطيع أن أقول أن أصح النسخ لا تترك مجالاً للشك من حيث هذه القراءة.

وإن كانت كلمة "الكنائس"قد استعيض بها عن كلمة "الكنيسة" فقد يعزى ذلك أن الناسخين كانوا قد ابتدأوا ينسون الوحدة التي يقيمها الله بين أولاده على الأرض. ومن الطبيعي جداً أن نفهم أن المقصود هو "الكنائس". وننسى ذلك الحق الغالي – حق الكنيسة أينما وجدت على وجه الأرض. وقد يجوز أن هذا قاد البعض لتحويل التعبير الصحيح بآخر أكثر تعارفاً (لوجود تشابه ولو لفظي بين الاثنين) ولاسيما إذا كان الإحساس بالوحدة قد ضعف وتلاشى.

ودعنا أيها القارئ نترك الآن البيان التاريخي الذي يمدنا به سفر أعمال الرسل وهيا نتأمل في التعاليم التي تقدمها لنا سائر أجزاء العهد الجديد فيما يختص بالجماعة. فنرى أولاً أن الرب له المجد قد رسم لنا في (مت ١٨) الخطة التي يجب أن نتصرف بمقتضاها في القضايا الشخصية، وما هي الروح التي يجب أن تقتادنا في تلك التصرفات، مبتدئاً في تعليمه بمثال عن أحد أفراد الكنيسة فأظهر لنا كيف أنه صار ابن الإنسان الذي جاء "ليطلب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويخلص ما قد هلك" ليس باعتباره راعي إسرائيل الذي كان يجمع شعبه بل كمن جاء ليفتش على الهالك في كمال وبساطة نعمة الله الخالصة البريئة. فتأمل أيها القارئ في القضية التي علم الرب أنها ستحدث في الجماعة التي كان عتيداً أن يبنيها – قضية أخ يخطئ إلى أخيه. وما الذي يقودنا في قضية كهذه يا ترى؟ ليس الناموس ولا الطبيعة بل النعمة هي التي يجب أن تكون رائدنا في التصرف فيها. قد يقول البر الإنساني في مثل هذه الحالة، على الذي أخطأ أن يأتي ويتذلل، أما النعمة فتقول "اذهب إليه وعاتبه" ما هذا! هل أنا البريء أذهب إلى من أساء إليّ نعم – هذا عين ما فعله الرب، وهو له المجد قد وضع نعمته الخاصة أنموذجاً ومنبعاً وقانوناً يحذو الفرد حذوه، وليكون نسمة حياة الجماعة. ومن ثم نسمعه يقول تبارك اسمه "إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما". أي أن الأخ البريء هو الذي يتقدم بالنعمة إلى من أخطأ إليه ويعاتبه. وما أحوجنا في مثل هذه الخطوة إلى الاجتهاد ونكران الذات الصادرين من المحبة! فإذا سمع منه "أخوه" فقد ربحه ويا لها من مجازاة كريمة يحبوها الرب لمن يقف هذا الموقف المشرف! لا شك أن القلب يحزن عندما يرى مثل الأخ يضل بعيداً، لذلك نرى المحبة الإلهية تعمل في قلوب أولئك الذين لا يستحي الرب أن يدعوهم أخوة. فلقد دعاهم ليكونوا شهوداً ليس لذلك الخادم الذي به قد أعطى الناموس، بل لشخصه الكريم الذي جاء مملوءاً نعمة وحقاً، ولذلك فإن النعمة هي الأداة الفعالة في الأمر (غير أن هذا ليس معناه أن الحق قد طُرِح جانباً ولو لحظة واحدة) ومع ذلك فقد يستسلم المسيحي لكبرياء القلب وعدم الاكتراث فيقول، إن أخي هو الذي أخطأ إلي وأنا أرفع من أن أذهب إليه ولا يهمني أن أبحث عنه، ولا شك أن قولاً كهذا تدخله روح نكران للمسيح ولنعمته – لا بل روح عدم اكتراث الأخ بأخيه كأهل العالم. على أن كلام المخلص له المجد لا يترك مجالاً لهذين الروحين الفاسدين، كما أن المبدأ الناموسي. مبدأ معاملة الإنسان حسبما يستحق – لا يجد له مرتعاً في الكلام الموزون. ولا شك أن النعمة الإلهية – كما بدت في شخص مخلص الخطاة وفي إرساليته – تعمل في النفس إذا كانت تستمع لصوته. ولكننا نعلم جيداً كيف نتناسى هذا الصوت وكيف أن القلب يقول، لأنه أخي لذلك هو بلا عذر، إذ كان عليه أن يعرف أحسن مما عرف، ونحن نسلم بذلك، ولكن إذا لم يعرف أكثر فمن واجبك أن تشعر بمركزك وامتيازك لذلك "اذهب إليه وعاتبه". ومن هذا نرى أن الرب لا يضع قانوناً يقضي على من أخطأ أن يذهب إلى الآخر بل هو يكلف الأخ البريء ليذهب لأخيه. لا بروح الحق بل بروح النعمة، ليربح ذاك الذي أخطأ إليه. فإن سمع منه هذا فقد ربحه أخوه وإلا فيجب أن تعرض القضية على الباقين "وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحدة أم اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة" ليكون هناك عمل مشترك لرد نفس المذهب حتى لا يستمر في ضلاله بعيداً. لقد كان قبيحاً به أن يرفض واحداً فهل يقدر أن يرفض واحداً أو اثنين غيره؟ ولنفرض أنه لم يسمع منهما فما هي النتيجة؟ لا شك أن الأمر يجب أن تسمع به الكنيسة كلها وتصدر حكمها: وجميع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذين هم موضوع النعمة الإلهية والشهود معاً يجب أن يجتهدوا ويهتموا بقضية ذلك الأخ المذنب. وإذا رفض الكنيسة فإنه يكون كالوثني والعشار.

ويا له من حكم مروع ذاك الذي تنطق به النعمة والحق اللذين رفضهما ذلك الشخص المذنب! وهذا يكشف لنا القناع عن الخطأ الفادح الذي يقع فيه البعض فيما يتكلمون عن المحبة، وإنني أخشى أنهم يتكلمون عنها وهم لا يدركونها إلا قليلاً. ومع أن مهمة الأخ الذي يعاتب أخاه يجب أن تؤدى مقترنة بمحبة في العمل والحق صادرة من المسيح نفسه – إلا أنه إذا كان مسوقاً في هذه المهمة لا بمجرد الواجب بل بالخضوع للمسيح مشتاقاً أن يربح أخاه، فإن نفس الروح يحمله على أن يعتبره "كالوثني والعشار" إذا ما بدا منه تمرد وعدم خضوع. قد يكون ذلك الشخص المذنب مؤمناً ولكنه إذا رفض نعمة المسيح الصادرة بحسب الحق فلا يعتبر أخاً. ولا عبرة في ذلك بأنه أخ حقيقي أو غير حقيقي أمام الله فهو قد رفض الرب في جماعته التي تمثله هنا على الأرض لذلك "فليكن عندك كالوثني والعشار".

عمل الروح القدس

هذا هو الدرس البليغ الدائم الذي ألقاه الرب قبل أن توجد الجماعة. على أن الروح القدس لم يتركنا لهذه المبادئ الإعدادية التي وضعها شخص الرب، بل قد أعطى لنا في رسالة كورنثوس الأولى – ولاسيما في الإصحاح الرابع عشر – بياناً مستوفى عن الخطة التي يريد الرب أن تتصرف الجماعة بمقتضاها. وقبل أن ألفت نظر القارئ إلى ذلك الإصحاح أشير أولاً إلى الإصحاح الثاني عشر الذي هو بداية الإعلانات الروحية. وفي هذا الإصحاح (ص ١٢) نرى عمل الروح القدس في أفراد جماعة الله الكثيرين "فأنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد. وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد. ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمه. ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد. ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد". هكذا إلى آخر ما جاء بهذا الخصوص. ولو أننا نجد في هذا الإصحاح كلاماً من عمل الروح القدس في الجماعة إلا أن الإصحاح يبدأ بإظهار الفرق بين الأرواح التي ليست من الله وبين الروح القدس. والمسألة ليست مسألة من هم مسيحيون ومن هم ليسو مسيحيين بل هي مسألة تمييز ما هو من الروح القدس عما هو من الأرواح التي تضاده والتي هي آلات العدو.

وإن قال واحد: وكيف أستطيع أن أميز؟ فالجواب. "ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما. وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس" أي أن روح الله القدوس لا يقول عن ربنا يسوع (في ذاته وفي نسبته إلى الله) أنه تحت اللعنة. هذه علامة بسيطة وخطيرة وما أحرانا أن نزنها وزنها الصحيح نحن الذين قد وجه إبليس نحونا في أيامنا الحاضرة جهوده الآثمة. وإلا أفلم يكن بيننا أناس يقولون بجرأة وقحة أن ربنا يسوع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

– في نسبته إلى الله كإنسان – كان تحت لعنة الناموس المكسور، وأن نفسه كانت بعيدة عن الله بعد الإنسان عنه تعالى؟ ولا شك أننا إذا سمعنا كلاماً مثل هذا نستطيع أن نميز من أي روح هو، إذ "لا يقدر أحد وهو يتكلم بالروح القدس يقول يسوع أناثيما (أي ملعون)" كما أنه من الجهة الأخرى "لا يقدر أحد أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس". عندما يظهر الروح الشرير في ميدان العمل قد ينطق بأمور حسنة، وقد يبدو كأنه يعظم المسيح وخدامه – كما رأينا في الأناجيل وفي سفر الأعمال – ومع ذلك فلا يعترف مطلقاً بأن يسوع رب. فالتحقير من مقام ربنا يسوع، ووضعه تحت اللعنة بأي كيفية، لهو علامة أكيدة يمتاز بها الروح الشرير. ولست أتكلم هنا عن المركز الذي أخذه ربنا له المجد بالنعمة فوق الصليب، بل عن مركزه الخاص كإنسان أمام الله بغض النظر عن الكفارة. قد يدعي أصحاب هذه الأفكار بأنهم يرمون من ورائها إلى ازدياد رثاء المسيح لنا، وإلى تعظيم نصرته فوق الصعاب، وإلى تعظيم نجاته منها، ولكن يجب أن نذكر أنه لا يقول أحد وهو يتكلم بالروح القدس أن يسوع تحت لعنة. ومن هذا نستطيع أن ندرك أن الذين يعترفون بربوبية شخص ربنا يسوع فإنهم يعترفون بها بقوة الروح القدس. ولا دخل في هذا لمسألة خلاص النفوس، إنما هي واسطة نستطيع أن نميز بها أي روح يعمل في الكنيسة – وهي المحك الكتابي للتفرقة بين الذين هم تحت سلطة الروح الشرير بين الذين يتكلمون بالروح القدس. فثمار الروح القدس تعظم المسيح وتعترف بمركزه الذي يليق به كرب، أما الروح الشرير فإنه بكل تأكيد يرمي إلى التحقير من شخص ربنا يسوع وإلى إبطال عمله الكريم.

والروح القدس يحرص كل الحرص على أمرين: أولهما مجد المسيح بالنسبة إلى شخصه كأمر لاق بعمله، وثانياً ربوبيته بالنسبة إلى مركزه كأمر نتج عن ذلك العمل. ولا شك أن هذا يأتي بنا إلى حق عملي خطير وهو أن الغرض الأسمى لجماعة الله هو الاعتراف بالمسيح كرب. وهنا يواجهنا سؤال هل أعطى الرب تعليمات لجماعته أم قد تركنا وشأننا؟ أليس لنا مبدأ نسترشد به إلى الحالة التي ينبغي أن تكون عليها جماعة الله في هذا العالم؟ وهل تُرِكت الكنيسة لذاتها ولمشاعرها الروحية؟ وهل المفروض أن حالة الكنيسة تتكيف بحسب مقتضيات الزمان والمكان اللذين يوجد فيهما القديسون؟ على أنني أثق أنه ليس بين قرائي الأعزاء من يصادق على أفكار كهذه صادرة من الطبيعة. ويا له من فكر غريب أن الجماعة المسيحية تتأثر بالزمان أو المكان! وهل أولئك الذين يقولون هذه الأقوال، ويتصرفون بموجبها، يعتقدون فعلاً أن كنيسة الله من العالم أو أن الله تركها تتشكل في كل مكان بشكل خاص؟ قد تكون مثل هذه النظامات الكنسية التي يقيمها الإنسان حسنة أو رديئة ولكن لا شك أن الأمر الذي لا نتصوره هو الادعاء بأن هذه النظامات هي دستور كنيسة الله. ومن المهم جداً لدى أبسط مؤمن أن يدرك هذا الحق الواضح في كتاب، ويتمسك به، وهو أنه إذا كان على الأرض شيء عزيز على قلب الله فهذا الشيء هو كنيسته، وإذا كان هناك أمر يغار الله في المحافظة عليه فهو مجد المسيح، وأن الله نفسه يعمل الآن بوساطة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

روحه القدوس لمجد المسيح لا في العالم بل في أولاده تعالى. ولكن من عادة الله أنه إذا أراد أن يقيم على الأرض شيئاً فإنه يمتحنه هنا أولاً وبعد إذن يضعه بين يدي المسيح الذي بواسطته قد تمت المشورات الإلهية. وزماننا هذا هو زمان التجربة والامتحان، ولكن عندما يأتي المسيح مرة ثانية فلا محل للامتحان أو التجربة من هذا الوجه، إذ أن الكنيسة ستدخل حينئذ في المكان اللائق المحفوظ لها في مشورات الله المحتومة، وحينئذ تنتهي ساعة المسئولية الملقاة على عاتقنا. أما الآن فهو زمان يوضع فيه أولاد الله تحت الامتحان.

ولاحظ أيها القارئ أن من بين أغراض رسالة كورنثوس الأولى أن تظهر للكورنثيين أن كنيستهم المحلية حديثة العهد لأن أفرادها لم يكونوا قد انفصلوا عن العالم إلا منذ عهد قريب (أي بالنسبة لكتابة الرسالة) ولذلك كانوا يجهلون كثيراً كيف يمارسون العمل المطلوب منهم والذي من امتيازهم ممارسته فنراهم محوطين بشرور نحسب حدوثها بين أولاد الله في أيامنا الحاضرة أمراً غير عادي: فكانوا بلا شك في حالة منحطة جداً من حيث الفكر الأدبي أو الإحساس والمشاعر، وكان بينهم على الأقل في حادثة واحدة قباحة في السلوك الخارجي، الأمر الذي لم يُسمع بين الأمم. ويظهر من هذا أن إبليس كان قد أفرغ ما في جعبته لاستغلال فرصة حرية أولئك المسيحيين الحديثي العهد، فإذا كانوا مشغولين بقوة الروح القدس نسوا كل ما يتعلق بالجسد، ويظهر أنهم لم يتفكروا في المخاطر المحدقة بهم، ولم يسلكوا طريق إدانة الذات. ويجب أن نتذكر أنه لم يكن لديهم من كتابات العهد الجديد إلا القليل وأن الرسول لم يصرف معهم وقتاً طويلاً في تعليمهم، ومع أنهم بالطبع استفادوا من حادث سقوطهم درساً مما ألقاه عليهم الروح القدس، كما على غيرهم أيضاً، إلا أن الرسالة تظهر لنا أن كنيسة كورنثوس، الحديثة العهد، كانت عليها مسئولية كنيسة الله. وهي الكنيسة الوحيدة التي يخاطبها الروح القدس بالتعبير "كنيسة الله" ومع أنه لم يكن في كورنثوس رسل ولا شيوخ (الأمر الذي سأشير إليه فيما بعد) غير أنهم لم يكونوا فقراء في أصحاب المواهب ولكن الترتيب الروحي لا تحصله لنا إعلانات القوة، بل الخضوع للمسيح كسيد ورب، إذ ليس كافياً أن أكون غنياً في الكلام والعلم لأنه يندر أن كنيسة كثرت فيها المواهب الروحية عن كورنثوس، ومع ذلك كانت بلا ترتيب والسبب في ذلك أنهم كانوا يمارسون تلك المواهب بدون اكتراث لمشيئة الرب ومجده، عاملين في ذلك أغراضهم الخاصة مرضين أنفسهم معظمين ذواتهم. وفي نشوة الطرب الوقتية أطلقوا العنان للقوة الروحية الممنوحة لهم، وإذ ذاك كان الأمر الذي أعوزهم على الأخص هو ردهم إلى طريق الله.

ومهما كانت قوة الروح القدس بواسطة أي إنسان وفي أي فرد على الأرض فيجب أن تكون تلك القوة تحت سيادة المسيح الرب. وإذا كان الكورنثيون لا يفهمون هذا الحق لذلك نرى أن الرسول يذكرهم به في مفتتح الإصحاح الأول بالقول "الذين يدعون باسم ربنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا" وفي طول الرسالة وعرضها نجد توكيدات حازمة حول كون المسيح رباً وسيداً، وهنا نراها في طريق الإشارة إلى إعطاء المواهب وصفاتها. ثم نرى في (ص ١٤) أن الرسول يرتب كيفية ممارسة تلك المواهب بين الجماعة. تجتمع الكنيسة كلها في مكان واحد، وهناك يتلاقى القديسون كجماعة الله ولكن هل كانوا في اجتماعهم هذا يتكلمون بلسان؟ لقد كان من العبث والمضيعة أن يتباحثوا بأن الروح القدس مكنهم بلا شك من التكلم بلسان، كما أنه لم يوجد محل للكلام عن صفة الموضوع الذي كانوا يتكلمون عنه (وهو غير معروف) فقد يكون كل شيء صحيحاً وبلا عيب، غير أن الرب يمنع كل ما لا يبني الجماعة. كقاعدة عامة كانت ممارسة الألسنة وسط الجماعة في حال غياب من يترجم أمراً ممنوعاً.

وكم في هذا الأمر من خطورة: فمهما حصل المؤمن على قوة صحيحة من الروح القدس فليس عليه أن يستخدمها دائماً، بل هو تحت التزام أن يستخدمها في حدود الطاعة للمسيح، كما عليه أن يسير بموجب القواعد التي سنها الروح القدس في الكتاب. على أننا نرى أن الرسول يصوب كلامه على الأخص ناحية التنبؤ لأنه أعظم مؤثر على الضمير. وعندما يذكر المواهب المتنوعة في (ص ١٢: ٢٨) نراه يضع موهبة أنواع الألسنة في آخر الجدول موبخاً بذلك عجب الكورنثيين، كأن ما ظنوه أعظم الأمور قد وضعه الرسول في آخر درجة، وهذا واضح من القول "فوضع الله أناس في الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير وأنواع ألسنة". ثم نراه – بعد ذلك الوصف الحلو الذي ذكره في (ص ١٣) عن المحبة (وما أحوج المؤمنين في مثل هذه الظروف إلى المحبة) – يأتي على ذكر ممارسة المواهب بين الجماعة في (ص ١٤) فيقول "فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد وكان الجميع يتكلمون بألسنة فدخل عاميون أو غير مؤمنين أفلا يقولون أنكم تهذون. ولكن إن كان الجميع يتنبأون فدخل أحد غير مؤمن أو عامي فإنه يوَبّخ من الجميع، يحكم عليه من الجميع، وهكذا تصير خفايا قلبه ظاهرة وهكذا يخر على وجهه ويسجد لله منادياً أن الله بالحقيقة فيكم".

ولاحظ أيها القارئ أهمية المبدأ الذي يشدد الرسول في اتباعه وهو أن الله قد أوجد الكنيسة – أي الجماعة – لتكون شهادة للمسيح على الأرض، شهادة لسيادته له المجد. لذلك كل ما من شأنه أن يعطي شهادة باطلة، جوفاء بلا معنى، كل ما يستفز الناس لأن يقولوا "أنكم تهذون"، كل هذا ممنوع منعاً باتاً ولا عبرة بأن تلك القوة التي يسيء الناس استخدامها هي قوة حقيقية وصادرة فعلاً من الله. من الواضح أن موهبة الألسنة – مثلاً – صادرة من الروح القدس، وليس من الطبيعة، غير أن استخدامها خاضع لقواعد إلهية كما نرى في إصحاحنا المطروح أمامنا. على أن لهذا معنى أوسع نطاقاً، وفي الحقيقة أنني أحسبه القياس الكامل السامي الذي عليه يجب أن يقيس كل مؤمن سلوكه، وبمقتضاه يحكم على سلوك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الآخرين أيضاً. وعلى ذكر الحكم في سلوك وحديث الآخرين: هل أراني في حاجة إلى أن أقول أنه يليق بنا أن نزن كل ذلك بتواضع ومحبة، ناظرين ألا نكون في ذلك مفكرين في أنفسنا بل في مجد الرب. وإنني أجزم في القول بأننا تحت التزام أن نتفكر في مجد الرب، ولذلك فبغض النظر عن الظروف والأمكنة فنحن مسئولون أن نميز ونحكم في حدود الطاعة لشخصه المعبود.

واضح هنا أن المقصود بالتنبؤ ليس الإخبار عن أمور عتيدة كما ظن البعض، ولا مجرد التبشير كما ظنه آخرون – إذ أن جزءاً عظيماً من التبشير ليس تنبؤاً. ويحق لنا أن نجزم بأن التبشير هو صفة التعليم الذي يكشف الضمير في حضرة الله وأجرؤ وأقول أن يقرِّب الله تعالى من الإنسان والإنسان من الله. وهذا هو ما قصد الرسول أن يوازن بينه وبين التكلم بالألسنة. لقد كان التكلم بلسان ممنوعاً طالما لم يوجد من يترجم، وذلك لأن التكلم بلسان في هذه الحالة لا يبني الكنيسة، إذ أن الغرض من كل ما يجري بين القديسين إنما هو "للبنيان". لذلك فكل ما لا يؤول للبنيان هو ليس نافعاً لجماعة الله ولا ينبغي السماح به. نعم قد يكون القصد منه حسناً، وقد يكون – من حيث القوة – صادراً من الروح القدس، غير أن كل ما ليس مفهوماً وليست له صفة بنيان قديسي الله فلا يصلح للجماعة. وربما كانت الألسنة نافعة جداً فيما لو استخدمت خارج الاجتماع – إذ ذلك هو مركزها لتكون شهادة لغير المؤمنين – أما في وسط الجماعة فلا مكان لها ما دامت ممارستها لا تؤول إلى تعليم ووعظ وتعزية الجماعة إذ لا تستطيع أن تبنى الجماعة إلا متى وجد من له موهبة ترجمة، وعندئذ يقدر أن يستخدم تلك الألسنة لبنيان قديسي الله بالنعمة والحق اللذين صارا بيسوع المسيح.

وهذه هي القاعدة التي يجب أن ينحو إليها الجميع: "إن كان أحد يتكلم بلسان فاثنين اثنين أو على الأكثر ثلاثة ثلاثة وبترتيب وليترجم واحد ولكن إن لم يكن مترجم فليصمت في الكنيسة وليكلم نفسه والله". أما عن الأنبياء الذين يستطيعون أن يتكلموا بالبنيان عن طريق التنبؤ "فليتكلم اثنان أو ثلثة وليحكم الآخرون" وهنا يوازن الرسول بين الأنبياء وبين من يتكلمون بلسان، فكل ما يتكلم به النبي إنما هو للغرض الصريح الواضح البنيان، إلا أننا نراه حريصاً الحرص كله على أنه مهما كانت الموهبة عزيزة ونافعة فليس مسموحاً لأكثر من ثلاثة في الاجتماع الواحد أن يتكلموا، كما أنه بكل تأكيد كان عليهم أن يتكلموا واحد بعد الآخر وبترتيب، خاضعين خضوعاً مشتركاً، ولكن ليس أكثر من ثلاثة. ولماذا؟ الجواب: خيفة ألا تؤول للبنيان الحقيقي الذي هو الغرض الأسمى من التنبؤ، ولئلا تكون ثقلاً على السامعين إذ تزيد على ما يفيدهم حقيقة – ولذلك وضع الرسول هذه الحدود الفاصلة. ومع التسليم بأن الأنبياء يقدمون أسمى أنواع التعليم المسيحي غير أن اثنين أو ثلاثة هم الذين جاز لهم أن يتكلموا وعلى الآخرين أن يحكموا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويستطرد الرسول في تعداد المواهب فيقول "إن أُعلِن لآخر جالس فليصمت الأول" ومن هذا نفهم أنه وُجِدت في ذلك العصر موهبة سمت على موهبة الألسنة وهي الإعلان وقد انتهى زمانها. وفي سياق الحديث عن هذه الموهبة لنتذكر هذا جيداً: قد يُستَخدم حق الله بواسطة الروح القدس بكيفية فعالة تؤثر في الضمير ولا يسع غير المؤمن الذي يدخل الاجتماع إلا أن ينادي بإزائها (عن اقتناع أكيد) – سواء كان ذلك العصر الماضي أم الآن – إن الله في وسط تلك الجماعة. ولست أشك في أن هذا مستطاع تماماً – ويا ليته يدوم! إلا أن هذا أمر آخر غير الإعلان. وقد يستخدم الله من الكلمة المكتوبة تعليماً مسيحياً بكيفية مؤثرة شهادة على حضوره بين أولاده على الأرض. أما الإعلان فلا يمكن أن يعود ولا ينبغي أن نتوقع عودته. لقد كان الرسول يعلّم قديسي كورنثوس قبل أن يكمل الوحي – وقت أن لم يكن كل حق الله مكتوباً على ورق – ولذلك أعتقد أنه جاز بحسب ترتيب الله أن يحصل أولئك القديسين في يومهم على إعلان صريح ما دامت غالبية كلمة الله لم تكن قد كتبت على ورق. على أن كل ادعاء بوجود إعلان في يومنا إنما هو طعن في كمال الوحي ولا يفتأ حتى يبدو وإذا هو يحمل غش وغباوة الإنسان، ويخفي تحت ستاره شركاً من شراك إبليس. إذ مهما كانت القوة التي يعمل بها الروح القدس، وليست شيئاً أكثر مما قد أعطاه لنا الله بل هي آلة نافعة ليد روح الله، يأخذها مما قد أُعطي بصفة دائمة للكنيسة ليعاونها في عبورها العالم. قد يكتشف القديسون نوراً كان قد احتجب عن أنظارهم لعدم الإيمان، غير أن الاعتقاد بحق جديد، يُعلَن لنا في زماننا الحاضر، إنما هو الاعتقاد لا يتمشى مع الوحي باعتباره كتاب الله الكامل.

وإذا كان الروح القدس قد عرض علينا، ولو في هذا الإصحاح، بعض الأمور الخاصة التي تشير بوضوح إلى ما كان يمارسه المؤمنون قديماً، ولا نمارسه نحن الآن، فإننا نرى أنفسنا أمام سؤال قد يلقيه كثيرون من البسطاء الذين يرغبون في تفهّم كلمة الله، فيقولون: لماذا نراكم تحرضون على أن المقصود من هذا الإصحاح إنما هو تنظيم الجماعة في هذا الزمان الحاضر؟ من الواضح أنه لا توجد بينكم ألسنة ولا إعلان حق جديد – فإذا لم تكن هذه عندكم ولا تلك فلماذا تدافعون عن هذا الإصحاح معتبرين إياه قانون الله المستديم لجماعته؟ الجواب في غاية البساطة: لقد كان من الضروري أن يُنَظِّم الروح القدس ما كان موجوداً في ذلك الوقت، إلا أن غاية التعليم المدون في ذلك الإصحاح لم تكن مقصورة على القوات المعجزية أو الأعمال المؤقتة التي يتضح أنها كانت لغرض خاص وهو الشهادة في الأيام الأولى للمسيحية – نعم لا شيء من هذه كلها كان محور الكلام في هذه الإصحاحات: فما هو محورها يا ترى؟ هو حضور الروح القدس!!! أجل – ولهذه الناحية يجب أن يتجه كل اعتبار وتقدير!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فهل لنا نفس هذه الروح الواحدة! وهل نستند على حضوره؟ هل نؤمن أنه يتنازل الآن ويعمل في الجماعة؟ وكم ذا نسمع الكثيرين يقولون يوماً بعد يوم: أنا أؤمن بالروح القدس. ولكن هل تراهم يُظهِرون إيمانهم بأعمالهم؟ إنني أسألك أيها القارئ وأحب أن أسأل كل قديس لله: هل تؤمن بحضور الروح القدس حضوراً فعلياً كشخص إلهي موجود مع الكنيسة وفي الأفراد، وهو الذي يحمل الجماعة على التصرف بموجب كلمة الرب، ولغرض المحافظة على سيادة المسيح في وسطها؟ إذا كنا قد حصلنا على الروح القدس وإذا كان لا يزال موجوداً مع القديسين وفيهم، إذا كان هذا حقاً ثابتاً أكيداً لا يحتاج إلى دليل من الفصول الكتابية التي تتكلم عن المعجزات والآيات، بل هو مدون لصفة جلية حيث لا ذكر لهذه المعجزات، وإذا كنا قد أخذنا وعداً صريحاً بأن الروح القدس يمكث معنا إلى الأبد، فإنني أسألك سؤالاً أو اثنين. هل ابتعد الروح القدس عن كلمة الرب التي هي قياسه الإلهي لسلوكنا كما ولإيماننا أيضاً؟ أو أن الناس هم الذين يقدمون بمكر أسباباً متنوعة لتجنب الخضوع لتلك الكلمة؟ ولكن هل يحتمل أن أولاد الله يقنعون أنفسهم بأي سبب ينتحلونه علة التمرد والعصيان يا للأسف: ولست أتكلم هكذا لنقص في محبتي لهم! قد يقولون على الدوام "ليكن كل شيء للبنيان ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب" ولكن هل تأملوا مرة ما في هذه الحقيقة وهي أنه ليس الكورنثيون هم فقط الذين خالفوا ترتيب جماعة الله بما أبدوه من المظاهر غير اللائقة بهم، بل هم أنفسهم أيضاً قد خالفوه بما يعملونه يومياً بمقتضى نظامهم الخاص (بمواضيعهم المكتوبة أو الارتجالية) الذي لا يشابه الترتيب الإلهي ولا يتضمن روح ذلك الترتيب الكامل، فهل يعرجون بين فرقتين: بين إصحاح يقتبسون منه بعض أقوال، وبين حقائق فروضهم الدينية السلبية.

وما عدنا نرى كنيسة الله الآن على أساس الجماعة الواحدة – وما عدنا نراها سالكة بمقتضى ذلك المبدأ الأساسي وهو حرية الروح القدس فيها ليبني بواسطة من يشاء – بل أصبحنا نرى جمعيات دينية مختلفة، لكل أمة جمعياتها الخاصة بها، لا تتفق كلها بأي حال من الأحوال لا مع الجماعة أو الجماعات التي تذكرها لنا كلمة الله. إننا نتعلم من حقائق الكتاب أنه إذا كان أحد المؤمنين تابعاً لكنيسة الله في أورشليم (مثلاً) فهو تابع أيضاً لكنيسة الله في رومية، ولا عبرة في ذلك بالمكان، لأن ذلك المؤمن عضو في كنيسة الله ولذلك فأينما ذهب فهو تابع للكنيسة التي قد يوجد فيها – لأن الكتاب المقدس لا يعترف بعضوية في "كنيسة" والسلام بل في الكنيسة. فإذا اجتمعت كنيسة الله في مكان معين فالمسيحي يجد مكانه هناك ما لم يكن معزولاً (أي مستبعداً) وأكرر ما قلته من أنه لا يوجد في الكتاب ما يشير إلى عضوية "في كنيسة والسلام" بل بالأحرى نجد الكلام دائماً عن عضوية في "الكنيسة". وهذا هو الفرق الظاهر الذي يدل على ابتعاد المسيحية عن كلمة الله. إذ نرى في أيامنا الحاضرة من يقولون أنك إذا كنت أحد أفراد كنيسة ما فلا تكون أحد أفراد أي كنيسة أخرى قد توجد بينها، بدعوى أنك تابع للأولى وليس للثانية. فعوض أن تكون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عضويتك في كنيسة الله أساساً لكونك عضواً فيها بغض النظر عن مكان اجتماعها، نرى على العكس تغييراً هائلاً ظاهراً في الحق الجديد الذي يقولون فيه أن تبعيتك لكنيسة ما برهان قاطع على أنك لست تابعاً لغيرها. فإذا كنت (مثلاً) تابعاً لكنيسة اسكتلندا فلا علاقة لك بكنيسة إنكلترا، وإذا كنت معمدانياً فلست في نفس الوقت تابعاً لجماعة الوسليين أو لأي جماعة من الطوائف المنشقة. أما الكتاب المقدس فلا يعرف شيئاً عن هذه الطوائف.

ومن هذا نرى أن كأس انقلاب المسيحية قد كمل، وأنها قد أصبحت في حالة بعيدة كل البعد عن كلمة الله – حالة معاكسة لتلك الكلمة كل المعاكسة: فقد طلعت بيننا جمعيات دينية تستقل كل واحدة منها عن الأخرى. ولست أرمي من وراء كلامي هذا إلى ما يسمونه النظام الاستقلالي (وهو النظام القائل بتفرد كل جماعة محلية في سياستها عن أية جماعة غيرها، ولا ترجع في تلك السياسة إلى مرجع أعلى) مع أن مبادئ هذا النظام مضادة أكثر من غيرها لحقيقة وحدة جماعة الله كما يذكرها لنا الكتاب المقدس. على أننا لو تأملنا في أي جماعة محلية من الجماعات الخاضعة لهذا النظام إذن لوجدناها مستقلة عن غيرها ولو إلى درجة متفاوتة، وهذا هو الحال مع الكنيسة الإنكليزية الوطنية التي تغالي في إتباع هذا النظام. وكل ذلك يعاكس بالتمام ما كان جارياً في زمان أولئك الذين وضعوا أساس جماعة الله. إذ نعلم أن أي فرد من أفراد الكنيسة كان لا يزال أحد أعضائها أينما وُجد، وإذا ما انتقل من مكان لآخر فإنه يُقبَل بحسب مركزه في الكنيسة التي كان فيها أولاً. قد كان يوجد شك في بعض الحالات بخصوص حقيقة ذلك الشخص المنتقل من مكان إلى مكان – لأن المكر والخداع كانا قد اقتحما المسيحيين الأولين – وكان علاج هذه الحالة أن أمثال ذلك الشخص يحملون رسائل توصية أو أن الجماعة تفتقدهم – وهذا هو نفس المبدأ الذي يقول به الكتاب، والذي يصلح للسير بمقتضاه الآن. وهكذا نرى في مسألة شاول الطرسوسي أنه عندما سمع برنابا بأخبار تجدده العجيب لم يكن مثل التلاميذ غير مصدق هذا التجديد، ولا مستكثراً إياه على الرب، بل إذ كان (برنابا) رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس لذلك صدق نعمة الله وما تفعل فأخذ شاول وأحضره إلى الكنيسة في أورشليم التي اعترفت به. وهكذا الآن إذا تقدم إلينا شخص واعترف بأنه مؤمن بالإنجيل فعلى بعض أفراد الجماعة الموثوق فيهم أن يزودوه ويفتقدوه، وبناء على شهادتهم فإن الكنيسة من كل القلب تقبل ذلك الشخص المعترف بالمسيح وهي مستريحة الضمير.

ولكننا لسنا تحت التزام لأي قانون متعنت مهما كان إذ لنا في كلمة الله نور إلهي لكل خطوة. وإذا لم يكن عندنا هذا النور فخير لنا أن ننتظر الرب وسنرى بعد انتظارنا كيف أن الكتاب المقدس، العزيز القدر، الكامل النواحي، يقدم لنا، بغير شك، بقوة الروح القدس، علاجاً وافياً ينطبق على المعضلة التي تعترينا بدون أن نحاول إضافة شيء من عندياتنا كقاعدة لتسديد الحاجة. ولكن ليس المقصود أن لا يعترينا ارتباك وحيرة، وأننا قد لا نحس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بضعفنا وعوزنا للحكمة. إذ في أي معضلة لا نلبث أن نرى أن الاتضاع والصبر والإيمان هي أحسن من أي حل تحصِّلُه لنا صناعة الاستحسان البشري. فالله قد تعهد بأن يمدنا بالمعونة في كلمته، والقوة الروحية التي تفتقر إليها إنما هي متضمنة في تطبيقنا تلك الكلمة – بالروح القدس – تطبيقاً عملياً على كل قضية تُعرَض لنا.

العضو في الكنيسة

والنقطة الرئيسية التي أتشدد فيها هي هذه: أن الكتاب المقدس يعلمنا أن من يصبح عضواً في كنيسة الله هو عضو في تلك الكنيسة في أي مكان، وكل ما في الأمر أنه يمكنه أن يحمل رسائل توصية للجماعة التي يجيء إليها، لأن كنيسة الله في كل العالم هي هي بعينها. فهل يجوز لنا أيها القارئ العزيز، كجماعة الله، أن نقبل أي أمر نظامي يختلف عن الحكم الكتابي؟ هل ينبغي لنا أن نسمح لمبدأ آخر يناقض المبادئ الكتابية حتى ندير به عبادتنا الجمهورية؟ وافرض أننا عملنا هذا فهل نكون فيه خاضعين لكلمة الله؟ قد تخبرني عن المعرقلات الموجودة الآن، وعن صعوبات كثيرة تصدمك في الطريق، وأنا أسلّم معك فيما تقول، فقط علينا – في مثل هذه الظروف وفي غيرها – أن نتمسك بهذا الحق السامي وهي أن مشيئة الله يجب أن تسمو على جميع الاعتبارات الأخرى. وإذا ما رأينا أنفسنا مصادقين على ما يضاد الكتاب المقدس فليكن همنا حينئذ منصرفاً إلى الكف عن فعل الشر وتعلّم فعل الخير.

وليس من واجبنا (وحاشا لنا ذلك!) أن نؤلف كنيسة جديدة بل مسئوليتنا أن نلتصق بتلك الكنيسة الواحدة الحقيقية، القديمة العهد، جماعة الله كما يصورها لنا الكتاب المقدس. أو ألست قانعاً أيها القارئ بكنيسة الله؟ وإلا فكنيسة من تقنعك؟ وأي الكنيستين تفضل؟

قد تحتج أيها القارئ – أو يحتج غيرك – بأن الأزمنة والظروف التي نجوز خلالها تختلف كل الاختلاف عن سابقاتها، ولذلك تسأل بنغمة الفائز المنتصر وتقول: هل اثنان أو ثلاثة من المسيحيين – يجتمعون في أي مكان يكوِّنون جماعة الله؟ وجوابنا هو أنه لا شك في وجود تغيير محزن. ولكن السؤال الصحيح هو: هل مشيئة الله بخصوص جماعته قد تغيرت؟ وأيهما أصوب وأجدى أن أقبل التغيير الذي أحدثه الإنسان أو أن أقصد تواً إلى مشيئة الله حتى لو لم يكن سوى اثنين أو ثلاثة يجتمعون خضوعاً لكلمته تعالى؟ وإذا كنت اجتمع معهم باسم الرب كأعضاء جسده، وكلنا نعتمد على الله في أن يعمل بكلمته وبواسطة الروح القدس أفليس ربنا يسوع في وسطنا. وكم تكون لنفوسنا من تعزية وفيرة في وجوده وسطنا! ولو أنني سأتبسط في إثبات أن هذا هو ما أعده لنا الرب في الأيام الأخيرة، إلا إنني أريد أن أقول أن حرية عمل الروح بين أعضاء المسيح المجتمعين هي المبدأ الوحيد لجماعة الله، وقد تدون لها في كلمته الكريمة. وليس شيء آخر غير الكتاب يستطيع أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يوافق عليه تعالى سواء كنت أتصرف بمقتضاه أم لا. وطوبى لي إذا كنت أعمل على أن أكون أميناً للرب من هذه الناحية مهما كان حزني لسبب حالة الكنيسة. أما إذا لم أتمم هذا الغرض الشريف فمن واجبي على الأقل أن أعترف بعدم أمانتي. وكلمة الله لا تدع مجالاً للريب في ما هو فكره تعالى – لعدم التغيير – بخصوص جماعته، والروح القدس قد جاء ليقود جماعة الله إلى الأبد. والشيء الذي يعوزنا هو روح الندامة والإيمان. لا شك أن في الطريق معطلات وأموراً معقدة، وعليّ أن أدفع ثمناً غالياً في هذا العالم الشرير في طريق الطاعة للرب يسوع. ولكن هل أنا ليسوع؟ وهل تراني أُقدِّر محبته حق قدرها؟ هل هو عندي أعز من أي شيء في هذا العالم؟ وهل نيره حمل عليّ ثقيل؟ وهل مشيئته حلوة عند نفسي؟ حينئذ أقول: توجد طريق واحدة. وعبثاً نرفع عقيرتنا معترفين باستعدادنا لأن نذهب مع الرب إلى السجن أو الموت، إذ هو لا يطلب منا ذلك، بل الذي يطلبه من كل مسيحي، هو: هل أنت مخلص لمجدي الخاص في جماعة الله؟ وليست المسألة مسألة تسابق في نظامات تختص بها بلاد دون أخرى، وقواد دون غيرهم، ولا مسألة مدرسة خاصة للحقائق، أو خطة خاصة للتأديب الكنسي والسياسة التدبيرية: فهل عاداتي القديمة، أو التقليد – وهل لذتي في هذه الحياة، تمنعني من الأمانة لما أظهره لنا الله بأنه مشيئته تعالى لجماعته.

فإذا عرفت أيها القارئ مشيئة الرب فلا تتردد يوماً واحداً، ولا تنتظر حتى يتضح لك كل شيء. واعلم أنه من عدم الإيمان إذا كان الله يدعو واحداً ليخرج فيقول له: أرني أولاً الأرض التي ستأخذني إليها. فانزع أيها القارئ كل ما تعرف أنه خطأ، ولا تخط في الطريق التي بلا شك تعاكس كلمة الله، واعلم أن "من له يعطى" فهل رفضت ما تعلم أنه لا يتفق مع تلك الكلمة، بل بالحري يقاومها؟ وانظر "ألا تتعلق إلا بالكلمة". ولكن دعني أسألك: أين كنت قبلاً؟ هل كنت في مكان استطعت أن تقول عنه كمسيحي، لقد شغلت مركزي في جماعة الله، وهل اجتمع معك سائر أعضاء الجسد الواحد، واعتمدتم على الروح القدس ليرشدكم معطين الفرصة لكل من أخذ موهبة ليخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة؟ أو أنك اشتركت مع جماعة لم تراع السر بموجب التعاليم الكتابية؟ إذا كنت قد اشتركت مع هذه الجماعة الأخيرة فإننا نرجو الرب أن ينير بصيرتك لترى أنك لست في مشهد إرادته ومجده في الجماعة. ولست أقصد أنك غريب من نعمة المسيح، وخارج دائرة عمل الروح القدس – حاشا لي أن أقصد ذلك!! فإنني أعتقد أن الرب يبارك بعض الأفراد ليس فقط الذين بين الجماعة البروتستانتية، بل الذين هم خارجها أيضاً. وهل تحسبها أيها القارئ قسوة مني في هذا الكلام؟ إنني أعتقد أن الروح القدس يعمل حيثما يرى المجال مناسباً لاستعمال اسم المسيح لخير المؤمن وغير المؤمن. ولست ممن يشكون لحظة في أن الله يستخدم كلمته لتغيير وتعزية النفوس التي بين الروم الكاثوليك لا بل بين كهنتهم ورهبانهم وراهباتهم أيضاً. ولو أن النور قد يصل إلى أمثال هؤلاء على قياس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ناقص – لأن المقاومة للحق موجودة عندهم بكل تأكيد بدرجة قصوى. ومع ذلك فقد عمل الله فيما بينهم حتى أيامنا الحاضرة – لا بل في الماضي – بدرجة كبيرة واضحة.

واكتفاء بما أوردناه نقول أن المسألة هنا ليست مسألة استطاعة روح الله في أن يجعل للحق أثره في طائفة دون أخرى، بل الأمر الرئيسي الذي أمام نفوسنا الآن هو: هل نحن ممجدون المسيح بحسب كلمة الله؟ وهل نحن خاضعون للرب في جماعته؟ ومنفذون مشيئته على مبلغ إدراكنا إياها؟ آه أيها القارئ. فلقد نخيب في هذه الخطوات – لا بل بكل تأكيد نحن نخيب!! قد ترى (إذا اجتمعت على المبدأ الصحيح) بعضاً يعتريهم القلق، والبعض لا يعمل ما يجب عليه: فتسمع أفراداً يتكلمون، وكان خيراً لهم أن يصمتوا، وتلاحظ أفراداً صامتين، وكنت تغتبط لو سمعتهم يتكلمون – إذ قد يكونون في هذا مستسلمين لشعور غير صحيح بالمسئولية، يخافون الانتقاد، وأمامهم أمور كثيرة تعوقهم عن التكلم بما يجول في قلوبهم – كل هذا محتمل حدوثه وليس من ينكر إمكانية أو حقيقة الفشل والسقوط. ولكن كيف يؤثر هذا كله على حق الله فيضعفه بأي حال من الأحوال، وكيف يؤثر على مسئولية أولاد الله فيقلل من قيمتها؟

وها أنا أورد مثالاً يسهل فهمه على أي مؤمن: لا شك أن الروح القدس يسكن فيك أيها القارئ – إذا كنت مسيحياً – فهل يا ترى أنت تتصرف دائماً بالروح؟ الجواب لا! ألا يبقى الروح ساكناً فيك إلى الأبد؟ بكل تأكيد هو يبقى ساكناً. إذا أنت دائماً هيكل الله، وما دمت عضواً للمسيح فأنت على الدوام هيكل لله. ومع ذلك فقد تُحزِن الروح القدس أحياناً، غير أن خطيتك هذه لا تنفي عنك مسئوليتك فهي على عاتقك أبداً. هذا مثال ينطبق تماماً على الكنيسة.

لتجتمع الجماعة معاً ولنفترض أن أفرادها مؤمنون، وقد قبلوا الروح القدس، وهم فعلاً ينتظرون إرشاده لهم كجماعة، وأقول "كجماعة" لأنني لست أفترض أن كل فرد منهم يفهم الحق المختص بروح الله، إذ قد يوجد بعض منهم يجهلون هذا الحق، وهو أمر مخجل لهم، ونحن طالما شاهدنا حالات من هذا القبيل. وقد يكون بين الجماعة بعض من القديسين الذين تأثروا بالمشاعر الروحية فاشتركوا معها وكانوا قد نشأوا بين الطوائف المنشقة أو الأسقفية، ولكنهم استمروا مع الجماعة مع قلة تقدمهم في المعرفة، ومثل هؤلاء عرضة لأن يُظهروا آثار ذلك النظام الذي نشأوا فيه روحياً. ولست في حاجة لأن أقول أن اختباراتهم لا تساعدهم ليكونوا دائماً في حالة الخضوع لإرشاد الروح. على أن هذه الظاهرة ليست مقصورة على أمثال هؤلاء القديسين وحدهم، إذ نحن نعلم الضعف الذي قد يوجد بين أولئك الذين تعودوا الحق منذ الصغر – لأن وجودهم حيث هم لا يكلفهم كثيراً، على أنهم لا يشعرون مطلقاً بخراب المسيحية. وأنا أفترض أنهم مؤمنون، فقط هم قد وصلوا إلى معرفة حقيقة مركز الكنيسة بواسطة تعليم والديهم في حين أنهم لا يفهمون ما يسمعون ولذلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يكونون حينئذ عرضة لأن يسلموا جدلاً، وبدون اعتقاد إلهي، بأن كل ما يقوله آباؤهم صحيح وصواب. وكم يجدر أن يكون لجميع الذين يجتمعون على المبدأ الصحيح إدراك فعلي لحقيقة الروح القدس في الجماعة.

ومع تسليمنا بهذه المعطلات، وكثير غيرها، فإن هناك حقاً عظيماً راسخ القدم وهو: كما أن سكنى الروح القدس في المسيحيين أفراداً أمر مؤكد كذلك سكناه في الجماعة التي هي كنيسة الله حقيقة لا ريب فيها. والذي يجب علينا مراعاته – سواء كأفراد أم كجماعات. هو أن نكون خاضعين للروح القدس ليقودنا إلى مجد المسيح. لذلك فابحث وانظر أيها القارئ ما هي رغائبك من هذه الناحية. هل ترغب في أن تكون خاضعاً للرب ولكلمته؟ وهل تظن أن هناك امتحاناً موضوعاً لي كمسيحي، أو برهاناً أعظم على إخلاصي لسيدي، أكثر من خضوعي له في هذه الطريق. وإذا كنت من جماعة الله أفلا ينبغي عليّ أن أرفض كل ما لا يتفق مع الأقوال الكتابية وترتيبات تلك الجماعة.

الانتباه إلى حيل الشيطان

وأحب أن أهمس في آذان الذين قد شغلوا المركز الصحيح بهذا القول: أحذركم من أن بعض المبادئ المغلوطة والتعاليم الفاسدة، والطرق الشريرة، قد تدخل خلسة بينكم إذ نحن نعلم حيل الشيطان. وإنني أذكركم بكل حزم بهذه الحقيقة السامية وهي كما أن روح الله هو روح الحق كذلك هو روح القداسة أيضاً. لذلك عندما تأبى الجماعة أن تنحني لكلمة الله، مفضلة أن ترضى بالسمعة الرديئة عوض أن تحكم عليها من أجل خاطر المسيح، فأول واجب تقوم به هو تقديم الشهادة كاملة، ثم الإنذار الخاص والعلني، ولننتظر بصبر في أناة أمينة وخوف حق حتى تصلح الحال. أما إذا كانت الجماعة ترفض هذه الخطوات، وتفضل بمحض اختيارها راحتها الخاصة وإرادتها الذاتية على كلمة الله، فالانفصال في هذه الحالة ألزم لنا من النظامات الكنسية العادية، لأن أعظم خطية في نظر الله هب أن الذين يعرفون حقه تعالى، ويُظهرون أنهم يتصرفون بمقتضاه – نعم خطية عليهم أن يتركوا ذلك الحق لأي سبب كان. أفلا ينبغي والحالة هذه أن ننفصل عن هؤلاء بخوف ورعدة أمام الله، أكثر من انفصالنا عن اجتماعات أولئك الذين لم يدركوا قيمة اسم الرب لجماعة قديسيه؟

وفي الوقت نفسه إذا وجدنا جماعة مهما كانت صغيرة أو كبيرة، يجتمع أفرادها معاً معتمدين على حضور الروح القدس غلا يجب أن نتسرع في إلصاق تهمة الخطأ بهم، إذ من الواجب أن نتأنى في الحكم على جماعة ما، أكثر من التأني في الحكم على الفرد.
ومفروض أن أفكارنا ومشاعرنا يجب أن تتفق بالضرورة مع فكر الله. وإذ ذاك نجد أن انتظار الرب في مثل هذه الظروف أهم وأجدى أمر لدينا. ولكن إذا كانت خطية الجماعة معروفة وواضحة، وقد رفضت جميع الإنذارات، فإنها كلما أرادت أن تأخذ مركز جماعة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الله كلما كان بعدها عنه أمراً يُرثى له، وخير لنا وأبقى أن نعدل عن الوجود فيها إذ قد أصبحت في حالة الاعتراف الباطل. وإن كلمة الله ينتظر الحق في قديسيه أفراداً فإنه تعالى ينتظره في جماعته أيضاً – إذ هي المكان الذي ينتظر فيه إعلان صفاته بين الناس وليس فقط بنيان قديسيه، وهو – تبارك اسمه – يحافظ في كل مكان على مجد ابنه العزيز. إنني أسلم بكل الصعوبات الناشئة من نظام الكنيسة الإنكليزية بعد الارتداد البابوي العظيم، ومن انتشار الجماعات المنشقة تبعاً لذلك، ومن المساعي الحديثة المتفرعة. وإنني أحذر كل من يقرأ كتابي هذا ضد فكرة الدفاع عن معتقداتنا الخاصة سواء ورثناها عن آبائنا أو اخترعناها من ذواتنا – فلا ندفع عن أمر ما بحجة أنه حديث ولا حتى لأنه عتيق – سواء كان وليد زمن قريب أم أكل الدهر عليه وشرب. ولنرجع إلى الأساس الذي قد أخطأنا نحن المسيحيين إذ تركناه وابتعدنا عنه، ولنرجع إلى الطريق الذي نعلم أنه حسن وحقيقي لأنه طريق الله، ولنقف على الأساس الإلهي الوحيد الموضوع للكنيسة، غير واثقين في أنفسنا بل متأكدين أننا صائبون وآمنون في استيداع أنفسنا لله ولكلمة نعمته ولذلك نتشجع ونتقوى. وإذا كانت صفة الصعوبات والمخاطر والتجارب التي تحوط بنا تثبت حاجتنا إلى الكتاب المقدس، فسوف نعلم أيضاً كيف ينطبق ما في الكتاب على ظروفنا في جدة نشاطه وقدرته، وبذلك تتشجع نفوسنا في الالتصاق بالله أكثر فأكثر.

وأراني قد أطلت الكلام في "الجماعة" لدرجة لا أستطيع معها التوسع في موضوع الخدمة، ولذلك سأختصر فيه لاسيما وأنه سيعرض لنا فيما بعد موضوع المواهب والوظائف. وسأذكر بعض الملاحظات البسيطة عن الخدمة قبل ختام هذه المحاضرة.

رأينا فيما سبق أن الكنيسة صادرة من المسيح المقام الممجد – صادرة بواسطة الروح القدس المُرسَل من السماء ليربط الجماعة ويؤسسها على الأرض. ورأينا أن هذه هي الجماعة الوحيدة التي يوافق الله عليها، والني على كل عضو فيها أن يوافق عليها كذلك إلى أن يأخذها الرب من هذا العالم. وفي الفصل الموضوع في رأس هذه المحاضرة نجد أقوال وحركات الروح القدس في الجماعة. وأريد أن أذكر هنا بعض المبادئ العامة فأقول أول كل شيء: كما أن الكنيسة إلهية كذلك الخدمة إلهية أيضاً – إذ هي لا تصدر من المؤمن ولا من الكنيسة بل من المسيح بقوة الروح القدس.

وهذنا يفتح الباب في الحل: فالرب هو الذي يدعو، وليس الكنيسة، وهو الذي يرسل وليس القديسون، وهو أيضاً الذي يراقب وليس الجماعة – وكلامي هنا يدور حول خدمة الكل حول خدمة الكلمة. على أن هناك بعض خدمات يجوز للكنيسة أن تنتخب من يقوم بها: فمثلاً يجوز للجماعة أن ترشح الأشخاص الذين تظنهم نافعين في ملاحظة المصاريف، وتوزيع الإحسان. فلها أن تنتخب بحسب حكمتها الصائبة من يقوم بهذه الخدمة، والرب يوافق على هذا الاختيار. وهكذا حصل قديماً كما نقرأ في (أع ٦) حيث قيل أن الجمهور

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

انتخب والرسل وضعوا الأيادي على الذين انتُخِبوا ليخدموا الموائد. كما حصل أيضاً في كورنثوس. حيث انتخبت الكنائس (٢ كو ٨: ١٩) بعض الأخوة كمندوبين عنها، وكما حصل أيضاً مع كنيسة فيلبي إذ انتخب أبفرودتس ليكون رسولها وخادم حاجة بولس (في ٢).

ولكننا لن نجد انتخاباً من هذا القبيل فيما يختص بخدمة الكلمة. كلا! بل على العكس نرى أن الرب تطلع مرة إلى شعبه الخائر المشتت فأشفق عليهم وأمر تلاميذه أن يطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة لحصاده (مت ١١) والإصحاح الثاني عشر من هذا الإنجيل (مت ١٢) يرينا السيد له المجد كرب الحصاد، الذي بمقتضى هذا اللقب يرسل تلاميذه بنفسه. وبعد ذلك نراه يعدهم للخدمة المسيحية حينما كان عازماً أن يتركهم. وهكذا نرى في (مت ٢٥) (حيث يذكر الرب مثل الإنسان المسافر إلى كورة بعيدة) نفس هذا الحق، فنرى الرب يوزع المواهب لخدامه. وهذا يجعل الأمر حاسماً فعلاً: لأن الفرق بين الذي تعترف به كلمة الله وبين الذي نراه في أيامنا الحاضرة هو أن خدمة الكلمة، سواء في دعوتها أم في ممارستها، هي – بحسب كلمة الله – إلهية محضة بخلاف ما حل مكانها بين المسيحيين في يومنا هذا. فنحن نراها وإذا بالكرامة اللائقة بها قد ضاعت – ولاسيما ذلك الاستقلال المقدس عن الإنسان، الأمر الجوهري لممارستها وفوق الكل لمجد الرب نفسه. إن إرسال المبشرين بواسطة الناس هو سلب لحق الرب وخسارة فادحة لخدامه الذين يخضعون لهذه الإرسالية.

الخدمة الحقة

ولكن ما هي نتيجة ممارسة الخدمة بحسب كلمة الله؟ هي تحرر كامل لكل ما أعطاه الله لأجل خير النفوس وبركتها. ولذلك نجد أن التعليم الجامع المدون في الرسائل يؤيد كل التأييد التاريخ المسجل في سفر أعمال الرسل. وسأشير إلى ما ورد فيهما بكل اختصار.

وسبق أن رأينا في (١ كو ١٢ - ١٤) أنه من الأمور الضرورية للكنيسة كجماعة الله، كما أنه غاية حضور الروح القدس فيها، أن تكون له الحرية الكاملة ليستخدم من يشاء لمجد الرب ولبركة المخدومين. والوصية التي يوصينا بها الرسول بطرس في (١ بط ٤)، والتحذير الذي يحذرنا به يعقوب في (يع ٣: ١) كلاهما يفترض هذه الحرية وإمكانية سوء استخدامها.

وإذ قلنا بعض الكلمات فيما يخص "الذين من داخل" فأحب أن أقول كلمة فيما يتعلق "بالذين من خارج" ومشيئة الرب من جهة هؤلاء واضحة لا لبس فيها. نقرأ في (أع ٨) عن الاضطهاد الذي وقع على الكنيسة ومن جرائه تشتت الجميع (ما عدا الرسل) وجالوا مبشرين بالكلمة في كل مكان. ولست أسمي هذا العمل خدمة رسمية بالضرورة، إذ بالطبع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان بعض منهم خداماً للكلمة والبعض الآخر لم يكن ومع ذلك كان الجميع يجولون مبشرين. وهذا يُثبت أن الرب يوافق على ذهاب كل مسيحي في طريق إذاعة الأخبار المفرحة (قارن أع ١١: ١٩ - ٢١).

وإن كنت قد أشرت إلى مفتتح (أع ٨) غير أنني أريد أن أدخل إلى بعض تفاصيله: وفيه نجد فيلبس يبشر بكل حرية. وقد يقول البعض بأن فيلبس كان منتخباً من الكنيسة، على أنه لم يكن منتخباً لخدمة الكلمة بل على العكس قد انتُخِب ليترك الرسل لخدمة الكلمة ولا يرتبكون بخدمة الموائد. وواضح أنه رغبة في إراحة الرسل من العمل العالمي (أي خدمة الموائد) اختار الجمهور السبعة الرجال المذكورين في (أع ٦) الذين أُقيموا لذلك العمل الذي هو أقل قيمة من خدمة الكلمة. ودعوة الكنيسة لهؤلاء كانت لغرض هذه الخدمة فقط. أما في حادثة فيلبس فالرب هو الذي كان قد دعاه ليكرز بالإنجيل وكان الرب يبارك الكلمة التي وصلت إلى السامرة وما وراءها (أع ٢١: ٨).

وفي (أع ٩) نرى إنساناً في طريقه إلى دمشق بسلطان من رئيس الكهنة ليضطهد المسيحيين اليهود. وهذه هي الوصية الوحيدة التي أخذها بولس من يد الإنسان – أخذ سلطاناً لا ليكرز بالإنجيل بل يبيده لو استطاع إلى ذلك سبيلاً. أما الرب ففي ملء نعمته السامية لم يغير فقط شاول الطرسوسي بل أرسله من أمام وجهه مبشراً ورسولاً ومعلماً للأمم بالإيمان والحق. وهكذا أصبح بولس الرمز الدائم للخدمة المسيحية، فلقد أعطى مثالاً حياً على القول "نحن أيضاً نؤمن ولذلك نتكلم أيضاً" (٢ كو ١: ١٣).

وبعد ذلك نرى الرب يُدخِل في العمل بعضاً من رجاله لاسيما أبلوس الذي مع أنه كان "إنساناً فصيحاً ومقتدراً في الكتب" ولكنه كان في بادئ الأمر يجهل كل شيء ولا يعرف أكثر من معمودية يوحنا (أي الشهادة التي كانت تؤدي للمسيح وهو على الأرض) ومع جهله هذا بالكنيسة وحق المسيحية الكامل إلا أنه كان مؤمناً. لا شك أنه كانت توجد نفوس مخلَّصة قبل مجيء المسيح، ومن الجهالة بمكان أن نرى صعوبة في مثل هذا الفكر. ومع أن أبلوس قبل بالروح القدس الشهادة للرب غير أنه لم يعرف ماهية عمل المسيح الذي علمه إياه رجل صالح مع امرأته وقد ساعداه على تفهم الكتب فأصبح أكثر اقتداراً في الحق من قبل، ولكن لا توجد أية إشارة إلى تعيينه رسمياً قبل القيام بالتبشير. ومع ذلك نرى الرسول بولس يكتب عن أبلوس بمزيد الاحترام ذاكراً اسمه بالاقتران به وببطرس كما جاء في (١ كو ٣: ٢٢) ثم نجد أيضاً أن الرسول يكتب للكورنثيين في نهاية الرسالة الأولى ذاكراً لهم أنه كان قد طلب إلى أبلوس أن يأتي إليهم "ولم تكن له إرادة البتة أن يأتي الآن" أفلا يدلنا هذا على حالة تختلف عما يحلم به الناس من سلطان رسولي، وعما يجري في زماننا أيضاً؟ وكل الذي يوضحه هذا المثال إنما هو الطريقة التي حافظ الرب بها على سلطانه. ها هو رسول ملهم يقدم نصيحة لأبلوس ولكن أبلوس لم يسمع لذلك النصح. وقد

 All rights reserved © 2008-2018

سجل الرسول هذه الحادثة بدون إيقاع الملامة على أبلوس وفي الواقع أن الكتاب لم يذكر أيهما كان مصيباً في عمله وربما يكون رسولنا العظيم هو المصيب ولكن الوحي لم يذكر لنا شيئاً عن هذه النقطة. وفي أي حادثة ما يخبرنا التاريخ بهذا الحق السامي وهو أن الرب لا زال هو السيد المطلق والمتسلط الحر على خدامه. يريد الإنسان أن يسن قوانين أما الرب، الذي نحن تحت التزام أن نطيعه أكثر من الجميع، فإنه يدرب قلوب خدامه ويعطيهم في هذه الكلمة مبدأ يسيرون عليه كل الطريق. وهل هذا ينطبق عليك وعليّ أيها القارئ؟ وهل أنت خادم للرب، وللرب وحده؟ أم نحن خدام طائفة خاصة؟ إذا لم نكن سوى خدام للأسقفيين أو المنشقين فلا شأن لي بكم. أما إذا كنا حقيقة خدام المسيح فلنحترس متذكرين أنه "لا يستطيع أحد أن يخدم سيدين" فإذا كنا نسعى لأن نخدم المسيح والطائفة التي نحن فيها فأياً نلازم وأياً نترك. المسيح أم الطائفة؟

الجماعة والخدام

ومن ثم نجد بالارتباط مع جماعة الله خدمة لكلمة مسلمة تسليماً إلهياً لبعض الأعضاء وليس للكل، ولكن بالتأكيد لخير الجميع. فعلى الكنيسة أن تراعي الخدام في خدمتهم وعلى الخدام أن يراعوا الجماعة في مركزها. وكل من يخلط بين الأمرين لا شك أنه يخلق نتائج وخيمة، لذلك يجب ألا نضحي بأحدهما في نظير رفع شأن الآخر. فواجب الخادم وحكمه أو نصحه فلا شيء من ذلك يُخلي الجماعة من مسئوليتها أمام المسيح. فيسوع الذي هو رب الخادم هو نفسه الذي تعترف به جماعة الله رباً لها.

ولنتأمل في المثال المذكور في (أع ١٣) عن برنابا وشاول. فقد خرجا في إرسالية يقودهما فيها الروح القدس آخذين معهما مرقس. ولكن مرقس انقلب فصار خادماً لا يكترث بالخدمة وفي الحال رجع إلى منزله. وفي (أع ١٥) نرى رسولينا يعاودان الكرّة ولكن بولس يصرّ على عدم ذهاب مرقس معهما. ولكن برنابا، إذ كانت تربطه بمرقس رابطة القربى، لم يشأ أن يتركه وحصل بينه وبين بولس (مع أن برنابا كان رجلاً صالحاً) مشاجرة أدت إلى افتراق خادمي المسيح هذين اللذين كرسا حياتهما لخدمته بكل القلب. وكان من بولس أن وقه اختياره على سيلا وخرج مستودعاً الإخوة لنعمة الله، ولا شك أن الكنيسة كانت مقتنعة بأن بولس كان مصيباً في ما فعل. غير أن برنابا لم يُذكر له شيء مما ذُكِر لبولس والكتاب لا يتعرض لهذه النقطة. وقد دخل بولس إلى دائرة واسعة من العمل، وذهب معه سيلا كأنه حل مكان برنابا. وهنا لسنا نرى خادماً واحداً يقوم بالعمل بل شركة من اثنين أو ثلاثة في خدمة الرب. لقد كان برنابا مخطئاً في أخذه مرقس كما كان بولس مصيباً في اختياره سيلا، غير أن المبدأ واضح. ومسألة اختيار شريك في الخدمة تحتاج بالضرورة إلى تمييز روحي. أما الشركة الإجبارية مع شخص لا نعتقد أنه كفء ومحبوب فواضح أنها شركة ليست حسب فكر الرب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهكذا نرى أنه توجد في خدمة الرب شركة ولكن لا توجد عبودية في الشركة. فقد كان برنابا حراً في أن يبشر بالكلمة كما لو لم يحصل المشاجرة بخصوص مرقس. ولم ينقصه بالطبع من يُرحب به (برنابا) من القديسين، ولا من يستفيد بتبشيره من الخطاة. ولكن بولس لم يُجبَر على مرافقة مرقس لهما فاختار آخر – وهذا مثال مهم جداً لنا. وما أكمل العدة التي تعدها كلمة الله لأجل الشركة في العمل ولأجل رفض هذه الشركة! والرب يسوع يحفظ سلطانه اللائق به، ليس فقط بالنسبة للجماعة من جهة ترتيبه إياها، بل بالنسبة للخدمة بإظهاره كيفية القيام بالعمل على الأرض. وفي كلمة الله الكفاية لكل حاجة.

الإيمان بالله

غير أن هناك أمراً آخر يعوزنا جميعاً وهو الإيمان البسيط في الرب، في نعمته وفي كلمته. فإذا ضاع هذا فإن النفوس تكون عرضة لأن ترتطم بالصعوبات. فإذا ما رأت الأمور بمظهر تختلف عن المظهر الذي اجتذبها مرة فإنها تأخذ في الشك لكل شيء. ولكن ما أعظم الفرق فيما لو كنا نعزم أن نتعامل مع الرب! إذن لننظر أن نكون خاضعين له. على أنني لست أنكر الخضوع الأدبي الواجب علينا لمرشدينا في خوف الرب، لأن هذا جزء من الخضوع للرب، فقط كل ما أريد أن أثبته هنا هو أنه في كل الأزمنة، وتحت أي الظروف يجب أن نُرضي الرب الذي سيرافقنا ولو كانت ظروفنا تبدو حرجة وقاسية ولكننا سوف نجد بركة غير متناهية لنفوسنا. وفي الحقيقة أننا في أزمنة الضيق نختبر كمال البركة. ولنتأكد أنه كما قد اجتاز الرب الصليب إلى مجده السماوي، هكذا سنجد صليبه مرسوماً على كل خدمة، ومع ذلك فهو الرب والصليب صليبه لذلك لتفرح قلوبنا وتغتبط.

وهذان الحقان اللذان بحثنا فيهما في محاضرتنا الثالثة هذه – وهما جماعة الله وخدمة المسيح – مرسومان في كلمة الله. وكلاهما صادر من المسيح عوض أن يكونا مجرد جمعية متطوعة. ونحن لا نستطيع أن نتخلص من المسئولية الملقاة على عاتقنا إزاء هذين الحقين. فالكنيسة تحت التزام أن تقبل خدام المسيح عوض أن يكون لها حق الاختيار. والخادم ينتظر القوة من المسيح وهو مسئول مباشرة أمام المسيح. وإذا كان أحد مدعواً للخدمة فليفرح بهذه الحقيقة المباركة (وليخضع لها) وهي أنه مفروض عليه أن يخدم الرب يسوع المسيح وستكون نتيجة قيامه بهذه الخدمة الرفض من العالم، بل حتى كثير من أصدقائه المسيحيين قد ينظرون إليه ببرود. ولم يُقصَد أن تتم خدمة المسيح حسب نظام العالم، ولا أن تكون جماعة الله حسب أفكار الناس – إذ أن المقصود من الخدمة والجماعة هو أن تكونا لتعظيم الرب يسوع، وأداة لتدريب إيمان قديسيه وخدامه، وينبغي أن يظلا كذلك. وأكثر من هذا فقد قصد أننا في الكنيسة والعالم نشعر بصعوبات وأحزان كما بأفراح الإيمان أيضاً. ومع أنني لست أرتاب مطلقاً في النصرة في المسيح، ولكننا يجب أن نتوقع تجارب وضيقات تلاقينا في هذا العالم، كما قد يلاقينا أيضاً تباين واختلاف، وفي كنيسة الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أيضاً قد نجد بعض التقلبات – ولا شك أن كل من خدم المسيح يعرف شيئاً من هذا كله. أما ذاك الذي له الكنيسة، ذاك الذي نحن نخدمه، فهو يبقى "هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" فهل نحن على استعداد أن نتبعه؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خلاصة المحاضرة الرابعة

السجود وكسر الخبز والصلاة

١. ماهية السجود ٢. الحالة التي تستلزمها النفس لإمكان السجود ٣. خطية وعار تداخل الإنسان في السجود لله ٤. امتيازنا كمسيحيين أن نقول "نعلم" ٥. عدم استطاعة الإنسان أن يسجد لله ما لم يولد منه تعالى ٦. المبدأ العظيم للسجود ظاهر في كلام الرب مع المرأة السامرية ٧. الله كان يحجب نفسه في زمان سيادة الناموس ٨. أما تحت النعمة فقد أعلن الله ذاته ٩. ثلاثة أمور ضرورية للسجود ١٠. أين ينبغي للناس أن يسجدوا ١١. لقب الله كأب لم يعلن لإسرائيل ١٢. الله الآب طالب ساجدين ١٣. المصباح اليهودي ينطفئ ويحل محله ضياء مجد الآب ١٤. يجب ألا ننسى أن أبانا هو أيضاً إلهنا ١٥. ماذا ينبغي أن أعمل إذا طُلِب مني أن اشترك في السجود ١٦. السجود الجسدي يوافق الحالة الجسدانية ١٧. ما الذي يحدث عندما يكون السجود المسيحي غير معروف أو مهملاً؟ ١٨. يجب ألا نخلط بين الكرازة بالإنجيل وبين السجود ١٩. السجود مؤسس على المسيح (ميتاً ومقاماً وصاعداً) ويقدم بقوة الروح القدس ٢٠. موقف غير المؤمنين في حالة وجودهم مع الجماعة في اجتماع العبادة ٢١. من يستطيع أن يرنم ويقول آمين؟ ٢٢. كم هو عدد الذين لهم نصيب فعلي في الجماعة ٢٣. كلمة عن طلب الترانيم ٢٤. الانتقاد ٢٥. كسر الخبز ٢٦. عشاء الرب ٢٧. مميزات اليوم الأول من الأسبوع ٢٨. الغرض الرئيسي من العشاء هو التخبير بموت الرب ٢٩. متى يجب أن يُكسر الخبز؟ ٣٠. غرابة الحرية في ميعاد كسر الخبز في نظر الذين اعتادوا الأوضاع الجافة ٣١. أفكار قد ترد في خاطر بعض الذين كسروا الخبز ٣٢. ما الذي حدث بين الكورنثيين بواسطة عدم إدراكهم صفا عشاء الرب ٣٣. تحليل فكرة تعيين موظفين مخصوصين للشكر على المائدة ٣٤. ضياع صفات العشاء في حالة تعيين موظفين مخصوصين للشكر عليه ٣٥. العشاء لا يعطي مجالاً للمظاهر البشرية ٣٦. ما المراد من ١ كو ١١: ٢٩؟ ٣٧. عشاء الرب امتياز حلو كما هو واجب خطير في عنق شعب الرب ٣٨. الصلاة وعدم ذكر الكتاب شيئاً عما يسمى "موهبة الصلاة" ٣٩. الرسول يضع قاعدة مفادها أن الرجال يصلون في كل مكان ٤٠. الخاتمة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحاضرة الرابعة

السجود وكسر الخبز والصلاة

يوحنا ٤: ١٠ – ٢٤

ماهية السجود

إن أول وأهم قسم في الموضوع المطروح أمامنا هو الخاص بالسجود، وهو قسم يهمنا أكثر من القسمين الآخرين لما له من مساس كبير بالله نفسه، وإنني مقتنع بأن هذا أصدق وأضمن وأنفع قياس لنفوسنا. لا شك أن كسر الخبز قد يكون متضمناً في السجود، إلا أنه يستدعي بحثاً خاصاً لما له من طبيعة مزدوجة ووجهات نظر خاصة نحو القديسين أنفسهم، في حين أن السجود – كما هو في حقيقته يتجه بالضرورة إلى الله. وقد رأينا أن نفرد مكاناً خاصاً لكسر الخبز بالنسبة إلى أهميته العظمى إذ هو يقدم لنا، بكيفية مؤثرة وطريقة تسبي القلوب، ما يذكِّر نفوسنا بذلك الإعلان العميق الخطير عن القداسة الإلهية والنعمة الغنية الباديتين في موت الرب. وعندما يجتمع القديسون ليكسروا الخبز فهناك يتساوون جميعاً، ويعترفون كلهم بحالتهم التي كانوا عليها بدون سفك دمه الكريم، ويتذكرون ما هم فيه بفضل ذلك الدم، وفوق ذلك فإنهم يعترفون بصفات ذاك الذي مات كفارة عنهم. هذا تقدمه لنا المائدة حتى نذكر الرب – إلى الأبد – في شكر وتعبد ونحن في سلام.

والفصل الكتابي الموضوع في رأس هذه المحاضرة لا نرى منه فقط أن السجود ناحية مباركة رفيعة مثمرة من نواحي الحياة المسيحية، بل نرى منه أن الرب يقارن بينه وبين ما وضعه الله للتدابير الماضية. وكما قد لقينا فيما مضى، من تأملنا في معاملات الله القديمة، عوناً على تفهم إعلانات الله الجديدة في العهد الجديد، فسوف نلقى ذلك العون لموضوع السجود.

وأحب أن أقول أولاً – كمقدمة لمحاضرتي – أن السجود يستلزم حالة خاصة للنفس. فالله ينتظر السجود من أولاده إذ أنه واجب محتوم ملقى على عاتقهم، ولكن حتى يكون السجود مسيحياً فعلاً فلا بد من وجود مبدأ من جانب الله وجانب أولاده كما هو الحاصل بالنسبة للجسد الواحد الذي هو جماعة الله وبالنسبة لعطية الروح القدس. وإذا كان هنالك دائرة يُحسَب السماح فيها بالإرادة الذاتية خطية وعاراً فتلك هي دائرة السجود لله. ولكن هل نجد دائرة تصرف الناس فيها مراراً بهذه الكيفية الخاطئة وبلا ضمير أكثر من هذه الدائرة؟ وهل هناك عمل يعظم الإنسان به ذاته ويقاوم روح النعمة أكثر من هذا العمل؟ ولا يحسبن القارئ أنني أقسو في لهجة كلامي هذا. وهل هي قسوة وصرامة أن نتكلم عن تداخل يضل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العالم، وينجس الكنيسة ويفسد مجد المسيح الأدبي؟ وها نحن نرى الإنسان يعمل – سواء على أساس فاسد أو بلا أساس – طول الطريق، على إهانة الله بالرغم من الإعلانات الواضحة التي قدمها ويقدمها تعالى عن نفسه في ابنه العزيز. وما دام الله قد تكلم وعمل فعلاً هكذا فهو تعالى قد أعلن لنا تماماً.

هذا هو ينبوع آمالنا وغبطتنا، والأساس الذي يقوم عليه السجود المسيحي (أي إعلان الله لنا ذاته تماماً). ومع أن حصولنا على إعلان كامل عن الله في المسيح هو نقطة جوهرية في موضوع السجود المسيحي، إلا أنه ليس كافياً مهما كان. فالإنسان له حاجة يجب أن تسدد بحسب المجد الإلهي. وتبارك اسم الله فإنه تعالى لم يعدم وسيلة لإعلان نفسه تماماً إن لم يترك شيئاً ناقصاً، كما أنه لم يعمل عملاً لا يعد كاملاً. وكل ذلك حتى لا يكون للريب أو الجدل مجال في الأمر.

لا شك أن الله قد تدرج في إعلانه لفكره ومشيئته ومجده، وأظنه جائزاً إذا قلنا أنه تعالى لم يستطع أن يعلن جميع أفكاره قبل أن يبذل ابنه. أما وقد جاء الابن فنستطيع أن نقول – كمؤمنين – بلا تردد "قد أعطانا بصيرة لنعرف الحق" وإذا لم نقل بجرأة وشجاعة "نعرف" فإننا في هذا نكون متهاونين طواعية، ومتمردين على ما أعطاه لنا الله لكي نعرفه بواسطته. أليس هو أمر عظيم أيها القارئ، في عالم الظلمة هذا، أن يضع الله – حتى في أفواه أطفاله – مثل هذه اللغة الحازمة "نعرف"؟ أجل – وهو تعالى يريد أن نقيم الدليل على القول "نعرف" ليس فقط بالنسبة إلينا بل بالنسبة إليه تبارك اسمه. كثير لنا أن نملك كتاباً إلهياً نستطيع أن نشرف منه – بإرشاد الروح القدس – على الماضي، ونتطلع إلى المستقبل ونطل على الحاضر فنقول عن الأزمنة الثلاثة "نعرف". وأعظم من ذلك بكثير أننا نقول باتضاع وصدق "نعرف الحق ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح" (١ يو ٥: ٢٠).

والمسألة ليس مسألة مبلغ تقدم أولاد الله في المعرفة. ولو أنه لا بد من النمو في المعرفة ولكن مع هذا يجب أن ندافع عن ذلك الحق الأساسي المبارك وهو أن كل نفس أتى بها الله لذاته، لها مسحة من القدوس وتعرف كل شيء. ثم أن حصولنا على هذه القدرة الإلهية يفوق بمراحل أي درجة من التفاوت يمكن وجودها في النمو العملي. لا شك أنه يوجد تفاوت في هذه الناحية ولذلك فهناك مجال لتدريب الذهن الروحي، ولا ريب في أن روح الله يعمل فينا بواسطة الحق لكي ننمو. ومن جهة أولاد الله فلنثق تمام الوثوق أنهم ولو وُجِدوا في ظروف حرجة فإن الله قد أعطاهم طبيعة جديدة تمكنهم بالروح القدس من إدراكه تعالى وتقديره والتمتع به، وما أجدرنا بأن نجعل حياتنا التي نصرفها على الأرض فرصة للنمو إذ هي المدرسة التي علينا أن نتعلم فيها الحق اختيارياً، ونطبق ونغرس في نفوسنا ما قد حصلنا عليه بنعمة الله، متذكرين أن معرفة الحق هي امتياز كل ابن لله كما

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقول الرسول "لم أكتب لكم لأنكم لستم تعلمون الحق بل لأنكم تعلمونه وأن كل كذب ليس من الحق" (١ يو ٢: ٢١).

شروط السجود لله

على أن امتياز معرفة الحق هذا يشير إلى الحاجة القصوى التي يفتقر إليها الإنسان لكي يكون ساجداً، إذ هو في ذاته – ما لم يولد من فوق – ليس كفؤ للسجود لله، نظير الفرس الذي لا قدرة له على فهم العلوم أو الفلسفة. وإنني – مبدئياً – أنكر على الإنسان الطبيعي إنكاراً كلياً قدرته على السجود لله فلابد أن يكون خليقة جديدة في المسيح، وأن يحصل على طبيعة جديدة من الله، وبذلك يستطيع أن يعرف الله ويسجد له. على أن مجرد الحياة الأبدية – التي تحصل عليها كل نفس بإيمانها بابن الله – لا تؤهلني وحدها للسجود، والله نفسه لم يكتف بأن أعطاني تلك الحياة: فلقد أعد وسائط أخرى عظيمة الأهمية ومنحها – ليس لبعض من أولاده – بل لهم جميعاً. ومع ذلك ففي كثير من الحالات – ويا للأسف – يعتري الظلام منظر هذه النعمة العظيمة، ويتعطل تمتعنا بها. وقد يكون من الصعوبة بمكان أن نميز القدرة الإلهية أو قوة السجود. على أنه من حقنا أن نستند على الرب وعلى حق كلمته الراسخ وعلى كمال نعمته.

وإذا كان الله قد وهب حياة جديدة لأولاده، وصالحهم لنفسه بذاك الذي حمل خطاياهم في جسمه فوق الخشبة، فلأي غرض صنع هذا العمل العظيم يا ترى؟ لا شك أنه صنعه لمجده الخاص مدفوعاً فيه بمحبة قلبه، ولكن دعوته لأولاده لكي يسجدوا له ويعبدوه الآن هي ناحية من نواحي ذلك المجد وصدى لمحبته تعالى. وها نحن نتأمل الآن في هذا الموضوع الهام – موضوع السجود المسيحي، الذي يتطلب حصول الساجدين على عطية الروح القدس المنسكب في يوم الخمسين كما تتطلبه الجماعة ومستلزمات الخدمة. وهو (أي السجود) ركن من أركان تعبد أولاد الله لأبيهم، وعبارة عن سكب القلب الذي يطلبه الله من جميعهم.

إذاً: فأول أمر يعوز الإنسان لكي يتمكن من السجود كمسيحي هو أن يولد من الله بحسب نعمته تعالى في شخص المسيح، وأن يقبل الروح القدس ليُسكَب فيه. ولنا في جواب الرب على المرأة السامرية المذكورة في (يو ٤) تعليم مبدأ السجود. قال له المجد "لو كنت تعلمين عطية الله ومن الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً" وهنا جوهر السجود "لو كنت تعلمين عطية الله". فليس هو الناموس (ولو أنه معطى من الله نفسه) الذي مع وجود تلك المرأة تحت حكمه إلا أنها لم تعرف عنه شيئاً (لأن السامريين كانوا خليطاً: فكانوا أمماً صرفاً ولكنهم متهودين باعترافهم وصورتهم) وحتى لو كانت شريعة الله معروفة في ملئها وكمالها، ولم تمتد إليها يد التعطيل والإفساد من ناحية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإنسان، إلا أنها بكل تأكيد ما كانت تصلح أساساً للسجود المسيحي. فكلام الرب كان "لو كنت تعلمين عطية الله" – هبة الله المجانية: أعني لو أنها عرفت الله كالمعطي وكمن يعمل حسب سخائه ومحبته المجانية. هذه هي الحقيقة الأولى وتليها في الأهمية حقيقة أخرى متضمنة في قول الرب "ومن الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً".

لقد كان الله – طول الوقت الذي صادق فيه على الناموس كنظام – يسكن الضباب، بمعنى أنه لم يعلن ذاته بل حجبها. ولكن حينما جاء الابن الوحيد، وأعلن الآب لم الله شاغلاً مركز المطالب للإنسان – تلك الصورة التي أظهر بها الناموس صفاته تعالى. لا شك أن تلك الصفات التي أعلنها الناموس هي صفات صحيحة وكاملة وصالحة (كالوصية ذاتها) وكان على الإنسان لقاءها أن يخضع له تعالى وينفذ مطاليبه الإلهية. إلا أن الإنسان كان خاطئاً وما كان التشدد في تنفيذ المطاليب الإلهية سوى إيضاح وإبراز خطايا الإنسان. ولو أن الناموس كان صورة الله – كما يعلِّم بذلك باطلاً بعض اللاهوتيين الأغبياء المضللين – إذن لترك الإنسان بغير رجاء وإذا لهلك. على أن فكراً كهذا لهو بعيد كل البعد عن الحق الكتابي. فالناموس ليس هو الله – ولو أنه منه تعالى – ولا ظلاً لله، بل هو القياس الأدبي لما لله من حقوق على الإنسان الخاطئ. الله نور، الله محبة، وإذا كان الإنسان في أعماق العوز فإنه يعطي مجاناً عطية كاملة كذاته العلية. في الحقيقة إن هذا يليق به – تبارك اسمه – وما يسره له المجد. قيل "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" فلو أن الله أُغمِط حقه في أكثر الأمرين غبطة (أي العطاء) لبدا ذلك غريباً. ولكن لا! فقد تمتع بحقه، وإن كان بحسب الناموس هو الآخذ (ما لم يكسر الإنسان ذلك الناموس)، إلا أنه في الإنجيل هو المعطي – المعطي من أعز ما يملك، لأولئك الذين ما كانوا يستحقون سوى الهلاك الأبدي.

وقد استطاع الله أن يعطي الإنسان كل هذا بواسطة مجد واتضاع ابنه العزيز الذي تنازل وتألم للحد الأقصى من أجل الخطاة. لذلك ما أصدق وأجمل أن ينطق الرب بهذه الكلمات الحلوة "لو كنت تعلمين عطية الله ومن الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً" كأنها لو عرفت نعمة الله، ومجد ذاك الذي تكلم معها بحرية، لطلبت فوجدت كل ما تحتاج إليه. على أنها ما فكرت إلا قليلاً أن ذلك الشخص هو الرب، إله السماء والأرض، الابن الوحيد الذي في حضن الآب. ولو أنها أدركت شيئاً من هذا لطلبت فأعطاها ماء حياً – الماء الذي يُقصَد به الروح القدس. وهل نحن بحاجة لأن نقول أنه لا يستطيع أحد ما أن يعطي مثل هذه البركة سوى شخص إلهي فائق؟

ومن أقوال الرب يسوع هذه نرى كيف أنه له المجد يضع الأساس اللازم للسجود المسيحي. فأولاً نرى الله معلناً في نعمته كما هو في الإنجيل بالمقابلة مع الناموس ثم نرى الابن متنازلاً في فرط صلاحه، راغباً في أن يكون مديناً للإنسان في أقل الأمور لكي يباركه في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أعظم الأمور بمحبة تستطيع أن تربح أكثر الخطاة إهمالاً وعناداً. وآخر الكل نرى عطية الروح القدس. فإذا كانت هذه الأمور الثلاثة ضرورية لحياة السجود المسيحي، فكم يكون السجود نفسه في صفته الحقيقية وغايتها الأصلية في فكر الله؟ وهو في الواقع يفترض إعلاناً كاملاً من الله عمن هو تعالى في طبيعته الإلهية وفي نعمته المتجهة نحو الإنسان. ويفترض أيضاً أن الابن قد وُجِد بين الناس بالمحبة ليبلغ ذلك الإعلان في إبطاله الخطية بذبيحة نفسه. ويفترض آخر الكل أن القلب الذي تيقظ إلى أعوازه الحقيقية يطلب فيأخذ من الرب ماء حياً – يأخذ الروح القدس، ليس فقط كواسطة الحياة والتجديد، بل كينبوع ماء حي ينبع إلى حياة أبدية.

ينبوع الحياة الأبدية

ولو تدرجنا قليلاً في هذا للإصحاح نفسه لوجدنا تعليماً واضحاً عن الموضوع، ولو أننا رأينا أساسه في العدد العاشر. فعندما تأثر ضمير المرأة السامرية وعرفت أنها في حضرة نبي – ولو أنها لم تعترف به حينئذ كمسيا – نقرأ أنها في الحال طرحت أمامه ما أشكل عليها من المسائل الدينية لكي يحل له الأشكال واثقة بأنه قد جاء بحق الله فقالت "أرى أنك نبي" وبهذه المناسبة أرجو أن يلاحظ القارئ أن أهم ميزات النبي – سواء في العهد القديم أم في العهد الجديد – هي أن يستحضر الضمير رأساً إلى محضر الله لينشر نوره على النفس. قد وُجِد أنبياء كثيرون استطاعوا بصعوبة أن يخبروا بأمور عتيدة ومع ذلك كانوا أنبياء حقيقيين. وإذ وجدت امرأتنا هذي نفسها في حضرة شخص يستطيع أن يعلن حق الله، فقد أرادت منه أن يجيب نفسها إلى أسئلتها. فلقد توجهت إليه بخصوص مسألة كانت ولا تزال في كل الأزمنة ذات أهمية لا تدانى وهي مسألة الدين، والعالم نفسه، على عماه وفي موته، لا يدافع عن أمر أكثر من دفاعه عن ديانته. لقد كانت توجد فروق في موضوع السجود كما أن بيننا الآن فروقاً، والمرأة تعرف بوجود مثل هذه الفروق بدليل قولها "آباؤنا سجدوا في هذا الجبل. وأنت م تقولون أنه في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يُسجَد فيه" ولكن الرب يجيب بكل حزم على هذا السؤال فيقول "يا امرأة صدقيني أنه يأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب". ومن ثم يستطرد في حديثه فينطق بكلمة توبيخ "أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم لأن الخلاص من اليهود" واضح أنه مهما كان آمال اليهود الباقية لهم فإنها مؤسسة جميعها على إيمانهم بالمسيح. على أنه بينما يدافع – له المجد – عن مركز اليهود (لا عن حالتهم) فإنه يعلن عن فجر يوم بهيج فيقول "تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له". ولقد استطاع أن يتكلم بهذا الوضوح وذلك الحزم لأنه كان هو ابن الله نفسه الذي في حضن الآب، وكان له الحق – بسبب مجد شخصه – أن يُدخِل سجوداً يوافق معرفته الشخصية الدقيقة وإعلانه الكامل عن الآب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبناء على هذا يستطرد الرب فيوضح صفة السجود المسيحي أيضاً إيضاحاً تاماً. فيعلن لنا الله كالآب الذي يدعو ويتبنى له أولاداً، لا بل ويطلب أولاداً. وفي هذا كمال المحبة الآتية من السماء ولأجل السماء. لقد كان على الإسرائيلي أن يطلب يهوه، وذلك بواسطة طقوس معينة ومراسيم جافة، وبهذه الطريقة وحدها استطاع ذلك الشعب المختار أن يأتي إلى الله ويظهر أمامه في سجوده له. ومع المراعاة الدقيقة في هذه الخطوات فما كان في ميسور واحد منهم أن يدنو من محضره تعالى، ولا حتى رئيس الكهنة نفسه، الذي وإن كان مستطاعاً له أن يدنو ويقترب فلم يكن دنوه هذا لله المعلن كالآب. فلم يكن الله أباً لهارون ولا فينحاس ولا صادوق البارزين، ولا لغير البارزين من أي عضو في أسباط إسرائيل، لأنه لم يكن عندهم إعلان عن الله في هذه الصفة – أي كالآب. أما الآن فقد أتت الساعة حتى يطلب الآب فيها ساجدين. لقد دل الاختبار على أن النظام اليهودي ناقص وها هو الآن قد دِين وقُضي عليه. وكان الله يرى أن القدس العالمي قد انهدم ولذلك كان المسيح أمامه تعالى هو الهيكل الحقيقي. فقد جاء ابن الله وكان في مجيئه هذا قلب للأمور ظهراً على عقب – لا ليعلِّم فقط بل ليغير كل شيء. لذلك لا عجب إذا وجدنا في حياته وبواسطة حضوره إعلاناً جديداً كاملاً عن الله – إعلاناً عن اسم الآب. وفي إصحاحنا هذا نرى المسيح يعلن الأمر الجديد من هذا الوجه: أي كيف يجب أن يُبطِل السجود الأرضي، ليس من جبل جرزيم فقط بل حتى من أورشليم، إذ قد تبدل السجود عن معناه الأصلي فصار سجوداً للآب بالروح والحق لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين، وما أعجب هذا الحق أيها القارئ العزيز!

نعم، ويا له من حق مجيد سامي أن الله الآب يسعى بمحبته الصمدانية المبدعة طالباً ساجدين! طبعاً كان يتمم هذا السعي بواسطة ابنه العزيز وبعمل الروح القدس، غير أن المبدأ الظاهر في هذه الآية هو أنه كالآب يطلب ساجدين وذلك بالمقابلة مع الطبيعة ومع الديانة اليهودية. فالسجود المسيحي ليس هو فقط ذا خاصية جديدة كل الجدة لاقت بإعلان الله الجديد عن نفسه، بل قد أطفأ بالضرورة المصابيح العتيقة للقدس الذي كان يُعتَرَف به في اليهودية قديماً. والذي حدث ليس فقط أن السجود السامري الأعرج قد دِين إلى الأبد بل إن ضوء السماء اللامع مجاناً قد كيف الأشعة الضعيفة التي كان القصد منها في إسرائيل أن تجلو الظلام، وأن تبقي على شهادة لنور عتيد أفضل. وما كان يعترف به الله ويستخدمه إلى حين إذا به عتيد أن يصبح عدماً وعبئاً ثقيلاً، وقد أدخل الله – كما نرجو – تغييراً عظيماً ببر فائق. ويجدر بنا أن نذكر أن الإنسان كان قبل ذلك الوقت تحت الامتحان: فاليهودي – كمثال للإنسان المُختار المُنعم عليه – قد جاز الامتحان ولم تكن نتيجة امتحانه سوى صليب وعار الرب يسوع فلقد رفضوا وقتلوا مسيحهم لأنهم لم يعرفوا أنه الرب الكائن فوق الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد. وأخيراً، وبعد أناته وصبره، طرح اليهود جانباً بعدل وحق. ومن هذا نرى التدرّج الأدبي في طرق الله ومعاملاته. فلم يكن في رفض الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لإسرائيل ظلم أو استبداد ولا شك أن كل من يؤمن بما أعلنه تعالى في كلمته بالنسبة لرفض إسرائيل مسيحهم يدرك عدم وجود ذرة من الظلم إذ لم ينطق بذلك الحكم عليهم إلا بعد تدرجه معهم وصبره الطويل عليهم. لقد كانت الحياة وخدمة المسيح على الأرض إعلان لنعمة غنية وأناة طويلة لم يسبق أن شاهدهما البشر أو تصوروا حدوثهما. أما الآن فقد أتت النهاية أمام الله لأن اليهود بتصرفاتهم الخاطئة قد فصموا آخر عروة استطاع أن يرتبط بها شعب في الجسد مع الله العليّ، وإذا رفضوا مسيحهم فقد رفضوا أنفسهم. ولكن بعد أن صار الصليب أمراً واقعياً. وبعد أن تم الفداء، وبعد أن أُقيم ربنا يسوع المسيح من الأموات، إذا بالنعمة والحق اللذين صارا به قد أشرقا في عمله على الصليب، وقد أعلن الروح القدس ذلك الفداء العظيم الذي لم يكن حينئذ مجرد وعد بل كان قد تم وكمُل، ومن ثم فكل الذين آمنوا قد حصلوا على ما يمكّنهم من السجود للآب، وليس على مجرد إيمان بالمسيا – إذ أن هذا الإيمان كان فيهم حال وجوده معهم على الأرض. والآن وقد صار لهم فيه الفداء بدمه غفران الخطايا، وقد أعلن لهم المسيح الله نفسه كأبيه وأبيهم وإلهه وإلههم (وهذا بقوة وحضور الروح القدس المُرسَل من السماء) فقد استطاعوا أن يدخلوا إلى الأقداس ويعبدوا بحق الإله الحقيقي وأن يقولوا – ليس فقط بواسطة الرب يسوع بل معه – "يا أبّا الآب".

السجود بالروح

والذي كان يعوز الساجدين المسيحيين ليس فقط مجرد حياة روحية وفداء، بل الروح القدس أيضاً. ولذلك نرى الرب يضيف على قوله السابق "الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" وأرجو أن يلاحظ القارئ الفرق في الكلام: فعندما يتكلم الرب عن الآب كمن يطلب ساجدين فإنه يقول إن هذا الطلب إنما هو نعمة خالصة صادرة مجاناً من قلبه المحب، إذ أنه هو بنفسه (أي الآب) هو الذي يطلب، فليس فقط يرضى عن سجود شعبه بل هو يطلب ساجدين. ولكن لنذكر أن أبانا هو الله على أنه الغرابة بمكان أن ننسى هذه الحقيقة، التي ما يكون نسياننا إياها سوى حالة جسدانية محضة ليست داخلة ضمن امتيازنا - بالرحمة السامية - في التقرب إليه تعالى – الامتياز الذي لا ينبغي أن يُخمِد بأي حال من الأحوال جذوة شعورنا بعظمته، بل بالأحرى ينبغي أن يزيد ويقوي فينا ذاك الشعور. يقول الرب له المجد "الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" ومن هذا ندرك أننا تحت التزام أدبي لا نستطيع العمل بدونه. والحق هو أن المسيح يخلق ويحيي في حين أن الناموس لا يستطيع ذلك، إذ ليس منه إلا أن يقتل. وماذا كان يستطيع أو ينبغي أن يعمل للخطأة سوى أن يقتلهم؟ ولو أنه أطلق سراحنا لكان ناموساً غير صالح. فإذا كنت استحق الموت كإنسان مذنب مسئول أمام الله فالناموس إذاً عادل ومقدس وصالح في إدانته أياي. أما المخلص فمن حدود عمله أن يعطيني حياة، وليس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مجرد حياة بل حياة بموته وقيامته، حياة بلا خطيئة أصلاً وفرعاً، حياة أستطيع بها أقوم فيه بطبيعة جديدة، معتوقاً بالنعمة عتقاً تاماً من شقاء وإثم وسلطان وديونة الإنسان القديم.

هذا هو مركز كل مسيحي، وهذه هي عناصر حياته، وموقفه أمام الله – ولأن كانت هذه العناصر بسيطة إلا أنها مباركة وغنية جداً. وكما أنها ليست منفصلة عن عطية الروح القدس كذلك نحن نحتاج تمام الحاجة إلى هذا الأقنوم الإلهي حتى نستطيع أن نسجد لإلهنا وأبينا. ولأجل هذا الغرض ولغيره من الأغراض قد أُعطيناه ليبقى معنا. ولما قال الرب أن "الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" فهذا يقوله عن الروح القدس المُعطى بالمسيح ليكون في المؤمن، والذي بدونه لا قوة على السجود. ولكن ها قد أُعطيناه، وها قد أتت علامة السجود الحقيقي بمعناه الصحيح.

فهل أنت على استعداد أيها القارئ أن تعترف – بأي حال من الأحوال – بسجود ليس من هذا النوع؟ وأحب أن أقول للأحداث الذين قد يكونون قليلي التثبيت في حق الله: قد تُجَربوا أيها الأحداث، ليس فقط بمجرد الميل الطبيعي نحو العالم وسجوده الباطل، بل لأن لكم أقرباء وأصدقاء قد تظنون من الصعب ألا تشتركوا معهم في السجود المسيحي. وأنني أنصح لكم أن تشتركوا معهم بكل ما ملكت أيديكم، وفي أي ظرف ومكان تجدوا سجوداً بالروح والحق فلا تخشوا من الاشتراك فيه، بل بالأحرى اسعوا وراءه بجد واجتهاد وإلا فهل أنتم ميّالون لتغضوا الطرف عن سجود كهذا إلى آخر يعمل أصحابه الجهد في أن يرجعوا به إلى جبل السامرة إذا لم يكن في مقدور الوصول إلى أورشليم – إلى خدمة دينية غير حقيقية وطقسية – إلى نظام يضم بين دفتيه نخبة من الساجدين الحقيقيين وجمعاً زاحماً من ساجدين ضالين؟ وكم في يومنا هذا ممن يفاخرون بالكلام بعبادتهم السماوية في طبيعتها بينما هم في الواقع يطلقون لأنفسهم العنان بعدم مبالاة مفضوحة مُظهرين بأن سماع المواعظ هو كل ما يهتمون له!! ونستطيع أن نتصور أن أناس كهؤلاء لا يعرفون شيئاً – ولا يحبون أن يعرفوا – سوى أن يسمعوا عن طريق الخلاص ويقتصرون على ذلك فلا يتقدمون ليأخذوا مركزهم كأولاد الله المدعوين والمؤهلين لأن يسجدوا للآب بالروح والحق. وما هذا سوى تعاسة وليدة الوجود في مركز محدود بما يعتبرونه ذا قيمة من منتخبات الجسد والعالم – مركز لا تعرف فيه ماهية السجود للآب بحسب كلمته.

على أنني أسلّم أن هذه الحالة – على ما فيها من أخطاء ونقص – أفضل من الانضمام إلى جماعة من المتدينين، الذين لجهلهم بفداء المسيح يُظهرون رضاهم عن نظام إنجيلي للخدمة نظام تعتبر ظلمته نوراً في نظر أصحابه لأنه يتفق مع حالتهم، وعادة أن السجود الجسدي يتمشى مع الحالة الجسدانية.

السجود الحقيقي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولست أرمي في كلامي إلى دخول بعض الأشخاص المرائين خلسة بين الساجدين الحقيقيين – إذ لا شك أن أمثال هؤلاء قد يدخلون خلسة في أي مكان. لكن النقطة الرئيسية التي أشدد فيها هي غلطة وخطية إدخال العالم في السجود الإلهي عن طريق مبدأ فاسد أصبحنا لا نرى أعم منه في يومنا الحاضر ولا أحبّ منه في نظر الكثيرين – على انه واضح أن مثل هذا السجود المختلط بالعالم ليس هو سجوداً مسيحياً ولو أن له صفة المسيحية، وقد نرى الكثيرين يقبلونه ويبررون قبوله باعتباره سجوداً مسيحياً. وها نحن نرى أن رب هذا السجود الباطل قد أصبح موسوماً بأنه ثمرة روح جافة انتقادية خالية من المحبة، بدلاً من أن يراه المنتقدون – كما هو في صورته الصحيحة – رغبة القلب البسيط في تنفيذ مشيئة النعمة: أي أنه لا بد من الحصول على حياة بالروح، إذ لا أقل من أن تكون الحياة الإلهية وقوة الروح القدس عاملين في الساجد.

ثم أنه لا ينبغي أن يكون تمييزنا لمكان وجود السجود المسيحي أمراً صعباً – ولو أنه من السهل أن يعرف الواحد المكان الذي لا يوجد فيه هذا السجود الصحيح، إذ كيف يتسنى وجوده حيث لا يتوقف الاعتراف بجماعة الأمناء المنفصلين عن العالم؟ وحيث لا يُرَحب بالروح القدس ليعمل حسب الترتيب المدون في الكتاب المقدس؟ وحيث يستطيع أي شخص أن يكون عضواً؟ وحيث نرى المعروفين بأنهم غير مؤمنين يشتركون أو يقودون أكثر الخدمات خطورة؟ والنتيجة الثابتة هي أنك ما دمت لا تقوى على رفع العالم إلى مستوى الإيمان فإن المؤمنين الذين يختلطون بالعالم اختلاطاً دقيقاً لدرجة يصعب معها التفريق بينهم وبين غير المؤمنين ينزلون إلى مستوى العالم. ولذلك ها قد رأينا بأعيننا كيف أن العمارات الجميلة، والمراسيم الخداعة والموسيقى التي تستفذ الإنسان، والأناشيد الخيالية تدخل تدريجياً حيث لا تُعرَف ماهية السجود أو حيث ننسى ماهيته. ومن ثم فقد احتاجوا عند هذه الحالة إلى نظام تشريعي لأن التوكل على نعمة الله يبدو في عرفهم إقداماً وجرأة.

وفي حالة كهذي قد نرى عباداً مسيحيين – لأنني لا أريد أن أبالغ في انقراضهم تحت هذه النظامات – على أننا مع ذلك لا نجد سجوداً مسيحياً – وهل تشك أيها القارئ فيما أقول! ربما كان الشك الذي يعتريك يُعزى إلى عدم معرفتك بماهية السجود الحقيقي. وقد وصلت الحالة في زماننا الحاضر لدرجة ضاع معها المعنى الحقيقي للسجود من أمام نظر الكثيرين وأصبحت أفكارهم من جهته غامضة وغير ناضجة ومظلمة فكم من الذين يسمّون البناء الذي يجتمعون فيه ليسمعوا المواعظ باسم مكان السجود وحتى عندما يذهبون لسماع المواعظ فإنهم يظنون ويقولون بأنهم متأهبون لغرض السجود؟ أليسوا كثيرين أيها القارئ؟ وألا يقوم هذا دليلاً على أن الفكرة الأصلية للسجود مجهولة عندهم! ولكن لا عجب في ذلك! نعم نحن نرى أن التبشير بالمسيح قد ازداد في هذه الأيام وقد علقنا عليه آمالاً كباراً في إنهاض وربح النفوس ولكن أين ترى نجد إعلاناً كاملاً عن إنجيل نعمة الله؟ نعم أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

التبشير بالمسيح هو في الحد ذاته أمر نشكر الله عليه فها هي النفوس تتجدد وعلى قدرة مدى الشهادة الصحيحة العادية تتعلم حقيقة خطاياها والخطر المحدق بها على أنه يعوزنا أن يُنادى بإنجيل الله مناداة صريحة. إنجيل الله كما نراه معلناً في الرسائل، وأن تذاع الأخبار المفرحة ليس فقط لأن عمل المسيح قد أبطل الخطية بل أن المؤمن قد أصبح في حياته الجديدة ونسبة جديدة مع الله، وأنه قد حصل على الروح القدس ختماً وتصديقاً على تلك النسبة. وحيث تُعرَف هذه الحقائق فإن السجود يصبح حينئذ الثمرة المحتومة. البسيطة لهذه المعرفة. وإذ يتحرر القلب بالنعمة فإنه يتوجه لله بالحمد والتسبيح.

السلام الكامل

ثم أننا نرى في الإصحاح الرابع من إنجيل يوحنا الذي نحن في صدده، أن المؤمن لا يتمتع فقط بالحياة الجديدة التي حصل عليها بل بينبوع ماء داخله ينبع إلى حياة أبدية. وبقوة الروح القدس المُعطى لنا نحصل على سلام كامل نشعر به وإذ ذاك لا يسعنا إلا أن نعبر عن سرور نفوسنا المفدية لمدح مخلصنا الله. وفي الواقع لا نرى هذا الأمر بين أولاد الله إلا عند نفر قليل جداً منهم، لأن الناس في الغالب عندما يعرفون المسيح فإنهم يضعون الناموس موضع الروح القدس وبهذا الوضع يسقطون في شراك الريب الذي كثير ما ينتج عن سوء استعمال الناموس بهذا الوضع الخاطئ، بدلاً من التمتع والقوة والسلام في المسيح وفدائه – الأمور التي هي ثمار شهادة الروح القدس للمسيح وثمار سكناه في المؤمن وهنا فقط نستطيع أن نلمس السجود المسيحي. وهو قائم على كمال إعلان النعمة في المسيح الذي مات وقام وصعد. ويستطيع المؤمن أن يتمتع بهذه النتائج المباركة كلها وذلك بقوة روح الله ولكن ليس هذا هو الكل، فالله روح ولذلك فإن السجود المسيحي ينكر الرسميات "الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا" وإذ تعلن لنا طبيعة الله كما في هذه الآية فإننا نستنتج الحاجة الأدبية للسجود له تعالى بالروح والحق وليس بحسب نظام أرضي أو مشورة أرضية.

هذا هو إذن مصدر وأساس وصفة السجود المسيحي. على أننا إذا تقدمنا إلى التعاليم الواردة في العهد الجديد، فإننا نرى عنصراً آخر. ففي (١ كو ١٤) نرى السجود بالاقتران مع الجماعة، ومنه نتعلم المبدأ الذي بموجبه يُقَدّم السجود ومن هم الذين يقدمونه. وهذا عنصر هام يجب أن نضيفه إلى معرفتنا عن الله. على أنه ليس من ينازع لحظة واحدة في ضرورة الكرازة بالإنجيل أو في أن يتكلم المؤمنون بالحق، لأن هذين العملين واجبان بحسب الكتاب المقدس وفي الإصحاح المذكور (أي ١ كو ١٤) نرى الروح القدس يجهز كل ما يحتاج إليه صالح الكنيسة وخير النفوس. فلنا فيه بكل وضوح مبدأ وحقيقة خدمات المسيحيين. أما بين غير المؤمنين فالحالة لا تدعو إلى شهادة عن الكيفية التي بها يُقدّم السجود المسيحي لله، إذ قد رأينا مما سبق أنه غير مستطاع في أحد أن يقدم سجوداً مقبولاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لله إلا المسيحيون – أما العالم فهو بموجب تعليم الكتاب المقدس خارج دائرة هذا السجود ولكن ليس هذا معناه أننا نوصد باب الاجتماع في وجه غير المؤمنين ونمنعهم من الاجتماع معنا، إذ واضح من كلمة الله أن بعضاً من غير المؤمنين يحضرون حيث تجتمع جماعة الله، على أنهم ليسوا أهلاً لتقديم السجود اللائق المقبول لدى الله لأنهم لم يحصلوا على الطبيعة الجديدة، ولا على الروح القدس الذي هو القوة الوحيدة للسجود. فلا هم يعرفون الفداء الذي هو أساس السجود ولا الله وأبا ربنا يسوع الذي هو مع الابن غرضاً للسجود. ومن كل الوجوه نرى أن العالم بالضرورة خارج حدود السجود المسيحي. أما إدخاله ضمن هذه الحدود فهو جزء من خطيئة وخراب النصارى.

الشكر في السجود لله

ثم أننا نتعلم من (١ كو ١٤) المركز الذي يشغله الشكر في السجود لله، وهذا ليس بالارتباط مع المؤمن الفرد فقط، أو مع طائفة خاصة، بل مع ترتيب وعمل الله في الجماعة. لذلك نقرأ القول "فما هو إذاً. أصلي بالروح وأصلي بالذهن أيضاً. أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً" (عدد ١٥) ومع ما للترنيم من أهمية إلا أن المقصود به ليس الصوت الرفيع. بل أن الأمر الجوهري وكما يخبرنا (عدد ١٥) الذي ذكرناه هنا – هو أن "نرتل بالروح ونرتل بالذهن أيضاً" ويا له من برهان كامل على أن الرب يتطلب من شعبه خدمة معقولة! لذلك يقول لنا الرسول في (عدد ١٦) "وإلا فإن باركت بالروح فالذي يشغل مكان العامي كيف يقول آمين عند شكرك لأنه لا يعرف ماذا يقول". ولو أن السجود المسيحي دخل فيه التكلم بلسان غير معروف، سواء في تقديم الشكر أو البركة لله، فإنه يعاكس ناموس بنيان الجماعة لأنه حينئذ يغلق الباب في وجه الذين لا يقدرون أن يقولوا عن فهم "كلمة آمين". وقد ذكرنا هاتين الآيتين لنتبين منهما أن الشكر وتقديم البركة لله، نظير الترنيم وسائر أجزاء السجود المسيحي المعروف لنا، كانت كلها موجودة من البداءة عند الجماعة المسيحية.

ولكن هنا صعوبة. تطلّع أيها القارئ إلى اليمين أو اليسار، تطلّع حيثما شئت وقل لي أين تجد الجماعة المسيحية؟ أين هو اجتماع أولاد الله معاً باسم الرب يسوع، ومشغوليتهم بتقديم الشكر والبركة والحمد والترنيم كما في هذه النصوص؟ على أن اجتماع جماعة الله لهذه الغاية من الأمور الجوهرية في السجود المسيحي. قد يوجد في اجتماع ما نخبة من أفاضل الرجال انتُخِبوا لإدارة الخدمة، ونظام متقن للترنيم والصلوات، ولكن هل هذا هو سجود عائلة الله؟ وإلا فكيف يتأتى أن يكون ذا صبغة مسيحية؟ إن الله ينتظر من أولاده سجوداً بالروح، فهل بعد ذلك نقول أيها القارئ أنه فرق طفيف بين أن يشترك في الخدمة كثيرون وبين أن يقوم بها شخص واحد معين؟ ولكن مهما كان هذا الفرق عظيماً فإنه ليس بالأمر الجوهري، بل لب القضية أن تكون للروح القدس حرية مطلقة ليستخدم من يشاء. إذاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فالمسألة ليست مسألة شخص واحد أو أشخاص كثيرين. فقد يحدث في بعض الأحيان أن الروح القدس يستخدم واحداً أو اثنين وفي بعض الأحيان يستخدم أكثر من ستة بطرق مختلفة. على أن الذي يتطلبه الكتاب المقدس هو أن يكون لنا إيمان بحضور الروح القدس مبرهنين على ذلك الإيمان بأن نترك له حقه اللائق به ليستخدم من يشاء. وللمرة الثانية نقول أن المسألة إذاً ليست مسألة شخص أو أشخاص، أو شفاه كثيرة تقدم الحمد أو تبارك أو تشترك في أجزاء السجود المسيحي. فالوجهة الحقيقية الجوهرية هي أنه ما دام الروح القدس حاضراً فيجب أن نعتمد عليه وعلى حريته في أن يستخدم هذا الأخ أو ذاك كما يشاء. وإنه لمظهر غريب مُخجِل أنه في اجتماع ما، حيث يوجد كثيرون من الأشخاص الروحيين، لا يشترك سوى واحد أو اثنين في السجود للرب ومع ذلك فمهما كان عدد المتكلمين في أي اجتماع كثيراً أم قليلاً فإن الطريق الكتابية الوحيدة، الذي بمقتضاها يُقَدَّم السجود المقبول، هي حيث تتحد كل الجماعة في حرية الروح بالقلب والذهن في تقديم تسابيحهم وتشكراتهم لله بالرب يسوع المسيح. والروح القدس – إذ يعمل في الجماعة بواسطة الأفراد – قد يرى من المناسب أن يستخدم واحداً أو اثني عشر لينطقوا بعبارات الحمد الموافقة لفكره الإلهي والمتفقة مع حالة الجماعة وسواء استخدم الروح القدس جميع الأفراد ليكونوا آلات لتقديم السجود، أم اقتصر على بعض منهم فليس أحلى لدى قلوبهم جميعاً من الإحساس بأن الروح القدس يتنازل فعلاً ليقود الواحد، ويقود الجميع!! أجل – فالنقطة الجوهرية في الأمر هي أن نترك له كل الحرية ليقود الجميع لمجد المسيح.

وتَعِنّ لنا ملاحظة عملية نريد أن نقولها بمناسبة السجود وهي أنه ينبغي علينا أن نحرص من أن نُدخِل في وسط الجماعة آراءنا الخاصة عن السجود الذي نقدمه لله. قد يطلب أحد الأفراد أن ترنم معه الجماعة ترنيمة يُسَرُّ هو بها، وقد تكون تلك الترنيمة جميلة وصحيحة وذات مغزى روحي في ذاتها، ومع ذلك قد يخطئ في طلبها إذ لا تكون مناسبة على الإطلاق للظرف الذي يريد أن ترنم الجماعة فيه تلك الترنيمة. ثم قد يحدث أن يحضر بعض المتمردين – سواء كانوا معروفين أم غير معروفين – ليروا، بروح حب الاستطلاع، ما هو السجود. فهل في حالة كهذي تتسرع أيها القارئ وتقرأ إصحاحاً أو تطلب ترنيمة لذيذة خوفاً من استغرابهم للصمت وقتاً بعد آخر؟ على أنني لست بحاجة لأن أقول لك أن هذه خطوة لا مبرر لها ولا يليق بأناس يؤمنون بحضور الروح القدس أن يخطوها. قد يتوهم البعض بأن هناك حرية لأتصرف بمقتضاها بكيفية تروق لي ولكن من الذي يضع مثل هذه الآراء في ذهني؟ وهل تظن أيها القارئ أن الروح القدس يعبأ بما يقوله أو تفتكره أولئك الذين من خارج عن الذين هم من داخل؟ أليس هو على العكس مملوءاً بأفكاره الإلهية الخاصة عن المسيح وبأن يبلغها لنا؟ ولذلك فإن الأمر الذي يليق بنا أن نعمله في مثل هذه الظروف هو أن نرد الطرف عن أنفسنا وعن أخوتنا وعن المتمردين ونتوجه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى الله لكي يعطينا بعمل روحه القدوس شركة في أفكار روح الله عن الرب يسوع المسيح.

وعندئذ ما أبسط أن تبعث منا تشكراتنا القلبية لله من أجل مراحمه الخاصة علينا وعلى جميع القديسين! وما أزكى الشعور الذي يُوجده فينا الله عن سروره في المسيح! وما أسمى عبارات الحمد التي نرفعها لأجل نعمته الغنية! نعم ويا له من شعاع مبهج جذاب للمجد العتيد بل ولشخص المسيح نفسه! كل هذا، وكثير غيره، ليس سوى ذرات هينة وقد يسمح الرب بأن نشعر بهذا جميعه كلما رأى ذلك مناسباً. وعندي أنه مهما كان السجود ضعيفاً، ويتفق قط مع حالة الجماعة الراهنة، فإنه في نظر الله أفضل من أي نظام سامي لا يرتبط به عمل الروح القدس بصفة فعلية.

أما من جهة الانتقاد فلا أستطيع أن أتصور جماعة الله هي المكان الموافق لأن يقوم فيه كائن من كان ويُظهِر براعة حكمته فيها. بل على العكس هي – بغض النظر عن كل الظروف – المكان الذي يُظهِر العظيم حقارته أمام الله. على أنه يأتي أوقات وحالات يكون الحكم فيها على ما يُقال في الاجتماع ليس أمراً لائقاً فقط بل واجباً وحتمياً، ومع كل فإن جماعة الله ليست هي المكان لمثل ذلك الحكم. وأرجو أن يسمح لي القارئ بأن أطبق على مثل هذه الحالة ما قاله الرسول بصدد خطأ آخر "إن كان أحد يُظهِر أن يحب الخصام فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله" إذ كيف يستطيع أي شخص أن يستدل من كلمة الله على طريقة كالتي نندد بها؟ ومن أين يأتي بهذا الاستدلال؟ على أنني لست أحصر كلامي هنا في هذه الآية على علاتها، ولا في الملاحظات العامة التي أوليتها عنها، بل أنا أتكلم عن فحوى وخلاصة وغرض كل ما أُعطي لنا في الكتاب. وعليه، فما دام الانتقاد غير مصرح به فلا تكون نتيجته إذن سوى الضرر. إذ ماذا ينتج لنا الانتقاد في جماعة الله سوى بذر الشقاق والنزاع حيث يجب أن يسود الاتحاد والاتفاق؟ ومع ذلك فكم حدث هذا الأمر! وإنني بروح الحزم أحذر جميع قرائي ضده كل التحذير. كلنا معرضون لأن نخطئ في الاجتماع، وكلنا نستحق في بعض الأحيان إلى إصلاح لأخطائنا، ولكن – كقاعدة عامة – الانتقاد على أخوتنا أمر خارج مطلقاً عن دائرة الجماعة المسيحية. فلكل واجب حقيقي وقت خص ومكان خاص ولن يكون من الصواب أن نصلح بعضنا البعض في وقت الاجتماع مهما كانت النية حسنة.

كسر الخبز

والآن لنقل كلمة عن كسر الخبز وسنكتفي فيه بإيراد بعض فصول كتابية نحن نعلم أن الرب كان قد أعلن لبولس كل ما يختص بالعشاء – لا بالمعمودية – كما هو وارد في الإصحاح الحادي عشر من الرسالة الأولى لأهل كورنثوس التي كنا قد اقتبسنا منها أقوالاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كثيرة فيما سبق. ومن ذلك الإصحاح ندرك أن عشاء الرب – تلك الفريضة المقدسة – مرتبط ارتباطاً دقيقاً بوحدة جسد المسيح، وهو الدليل الظاهر الملموس لتلك الوحدة التي كان على بولس خصوصاً أن يوضحها. وبالنسبة لهذا الارتباط الدقيق الكائن بين العشاء ووحدة الجسد تنازل الرب فأعلن لبولس التعليم الخاص بتلك الفريضة لأجل خاطره من جديد. فهو له المجد لم يرسل بولس ليعمّد (كاعتراف بولس نفسه) بل ليكرز بالإنجيل، مع أنه لا شك في أنه عمّد ولا شك أيضاً في أنه كان مصيباً في ذلك. على أن المعمودية – وواضح أنها سُلِّمَت للأحد عشر بعد قيامة الرب – ليست فقط فريضة أولية لا تتكرر كما قيل "معمودية واحدة" بل هي لكل فرد علامة على اعترافه بالحق الأساسي – حق موت المسيح وقيامته. فالشخص المتعمد يظهر بين الناس بصفته قد آمن بذاك الذي مات وقام، ولم يعد يهودياً أو وثنياً بل معترفاً بالمسيح. أما عشاء الرب فهو من الجهة الأخرى خاص بالجماعة – وليس بالفرد كالمعمودية – ويُكَوّن موضوعاً مؤثراً مهماً في سجود القديسين لله. وهو في الأصل، وفي حقيقة معناه، العلامة الثانية لأساسنا الوحيد، والشهادة الصريحة بمحبة ربنا العزيز – تلك المحبة التي قادته للموت – وبعمله العظيم الأمرين (أي المحبة والعمل) اللذين بسببهما استطاع أمثالنا أن يقدموا السجود. فلا عجب إذن أن نرى الرسول بولس يوضح لنا المركز الخطير المبارك الذي يشغله عشاء الرب في إعلاناته له المجد لعبده بولس. يقول الرسول "لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أُسلِم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (١ كو ١١: ٢٣ - ٢٧) ومن هذه الأقوال تتضح لنا عظمة وأهمية المركز الذي يشغله موت الرب في عشائه. فلا الغبطة التي نالتنا من الرب، ولا ضياء رضى الله في السماء، ولا الشركة المترتبة على خدمات الرب، ولا آمال بالسعادة الدائمة مع شخصه العزيز ليس لهذه ولا تلك أن تلهينا لحظة واحدة عن موت الرب أو تحجبه عنا. بل بالعكس فإنه كلما كان لموت الرب قيمته الخاصة العظيمة في نظر المسيحي، كلما أضاءت له هذه الأمور جميعها، ليس فقط بأكثر لمعاناً بل بأكثر حلاوة وأعظم تأثراً على القلب. ونفس الشخص الذي استخدمه الله آلة مباركة لإيضاح كمال امتيازات المسيحي (أي بولس) هو ذاته الذي نراه يجمعنا، بهذا التعليم، حول موت ربنا الكريم كأمر من شأنه على الدوام أن يجذب كل قلب يحب اسمه العزيز ويملأه سروراً وفرحاً.

يتضح لنا من (أع ٢٠: ٧) أن القديسين كان عليهم أن يكسروا الخبز في أول الأسبوع، وليس في أول الشهر ولا في يوم موت الرب كأننا مدعوون لنكون في الاجتماع حزانى من أجل الأموات. فالرب قد قام ولذلك فنحن بغبطة عظيمة وعرفان للجميل نتناول العشاء في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA
All rights reserved © 2008-2018
info@arabicbible.com

اليوم الذي يُحدثنا عن قوة قيامته. ولا يسعني إلا أن أعتقد أن الروح القدس قد سجل لنا القول "أول الأسبوع" لصالح تعليمنا، كما أنه يخبرنا عن الغاية الأصلية التي دعت أولئك المؤمنين للاجتماع. لا شك أن الرسول، إذ كان مجتازاً بالقديسين في ترواس بعد أن صرف عندهم وقتاً قصيراً خاطبهم حتى منتصف الليل، إلا أن غرض اجتماعهم لم يكن لسماع خطابه بل لكسر الخبز. فهل نسلّم بآراء وترتيبات أخرى؟ أم علينا أن نتصرف كأناس يؤمنون أن الروح القدس يعرف ويوضح أحسن الترتيبات وأصدقها، وأقدس وأسعد الطرق لإرضاء الله وتمجيد المسيح؟ وموت الرب يضع أمام نفوسنا على الدوام حاجتها القصوى كمن كنا قبلاً خطاة وقد دينوا بالصليب، ويذكرنا بكمال محو خطايانا بدم الحبيب، وبأنه قد مجد الله في كل شيء لاسيما في الموت نفسه، وبإعلان النعمة المطلقة وعدالة الله في تبريرنا، ومجد المخلص بكماله – كل هذا وكثير غيره تستحضره أمامنا وتحفظه لدى قلوبنا تلك الجملة البسيطة العجيبة "موت الرب".

إذن: فالغاية التي تجمعنا معاً، كقِبلة آمالنا، هي أن نصنع العشاء لذكرى الرب، لنخبر بموته. ومع أنه لا يوجد للريب مجال في مقصد كلمة الله التي تسجل لنا هذا لتعزيتنا وبنياننا، ولكن كيف يتأتى لنا – إذا ما ألقينا نظرة إلى ما يمارسه المسيحيون اليوم – أن نستدل على أن مشيئة الله كانت ولا تزال أن نصنع الذكرى كترتيبه الإلهي بينما أولئك المسيحيون لا يصنعون تلك المشيئة؟ قارن يا رعاك الله بين ما يصنعونه في يوم الرب باطراد وبين نصوص الكتاب الجلية وقصد الرب من إعلانه لنا فكره في تلك النصوص، وقل لنا إذا لم تكن هذه الذكرى البسيطة المؤثرة قد أصابها الاستخفاف، في معظم الأحيان، من قديسين حقيقيين، وإذا لم تكن صفة تلك الذكرى قد تغيرت تغيراً كلياً بين المسيحيين!! ولست أتكلم عن الأوضاع والمظاهر التي تشكل بها مبدأ التداخل في طريقة الاحتفال بتلك الذكرى، بل عن المبدأ ذاته الذي كانت نتيجته أن لم تبق بالكاد ناحية واحدة، من عشاء الرب، بحسب تعليمه له المجد.

وأرجو أن يحرص القارئ من أن يفتكر أن هناك أمراً يعادل في خطورته مسألة التخبير بموت الرب. فعشاء الرب يجب أن يشغل المكان الأول في سجود القديسين. وأنه لأمر عجيب في الحقيقة أن الروح القدس قد تجنّب أن يسن قوانين العشاء (وهذا التجنب من ناحية الروح القدس في سن القوانين يصدق على المسيحية بصفة عامة، أي أن الروح لم يشأ أن يسن قوانين للمسيحية) وذلك خيفة أن يستغل غير الأمناء فرصة سن القوانين فيفسدونها. ونقدر أن نقول عن يقين أننا عندما نجتمع لنكسر الخبز فإن النقطة التي تكون أمامنا في تلك الفرصة ليست هي نقطة زمان تناول العشاء (أي في أول الاجتماع أم في منتصفه أم آخره) إذ أن الأمر المهم هو أن عشاء الرب يجب أن يكون الفكر الذي يملك على مشاعر القديسين عندما يجتمعون لغرض الاحتفال به في يوم الرب، وإن الخدمة مهما

 All rights reserved © 2008-2018

كانت روحية فهي على أي حال تعطي للإنسان مركزاً. أما عشاء الرب ففيه (إذا احتُفِل به قانونياً) يتعظم ويتمجد شخص ربنا المزدرى من العالم. أما عن زمان ممارسة العشاء (الذي أشرنا إليه هنا فقد تعرض بعض ظروف يرى فيها الروح القدس بحسب إرشاده الصريح أن نمارس العشاء في أول الاجتماع أو نؤجله لآخره. على أن أي قانون وضعي يُلزِمنا بأن نحتفل بذلك العشاء في بدء الاجتماع أو منتصفه أو آخره إنما هو تعدي بشري على ذاك الذي له وحده القدرة على أن يقرر – في كل ظرف، وعلى الدوام – ما هو صواب).

أي أن وقت ممارسة العشاء موكول إلى حرية الروح القدس. وقد تبدو هذه الحرية غريبة في نظر الذين قد تعودوا الأوضاع الجافة، وحتى في نظر الذين لا يعوّلون على التقاليد المخطوطة. على أن تلك الغرابة الصريحة تُعزى على الأكثر إلى نقصهم المعتاد في معرفة حضور الروح القدس وسط الجماعة حضوراً فعلياً وقيادته لهم. أما حيثما تُرِك المجال لعمل الروح القدس بحسب الكتاب، وحيث تحس الجماعة إحساساً صادقاً بما قد غُمِرَت به من إحسان القدير، فإن روح الله يعرف – حسب حقيقة الأمور في نظره الإلهي – كيف يرتب الوقت اللائق، كترتيبه لكل شيء آخر، ويعطينا العزاء الحقيقي الناتج من صادق إرشاده. كل ذلك على شرط أن يكون الرب هو متكل نفوسنا.

الغاية من الاجتماع

ثم قد يحدث أنك تذهب إلى المائدة وترجع بلا تعزية لأنك لم تسمع شرحاً في الكلمة أو خدمة وعظية. ولكن هل هو معقول أنك تذهب للاجتماع لغرض تذكر موت الرب والتخبير به ثم تعود من الاجتماع بمشاعر عدم الرضى؟ وكيف يتأتى هذا؟ أوليس هو ناشئاً من التأثير السائد على المسيحية الحاضرة؟ لا شك أن القلب الطبيعي فيه ما يوافق الذوق الحاضر، وما يحنّ إلى طعام مصر حيث تسأم النفوس المن السماوي وتعتبره طعاماً سخيفاً – نعم لا شك أن لنا في دواخلنا ما يساعد الحركات الخارجية، ولكن الأمر المخجل والمكدر هو أن يكون خطاب ديني ضرورياً لأن يزين كسر الخبز، وأننا نشعر باحتياج إلى خدمات أخرى حين نجتمع حول الرب باسمه الكريم مع الذين يحبونه، وحيث يضع الروح أمام قلوبنا موت الرب! وهل تظن أيها القارئ أنه توجد خدمة أكثر قبولاً لدى الله نفسه من الذكرى البسيطة لشخص المسيح الرب في عشائه المقدس؟

وكيفما نظرنا إلى الموضوع فإن كل الذي ذكرناه قد أصابه النسيان بدرجة أن المسيحيين أصبحوا يمارسون عشاء الرب في أوقات نادرة ندورة لا تجيزها الكتب المقدسة وأكثر من ذلك أن صفته الخاصة قد عبثت بها الأيدي وأصبح الناس لا يكترثون مطلقاً بالحدود العظيمة التي وضعها الرب، وحى أوحت لهم أذواقهم أو يطلقوا على الاحتفال بالعشاء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أسماء متعددة زيادة عن الاسم العادي وهو "عشاء الرب". فأصبح البعض يدعوه فريضة، ولكن إذا أطلقنا عليه هذا الاسم فقد يتطرق الشك إلى آخرين في حقيقة كونه عشاء الرب. نقرأ في التاريخ المقدس أن الكورنثيين كانوا قد اعتادوا أن يتناولوا معاً طعامهم العادي في يوم الرب لما كان يشعر به المسيحيون في تلك الأيام من طبيعة تآلف المسيحية – الأمر الذي قد نحزن لضياعه وفقده في زماننا الحاضر. ونقرأ أنهم كانوا بعد تناول الطعام يجتمعون للاحتفال بعشاء الرب. وفي ذلك الزمان سعى إبليس جهده في أن يجلب عليهم العار بالتساهل في هذا العيد حتى قيل عن البعض أنهم كانوا يسكرون. ولا شك أن ذلك إهانة عظيمة على اسم الرب. ولكن لا يجب أن نحدد ألسنتنا بالتعريض وإيقاع الملامة على أولئك القديسين، بل ينبغي أن نحرص الحرص كله متذكرين أنهم كانوا في تلك الأيام قد خرجوا من الوثنية حديثاً، وكان جزءاً من التعبد للآلهة الوثن الباطلة أن يشربوا نخبهم، لأن الأمم لم يكونوا يشعرون بفساد هذا الأمر كما يشعر به كل واحد منا في هذه الأيام. فما كان يخطر على بالهم أن التهيج الناشئ عن الخمر أمر لا يليق بهم أثناء قيامهم بشعائرهم الدينية ولا في أي أثناء أخرى. ولذلك كان من المحتمل أن جماعة الكورنثيين الحديثي العهد لم يحسبوا مثلنا أنه من الإجرام أن يتطوح المسيحيون إلى هذا الحد في نسيان شخص الرب في ولائمهم المحبية. والذي زاد الطين بلة أنهم كانوا يخلطون عشاء الرب بتلك الولائم. ولا شك أن مثل هذا التصرف منهم إنما هو قضاء على صفة ذلك العشاء المقدس، وقد حسب عليهم الروح القدس أن من يأكل ويشرب هكذا إنما يأكل ويشرب دينونة لنفسه. ومن سلوكهم نرى أن الذي بدأوه بالروح قد أكملوه بالجسد. وقصدي من الإشارة إلى هذه النقطة هو أن أُظهِر أننا لو أدخلنا الولائم الجسدانية في الاجتماعات المقدسة فإننا نضيع أو بالحري نهدم خواص وأغراض تلك الاجتماعات.

وبعد الذي قدمناه نقول – ونحن لا نقصر كلامنا على طائفة دون أخرى – أن مسألة تعيين موظفين خصوصيين، تكون مهمتهم الوحيدة ومركزهم الواحد أن يكسروا الخبز ويقسموا الخمر على كل مشترك، إنما هي مسألة تتعاكس تمام المعاكسة مع تعليم الكتاب المقدس، ونقف في وجه مقاصد الله الواضحة، كما كان تماماً من سوء تصرف الكورنثيين أنفسهم. إذ ما هو عشاء الرب؟ أليس هو وليمة عائلة الله؟ فإذا كنت تلحق الفوضى بترتيب الآب في وسط أفراد عائلته، أو إذا كنت تُدخِل لبيت الوليمة بعضاً ممن ليسوا أبناءه، فقد أفقدت الوليمة خاصيتها ولم تعد بعد وليمة عائلية. وهب أن خدمة عشاء الرب (كما يسميها البعض) سُلِّمَت إلى خادم حقيقي للمسيح، أو لجميع خدامه، وأصبحت امتيازا وقفاً على أولئك الخدام في كل الظروف، فقد استحالت إلى اختراع بشري، ليس فقط لفقدانها سلطة المسيح، بل لمقاومتها الصريحة للتعاليم والحقائق المدونة في الكتاب المقدس. إنني أسلّم بالخدمة تمام التسليم إلا أنه لا دخل لها بعشاء الرب. ولو أننا جعلنا كسر الخبز وتوزيع الخمر وظيفة ضرورية تقوم بها طائفة من الإكليروس، فسوف لا نرى في الخبز والخمر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حتى مجرد التشابه الظاهري بعشاء الرب، ولم تصبح المائدة "عشاء الرب" بل سراً من الأسرار وتحريفاً واضحاً وانحرافاً صريحاً كاملاً عما دونه لنا الرب في كلمته. فإن مجرد فكرو وجود شخص معين خصيصاً للشكر على الخبز والخمر كحق موقوف على ذلك الشخص، تغير وتفسد عشاء الرب – ذلك العشاء الذي إذا مارسناه حسب الكتاب لا يترك مجالاً فظهار أهمية الإنسان في ادعاءات القسوس، إذ كان بالأولى أن يحصل ذلك في حياة الرسل – أولئك الذين مع ما ناولوه من الله من بركة وكرامة فإنهم كانوا يوجدون في محضره تعالى حول عشاء الرب كأناس نجوا من الخطية ودينونتها بواسطة موت الرب. وفيما عدا عشاء الرب كان لهم مركزهم الخاص اللائق بالكرامة الرسولية، سواء في ترتيب الكنائس، أو في انتخاب الشيوخ، أو في تعيين الشمامسة، وإن كلمة الله تدل دلالة واضحة تامة على أن الشكر على العشاء بواسطة كنسي إنما هو اختراع وتقليد الناس، ولا يستند على سلطة الكتاب.

الاستحقاق والدينونة

على أن هنالك نقطة أخرى كثيراً ما حيرت النفوس وأتعبتها بسهولة، حتى في ممارسة العشاء بالطريقة الكتابية البسيطة المقدسة، وهي نقطة خطر الأكل بدون استحقاق وجلب "دينونة" لنفس الآكل هكذا. إننا نستطيع أن نحل هذا الإشكال بواسطة اليقين من أنه لا توجد أقل فكر من الدينونة يستطيع أن يحرم المؤمن من تعزية الإنجيل بل من تعزية كلمة الله على وجه الإجمال (هذا مع تسليمنا بوجوب حرص المؤمن ضد أي إهمال أو اشتراك في الخبز والخمر بدون استحقاق) والرسول يرينا أهمية الذهاب إلى مائدة الرب في أول كل أسبوع وقلوبنا فائضة بذكرى محبة المسيح المضحية، ذاك الذي مات كفارة عنا لكي نخلص بموته. ولكن ما هي نتيجة الاستخفاف، ولو ذرة ما، بعشاء الرب؟ إننا إذا كنا نأكل الخبز ونشرب الخمر في تلك الوليمة المقدسة – كما لو كنا نأكل الطعام العادي الذي يقدمه لنا الله في منازلنا الخاصة – ونحن غير مميزين جسد الرب، بمعنى آخر: إذا كنا نأكل ونشرب بدون استحقاق فإننا لا نكون آكلين عشاء الرب بل بالأحرى دينونة لأنفسنا. وإذا تصرفنا هكذا في المائدة فإن يد الرب تمتد علينا كما يخبرنا الرسول بما حدث للكورنثيين الذين كانوا بلا ترتيب. على أن تلك التأديبات المحزنة التي نالها الكورنثيون لم تكن سوى دينونة وقتية "لكي لا يدانو مع العالم". ومن الجهة الأخرى لا عذر لمن يغيب عن مائدة الرب بحجة عدم الاستحقاق، ولا مفر من الوقوع في يده في مثل هذه الحالة إلا إذا تذللنا أمامه وبررناه بالحكم على أنفسنا وبعد هذه الخطوات نذهب للمائدة. من هذا يتبين لنا أن عشاء الرب ليس امتيازا حلواً أكثر من كونه واجباً خطيراً في عنق شعب الله يقوم به الكل ما عدا الواقعين تحت التأديب الكنائسي. وعندما نتأمل في تلك المحبة التي بينها لنا الرب في ذبيحته الكريمة التي قدمها لأجلنا، والخلاص الذي ما كنا لنستحقه على الإطلاق ولكنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قد صنعه لنا باتضاعه وآلامه تحت غضب الله على الصليب، أجل – عندما نذكر تلك المحبة وذياك الخلاص، مع التشجيعات العظيمة التي يقدمها لتعزيتنا وإنذارنا ومعونتنا في مصارعتنا على الأرض، عندئذ لا يسعنا إلا أن نقدر قيمة موت الرب كواجب عظيم ينبغي ألا نهمله مهما كانت الظروف.

ثم أن غلطة الآخرين يجب ألا تبعدني عن الذهاب إلى المائدة لأنه إذا كانت تلك الغلطة تؤثر على واحد فهي تعطل الجماعة كلها فلا داعي لتأخيري أنا إذ هل أتناسى الرب فلا أصنع ذكراه لأنه يوجد شخص يستحق التوبيخ. ليوبخ المخطئ أو يعامل معاملة كتابية إنما واجبي أن "أصنع هذا لذكرى الرب" ومن الجهة الأخرى فإن شعوري بعدم أمانتي لا يجب أن يقعدني عن الذهاب للمائدة. ولنا في الكتاب حل لهذا الإشكال في قول الرسول "ليمتحن الإنسان نفسه وهكذا يأكل" ولم يقل: وهكذا يمتنع. لأن الذي يبتعد من تلقاء نفسه عن مائدة الرب فكأنه يقول للناس أنه ليس للرب.

وإذ قد وصلنا إلى زبدة موضوع كسر الخبز فإننا نكتفي بما قلناه. ونود أن نقول كلمات قليلة عن الصلاة. وتوجد في موضوع الصلاة غلطة شائعة وهي أننا نسمع في بعض الأحيان أناساً يقولون بوجود موهبة الصلاة. ولكن أين نجد هذا التعبير "موهبة الصلاة" بالمعنى الذي يستعمله الناس عادة وما هو أثر هذا التعبير الخطأ. أنه قد أعاق إلى حد كبير كثيرين من المؤمنين المتواضعين البسطاء، ممن يريدون أن يشتركوا بقلوبهم في الصلاة الجمهورية، ولكنهم لا يثقون في أنفسهم أنهم حاصلون على تلك الموهبة المزعومة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خلاصة المحاضرة الخامسة

المواهب والوظائف المحلية

١- جفاف موضوع "المواهب والوظائف المحلية" لولا ارتباطه بالمسيح.

٢- المواهب معطاة لمجد المسيح وليس لتعظيم الناس.

٣- المواهب تسمى "مواهب الرب" وليس "مواهب الروح".

٤- المسيح وحده، كالإنسان المقام، هو رأس الكنيسة.

٥- "الرسل والأنبياء" وليس "الأنبياء والرسل".

٦- من الذي وضع الأيدي على الرسل؟

٧- دعوة شاول الطرسوسي وهو متجه من أورشليم وليس إليها.

٨- فرز برنابا وبولس بواسطة الروح القدس لخدمة خاصة.

٩- ما هو معنى وضع الأيدي؟

١٠- صمت الكتاب المقدس بالنسبة إلى وضع الأيدي على الشيوخ.

١١-المؤهلات الواجب توافرها في الشيخ.

١٢-قضية تيطس.

١٣-لا نقرأ قط أن الشيوخ أعطوا مواهب.

١٤-كيف نستطيع أن نميز الحصول على الموهبة.

١٥-وصية لاعتبار من يتعبون.

١٦-عدم ذكر وجود شيوخ في كورنثوس وتسالونيكي.

١٧-لا حاجة لاختراع جديد نقابل فيه صعوبات هذه الأيام.

١٨-ملء البركة التي للكنيسة في المسيح اليوم كما في يوم الخمسين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٩-في ميدان الخدمة بين الجماعة متسع لجميع أصحاب المواهب.

٢٠-المواهب موجودة على الدوام لأن المسيح رأس الكنيسة ومصدر تلك المواهب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحاضرة الخامسة

المواهب والوظائف المحلية

أف ٤: ٧- ١١

المواهب مرتبطة بالمسيح

لو أنني حصرتُ كلامي في "المواهب والوظائف" في ذاتها، إذن لشعرتُ أن محاضرتي تكون جافة وقليلة الثمر للنفوس. وطالما نظر الناس إلى هذا الموضوع بهذه العين، ولذلك كاد أن يصبح عرضة لأن يكون مسألة نظرية عميقة، للبعض، وشركاً قانصاً للآخرين، فيحسبه البعض عقيماً غير منتج لأنهم، إذ ينظرون إليه نظرة سطحية، يفتكرون أنه لا شأن لهم بالمواهب والوظائف فلا يعيرونه التفاتاً. وهو شرك قانص للذين يستنتجون أنهم هم المختصون به- هذا إذا لم يزعموا أنهم المتفردون به دون غيرهم. على أن الحقيقة هي أن هذه الخدم الروحية تتعلق كل التعلق بالمسيح وبكنيسة الله. ولكونها مقترنة بالمسيح كمصدرها، فإنها تنساب إلينا من نفس مستودع النعمة الغنية في الأعالي، حيث تنحدر إلى الكنيسة من كل البركات الرئيسية الممتازة. أجل- فهي تنحدر من ذاك الجالس في السماويات. وفي هذا جواب صحيح لمبلغ كبير من الأعراض الذي يحس به البعض في نفوسهم تجاه هذا الموضوع، لأنهم يرون أن مواهب الخدمة ليست سوى وسائل لتعظيم الحاصلين عليها. ولو أنها كما يحسبونها، لكانت تحريفاً عظيماً لما ينحدر إلينا من المسيح. على أن الحق هو أن هذه الخدم ذات أهمية وخطورة عظيمة في نظر الله، وهو تعالى يتنازل ليستخدمها لمجد ابنه العزيز. ومن المهم جداً لدى كل الذين يرون غبطتهم ومسئوليتهم في الانتفاع بهذه الخدم، أن يتأملوا في الايضاح الكافي الذي يقدمه الكتاب المقدس في موضوع هذه الخدم. وأهمية هذا التأمل لا تقل في خطرها لدى الذين قد صار عليهم أن يراقبوا بأنفسهم كيفية استخدام عطية نعمة المسيح لئلا تتحول عن الغرض الذي لأجله قد أعطانا المسيح إياها، إلى اعتبارات أخرى جسدانية عالمية. وأعتقد أن تقرير مصدر هذه المواهب يقطع خط الرجعة على كل عظمة أرضية- مهما تنوعت أوضاعها وأشكالها- يريد الإنسان عادة أن يصل إليها عن طريق استخدام عطية الرب.

على أن هناك ملاحظة أخرى وهي أن هذه المواهب ليست فقط منحدرة إلينا من المسيح وهو في السماء، وإذ ذاك تحتم ألا تقبل الاشتباك مع بُطْل العالم وكبرياء الإنسان(وأنا بالطبع أتكلم عن المواهب بحسب حقيقتها وليس بحسب تحريف الجسد لها) بل يوجد بجانب هذه الحقيقة وجه آخر لهذه المواهب- من الخطورة بمكان أن نعرفه نحن الذين آمنا بالرب يسوع- وهو أن هذه المواهب مرتبطة في الأصل بالمسيحية من حيث فاعليتها وأثرها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولكن سواء تأملنا في ينبوعها أم صفاتها فإنها جميعاً مؤسسة على فداء أبدي قد أتمه المسيح الفادي. وكلما قدّرنا هذه التأملات حق قدرها، كلما لمسنا أهميتها ورأينا أن موضوع عطايا المسيح يسمو بكثير عن الدائرة الأرضية، المقفرة الضيقة، التي تريد الفلسفة اللاهوتية أن تحصر فيها تلك المواهب.

إن المواهب هي "عطايا الرب". هكذا ينظر إليها الرسول بولس في رسالته إلى العبرانيين (عب ٢). إن الكلمة الأصلية المترجمة في اللغة العربية "مواهب" مشتقة من الفعل "يقسم" الواردة في (١ كو ١٢). ونجد أن الحكمة والخدمة وباقي الخدمات يثقال عنها في (١ كو ١٢) أنها معطاة من "الروح نفسه". ولكن بصفة قطعية لا يُقال عن الروح القدس أنه المعطي، بل بالحري هو واسطة لتوصيل العطية من الرب المُعطي الفعلي، والقائم بعملية تقسيمها والمحافظة عليها- أي أنه هو القوة المباشرة التي يعمل الرب بواسطتها. وعندي أنه من الأهمية بمكان عظيم أن نعرف أن المواهب التي تستخدم في دعوة الخطأة، وبنيان الكنيسة، والتي هي الأساس الحقيقي الوحيد للخدمة، صادرة من المسيح شخصياً.

خدمة بولس وبرنابا

إن أولئك الذين يفسرون وضع الأيدي على بولس وبرنابا (أع ١٣) بأنه رسامة إنما يضمون في ذلك التفسير النتيجة المباشرة له وهي أن الذين في الدرجة الثانية والثالثة يمنحون أسمى الخدمات لمن هم أعظم منهم.

في (أع ١٤: ١٦) نرى الغاية الحقيقية من هذا العمل حيث قيل أن بولس وبرنابا "سافرا في البحر إلى أنطاكية حيث كانا قد أُسْلِما إلى نعمة الله للعمل الذي أكملاه". هذا هو الغرض من وضع الأيدي عليهما بواسطة شركائهما في العمل في أنطاكية.

لقد طالما ظن الناس أن طقس وضع الأيدي هذا كان قد استخدم في إقامة الشيوخ، مستندين إلى ما ورد في (أع ١٤: ٢٢ و ٢٣). ولكننا في الواقع لا نقرأ هنا، ولا في مكان غيره، أن الأيدي وُضِعَتْ على الشيوخ. لقد ذُكِرَ لنا في مكان آخر أن الأيدي وضعت على الشمامسة. ونحن نعلم أن للشيخ شخصية بارزة في الكنيسة أكثر من الشماس. فكان من الأولى (تمشياً مع زعم الناس) أن تُوضع الأيدي عليه، على الأقل كما وُضعت على الشماس الذي هو أقل منه في مركزه في الكنيسة. وقد يحاور الناس ويتفلسفون بالمنطق ونتائجه، أما أنا فلا شك عندي أن روح الله، إذ سبق فرأى الخرافة التي سوف تلتصق برسم ووضع الأيدي، لم يشأ أن يربط الحادثتين معاً بطريقة قاطعة (أي أنه لميشأ أن يذكر لنا بصراحة أن الأيدي وُضِعت على الشيوخ كما أظهر هذه الصراحة في حادثة وضعها على الشمامسة). والآية التي يتوهم البعض أنها تفيد المعنى الذي يرمون إليه هي (١ تي ٥: ٢٢) حيث يوصي الرسول بولس تلميذه تيموثاوس "ألا يضع يداً على أحد بالعجلة". على أن الغرض من هذه

 All rights reserved © 2008-2018

الوصية لا يحتمل ذلك الاستنتاج الأكيد الذي يصر عليه أصحابه إذ القرينة بعيدة عن أن تدعم هذا الاستنتاج. فالأعداد (من ١٧ إلى ١٩ في ١ تي ٥) لا يوجد بعدها أية إشارة إلى الشيوخ. لذلك نقرأ في (عدد ٢١) قول الرسول لتلميذه "أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بمحاباة" فكيف نفترض أن الإشارة في (عدد ٢٢) هي إلى الشيوخ على الأخص؟ إنني أرى في (عدد ٢٠، ٢١) وصفاً عاماً لخدمة تيموثاوس، وبعد هذا الوصف ذُكِرت الوصية التي أقام الناس عليها قصوراً من النظم الباطلة "لا تضع يداً على أحد بالعجلة ولا تشترك في خطايا الآخرين". من المحتمل أنه توجد إشارة في هذه الوصية إلى خطر التسرع وعدم الاكتراث في حالة الموافقة على خدمة أحد الشيوخ. غير أنني أرى أن لغة الرسول في هذه الوصية تشمل أكثر من الإشارة إلى خطر التسرع الذي أشرنا إليه – فهي تشمل أي حادثة تستلزم وضع الأيدي.

ولكن لنفرض أن الإشارة هنا إلى الشيوخ، وأن الأيدي وُضِعت عليهم كما وُضِعت على الشمامسة، فإن الحقيقة الكتابية المهمة التي لا تقبل النقض هي أن الشيوخ لم يقاموا مطلقاً إلا بواسطة أشخاص كان مخولاً لهم هذا الحق وحصلوا على وصية حقيقية من الرب نفسه لأجل هذا الغرض. وقد يتوهم الكثيرون أن حقيقة عدم وضع الأيدي إلا بواسطة من لهم سلطان شخصي من الرب تضر بحرية تتميز المواهب وممارستها. وقد يظنونه أمراً غريباً أن الذين يدافعون عن حرية عمل الروح القدس إذا بهم يشددون كل التشديد على ضرورة الرسالة الإلهية والسلطة القاطعة. ولكن يجب أن تتأكد أيها القارئ أن الأمرين يسيران معاً إذا ما استُخدِما بحسب الله (أي حرية استخدام المواهب والرسالة الإلهية والسلطان القاطع) ولست تجد فريقاً أشد تمسكاً بالترتيب الإلهي من الفريق الذي يدافع بكل حزم عن حقوق الروح القدس في الكنيسة. والوتر الذي أضرب عليه النصارى قد ابتعدوا بخطوات ثابتة في موضوع الرسامة هذا عن فكر الله وعن مشيئته، وأصبحوا يجاهدون بجهالة (على أنهم في ذلك مخطئون) لأجل نظام اخترعوه لأنفسهم هو في نظر الله تشويش وفوضى. وإذا تركنا الكتاب المقدس ليقرر لنا الحق فإنه يخبرنا أن الطريقة العامة التي يستخدمها النصارى في رسامة الذين يخدمون المؤمنين وغير المؤمنين إنما هي انحراف عن ترتيب الله المرصوف لنا في كلمته الثابتة إلى الأبد.

التعيين الرسولي

ولا شك أنك ستلاحظ أيها القارئ وجود التعيين الرسولي في قضية الشمامسة السبعة المذكورين في (أع ٦). والنقطة الرئيسية في تلك القضية هي أن الجماعة انتخبت والرسل عينوا بكل وقار ولكن لا تنس أن الجماعة هي التي انتخبت الأشخاص الأكفاء للعناية بالفقراء وملاحظة خدمة الموائد اليومية، وهذا تصرف كان لائقاً بالجماعة كل اللياقة. وفيه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نرى تنازل الله في صلاحه وجوده نحو الذين أعطوا مما عندهم للفقراء وكذلك الفقراء أنفسهم. فإن كانت الكنيسة أعطت لفقرائها ما هو لازم لحياتهم المادية فإنه من الضروري أن يكون لها صوت في انتخاب الذين تثق فيهم ثقة كاملة بأنهم سيوزعون تلك العطاءات أمام الله ليس فقط بضمير صالح وشعور صادق بل بحكمة وتعقل أيضاً. وفي هذا نرى مثالاً واضحاً لحكمة الله وعنايته السامية بشعبه. فالجمهور اختار أشخاصاً حكم بأنهم أكثر الإخوة لياقة لهذه الخدمة. على أن مجرد اختيار المؤمنين لهؤلاء الرجال السبعة لم يعطهم هذا المركز في ذاته لأنه إذا كان الجميع قد انتخبوهم فإن الرسل وحدهم هم الذين أقاموهم على هذه الحاجة الزمنية.

أما بالنسبة للشيوخ فإن المبدأ قد تغير تغيراً مناقضاً لمبدأ رسامة الشمامسة كما أنه يختلف أكثر بالنسبة إلى مواهب الخدمة الممنوحة من المسيح لخدامه ففي كل الكتاب المقدس لا نجد ما يفيد بأن جماعة اختارت الشيوخ. بل على العكس فإننا نجد حقيقة واحدة فيما يختص بإقامة هؤلاء الشيوخ وهي: أن الرسل كانوا يجولون وحيثما كانت تتأسس الجماعات إذا وجد بين أفرادها من كانوا يحوزون بعضاً من المؤهلات الروحية والأدبية وتبرز تلك المؤهلات لدى أبصار الرسل الروحية ويرون فيها ما يليق للمشيخة فإنهم كانوا يختارون نظير هؤلاء ليكونوا شيوخاً. ومن بين المبادئ التي كانت متبعة في ذلك العهد بالنسبة لإقامة الشيوخ أن الذين يبتغون هذا المركز يجب أن يكونوا أشخاصاً لهم شهادة حسنة، وإذا كانوا متزوجين فكل منهم بعل امرأة واحدة لأنه قد وجد في ذلك العصر أفراد مؤمنون دخلوا إلى إيمان المسيح ولهم عدة زوجات. وكلما كان يزداد انتشار الحق المسيحي كلما كان يشعر المسيحيون بأن مثل هذه الحالة بين المتزوجين إنما هي شين وعار على المسيحية. ولم يكن من الصواب ألا يعترف المؤمنون بشخص هو بعل زوجتين أو ثلاث ما دام يؤمن بالمسيح، ولكن مثل هذا الشخص لم يكن له أن يتوقع أن يصبح يوماً ما شيخاً أو أسقفاً وهو مرتبط بأكثر من زوجة إذ لم يكن لائقاً مطلقاً لأن يصير ممثلاً محلياً لكنيسة الله.

وخذ أيضاً أيها القارئ قضية شخص لم يرب أولاده تربية حسنة. فربما كان إهماله في تربية أولاده قبل أن يؤمن، وربما داخلته بعد الإيمان عقيدة ترك الأولاد لأنفسهم بدعوى أن الله إذا أراد أن يؤمنوا فسوف يجعلهم يوماً ما يؤمنون. نسلم بأنه قد تحدث هذه الأخطاء ولا شك أن نتائجها تعيسة. ولكن مهما كان السبب في عدم تدبير البيت تدبيراً حسناً فإن رب ذلك البيت لم يكن مستطاعاً أن يصبح أسقفاً. ومهما كانت مواهبه الروحية فإنها لا تفلح، ومثله لم يكن أهلاً لأن تناط به المناظرة على جماعة الله. لأن هذا المركز لم يكن يتطلب مواهب مثل ما كان يتطلبه مكن المؤهلات الأدبية. قد يعطي الرب شخصاً أن يكون نبياً أو معلماً أو مبشراً، وقد تكون زوجته وأولاده بغير ترتيب. على أن عدم ترتيب عائلته هذا لا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يبطل مواهبه. ولكنه لم يكن جائزاً أن يصير شيخاً ما لم يرب أولاده في دائرة الخضوع والوقار – وما لم تكن له هو نفسه شهادة حسنة من الذين هم من خارج.

المؤهلات الأدبية

والرب يشدد في طلب المؤهلات الأدبية في مثل هذا الخادم كما والمقدرة الروحية اللازمة لعمله. ولو حاز شخص ما على هذه المؤهلات فهي في ذاتها لا تعطيه المشيخة ما لم تتوفر السلطة الإلهية. فيلزم أن يقام وأن يعين تعييناً رسمياً. ولكن أين نجد هذا التعيين الرسمي؟ واضح أن قيمة هذا التعيين تتوقف على سلطة شرعية مخول لها حق التعيين. وأين نجد هذه السلطة الكافية؟ هل نقيمها أو نخترعها؟ كلا. بل يجب أن تكون بحسب الرب وبمقتضى كلمته. ثم أن الكتاب المقدس لا يجيز لأحد حق سلطة التعيين الشرعية إلا للرسول أو لأي نائب عنه له من الرسول وصية خاصة لهذا الغرض.

ولكن أين نجد في زماننا هذا نائباً رسولياً يقدر أن يبرز لنا وصية رسولية تخوله حق التعيين والرسامة؟ لن نجد مثل هذا النائب، ويجب ألا نتوقع وجوده. وفي الحقيقة أن كلمة الله لا تشير مطلقاً إلى استمرار سلطة التعيين والرسامة. بل هي تبرهن لنا بطريقة واضحة أنه بعد ما كان الرب يؤسس الكنائس هنا وهناك ولما كان يعين خادمين محليين (أي شيوخاً) في كل كنيسة فإنه كان يضع ختم الموافقة على هذا التعيين بواسطة الرسامة الرسولية أو الاختيار الرسولي ولو أن الكتاب يذكر لنا المؤهلات اللازمة لهذه الخدمة المحلية، غير أنه لا ينسى أن يقول لنا أنه لم يكن جائزاً لأحد غير الرسول أو نائبه أن يعين الشيوخ في مراكز خدمتهم ولا توجد في الكتاب كله كلمة واحدة بخصوص استمرار سلطة التعيين بعد موت الرسل. خذ مثلاً بولس: فقد كتب في موضوع انتخاب الشيوخ ولكن ليس لكنيسة أو لكنائس بل إلى شخص كان مكلفاً على الأخص بهذا العمل وهو تيطس النائب الرسولي. ومع ذلك فحتى في الرسالة التي كلف بها بولس تيطس بهذا العمل لا توجد كلمة واحدة بخصوص من سيخلف هذا النائب في عمله بعد موته – وأكثر من ذلك فلا توجد كلمة واحدة نستدل منها على أن تيطس نفسه كان له الحق أن يمارس هذا العمل بعد موت الرسول، ولا أن تيطس كان مخولاً له أن يعين شيوخاً حيثما شاء. إذ نر أن الرسول قد حدد له دائرة الوصية. وإذ كان تيطس نائباً رسولياً فلا شك أنه كان معلماً وواعظاً. على أننا نرى في رسالة بولس إلى هذا النائب تحديداً للمنطقة التي كان عليه أن يقيم شيوخاً في كل مدنها – وهذه المنطقة هي كريت. وعلى ذلك كان مسئولاً أن يقيم شيوخاً في كريت. ومع ذلك فلا توجد كلمة واحدة عن تخويله حق إقامة شيوخ في منطقة غير كريت، ولا في زمان غير زمان حياة الرسول. كما أنه لا توجد كلمة واحدة عن استمرار وجوده في كريت بل بالعكس نرى الرسول يوصيه أن يبادر فيأتي إليه في نيكوبوليس – وغريب أن ينتقل تيطس من أبرشيته (على حق ما يقول أصحاب التقليد والنظام) فلا يبق في كريت.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شرعية التعيين

وواضح أن مثل هذه الأوامر الصادرة من الرسول إلى تيطس لا تجيز لناس زماننا أن يعينوا شيوخاً الآن. فإن تعيينهم هذا مجرد ادعائهم فاسد، إذ أن صحة التعيين تتوقف على سلطة شرعية. فتيطس كان موصى من قبل الرسول، واستطاع أن يبرز رسالة مفوضاً بها، واكنت في تلك الرسالة التعاليم اللازمة له شخصياً. فمن ذا الذي يقدر أن يبرر لنا رسالة مثل هذه في زماننا الحاضر؟ قد يستند النظاميون إلى القول. يجب أن يكون هكذا، ولكنه أساس واه باطل في نظر من يحترم السلطة الشرعية. من السهل أن نسوي المسائل بهذا القول الباطل، يجب أن يكون هكذا، ولكن الذي يعوزنا أيها القارئ العزيز هو ما تقوله كلمة الله، فهل تؤمن أن تلك الكلمة كاملة ولا نقص؟ وهل ترتاب في أن الرب الذي يحرص على ترتيبه الخاص في الكنيسة سبق فرأى حاجة الكنيسة والصعوبات التي ستعترضها فأعد لذلك عدة؟ هل تظن أنه نسي شيئاً مما يهمنا؟ هل لم يعمل حساباً لموت الرسل؟ كلا إنه لم ينس شيئاً من ذلك كله. فقد أوحى لبولس أن يخبرنا بكل صراحة عن موته، كما أوحى لغيره من الرسل فيما يختص بهم. وقد ألهمه (أي بولس) أن يكتب لنا عن الأزمنة الصعبة التي ستأتي علينا، وعن أهمية الكتاب المقدس بعد موته. ومع ذلك فلم يذكر لنا أية فكرة عن سلسلة من الخلفاء في تعيين الشيوخ، ولا كلمة واحدة عن توصيته لهم بعد موته بما كان مخولاً له من سلطان في هذا الشأن. إذن أفليس لصمت الوحي عن هذه النقطة من معنى أيها المستودعون لله ولكلمة نعمته، والمرتعدون من كلامه؟ أما أنا فإنني أرى في هذا الصمت حقيقة ليست فقط مدهشة لأول وهلة بل هي مفعمة بالمعاني الجليلة كلما ازداد تقديرنا لها وتأملنا فيها. على أن مذهب الباباويين، إذ رفض أصحابه هذه الحقيقة، يفترض عكسها بناء على تعليلات العقل البشري، ويقوم على هذا التعليل الفاسد. ولست أعني بأن أنقد نظاماً معيناً بالاسم لغرض تفنيده، بل لأظهر الحق الذي يرينا مشيئة الرب ويبرهن على الشر بواسطة ما فيه من خير وفي الواقع نرى أن كل نظام أرضي، مهما بلغ من معاكسة كلمة الله درجة عظيمة فيما بعد تأسيسه، يبدأ خطواته الأولى بإضافة شيء من عندياته على كلمة الله فالكتاب المقدس يخبرنا أن الرسامة كانت أمراً مختصاً لا بالأساقفة بل بالرسل ونوابهم هذا ما يخبرنا به الكتاب. على أن اللحظة التي يُسمَح بها للناس بإدخال مبدأ التدرج والتقد بعد كتابة الوحي. والتي فيها تضع ثوباً من السلطان الرسولي على طبقة من الموظفين لم يعينوا قط بسلطة إلهية للعمل الذي يقومون به. هي اللحظة التي تكون قد انحرفت فيها عن أساس الإيمان وعن الخضوع لكلمة الله إذن فما يدعيه الناس من شرعية الرسامة لا أساس له مطلقاً في الكتاب المقدس. نستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونؤكد أن رسامة الأشخاص قبل ممارستهم التبشير والتعليم بالمسيح، الأمر الذي كثر حوله لغط الناس وكلامهم في هذه الأيام، ليس فقط شيئاً يحسن الناس ألا يشتهوه في الشكل الموجود بينهم الآن، بل هو أيضاً قد أصبح نظاماً فوضوياً، وإهانة محزنة لاسم ربنا كلمة الله، ولكنه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تقليد محزن، ولو أنك تأملته بكل تدقيق لما وجدت أي تشابه بينه وبين ما نقرأه في الكتاب بخصوص هذا الموضوع. على أن كلمة الله تبقى إلى الأبد صادقة وأمينة وسهلة، وهي تخبرنا أنه مرة كان التعيين فيها مخولاً لنائب رسولي، بيده وصية شخصية مؤكدة، وكان مؤهلاً بسلطة رسولية خاصة. فإن كنت ممن يدعون بشرعية وجواز تعيين الشيوخ في هذا الزمان المظلم، فعليك أن تبرز لنا مثل تلك الوصية وذلك السلطان كما أبرز لنا تيطس.

واسطة توصيل الموهبة

ولكن عندي لك سؤال آخر أيها القارئ أرجو أن تجيب عليه: أي الأمرين ينطبق على الكتاب المقدس: أن نفعل ما كان يليق بالمسيحي في كل زمان أن يفعله، أو أننا نقلد نائباً رسولياً، أي الأمرين يرتاح إليه ضميرك وقلبك وإيمانك؟ لنفرض أن جماعة من أولاد الله فتشوا الكلمة فوجدوا أنه يوجد بجانب الامتيازات العامة التي لجميع القديسين والواجبات الملقاة على عاتقهم، بعض مواهب للخدمة وبعض خدم كانت تستلزم أن يملأها أحد الرسل أو نائب له. ثم أرادت تلك الجماعة أن تمتلك هذه المواهب والخدم لنفسها فماذا تعمل لامتلاكها، هل تترك ما كُتِب للكنيسة في كورنثوس أو للقديسين في أفسس وتقلد ما لم يُكتَب لكنيسة بل لأفراد نظير تيموثاوس أو تيطس؟ أفليس خيراً لتلك الجماعة أن تتواضع فتستشير كلمة الله من جهة مواهب المسيح؟ نرى أنها لا تحتاج قبل ممارستها إلى موافقة من الأرض، لا بل إنها لا تجيز مطلقاً أي تداخل من البشر. اللهم إلا في حالة واحدة حيث توجد قوة ظاهرة من الروح القدس بواسطة وضع أيدي الرسل. وإنني أسلم تماماً بالاستثناء في هذه الحالة. فتيموثاوس كانت قد سبقت عليه النبوات بتعيينه للعمل الذي دعاه لأجله الرب (قارن أع ١٣: ١ و ٢) ومن ثم فالرسول بولس إذ كان مقوداً بالنبوة وضع يديه عليه فأوصل إليه سلطة مباشرة بالروح القدس توافق الخدمة الخاصة التي كان عليه أن يتممها – وقد اشترك الشيوخ الذين كانوا موجودين حينئذ مع الرسول في وضع الأيدي. ولكن لنلاحظ أن هناك فرقاً في التعبير الذي يستخدمه الروح القدس، ومن ذلك الفرق ندرك أن توصيل الموهبة يتوقف على وضع يدي الرسول فقط دون الشيوخ. فالكلمة المستعملة في الأصل اليوناني بالنسبة للشيوخ الذين كانوا مع بولس تفيد الاشتراك (مع)، في حين أن الكلمة المستعملة بالنسبة للرسول نفسه واسطة توصيل الموهبة (بواسطة): أي أن الذي أوصل الموهبة لتيموثاوس هو الرسول. ولا نقرأ قط في كل الكتاب المقدس أن الشيوخ كانوا في حادثة ما آلة لتوصيل الموهبة. نعم – فسواء كان توصيل المواهب الروحية، أو تكليف بعض الأفراد بخدمات خاصة تكليفاً رسمياً، فكلا الأمرين لم يكن من عمل الأساقفة بل من حقوق الرسل فقط. وها قد رأى القارئ معنا أن تيموثاوس حصل على موهبة نتيجة لوضع يدي الرسول عليه، وهي نتيجة خاصة وحادثة فريدة، ولكن من ذا الذي يستطيع أن يعطي موهبة في أيامنا هذه بواسطة وضع اليد كما عمل الرسول؟ وإذا ادعى شخص بأنه يستطيع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فهل تتردد لحظة في أن ندعوه مخادعاً؟ وإذا كنا نقول بحق على من يدعي زوراً بحقوق الملوك الأرضيين أنه خائن فكم بالأحرى تكون خيانة أضل سبيلاً إذا ادعى الناس بحق عطاء الروح القدس، أو منح قوة ظاهرة من قوته الإلهية باسم الرب، بل إنها خيانة لا تغتفر!!

وإنه لأمر خطير جداً أيها القارئ العزيز أن نستخف بروح الله بهذه الدرجة المحزنة!! وفي أيامنا الحاضرة يوجد أناس تقودهم جرأة غبية فلا يختشون من الادعاء بحق إعطاء الروح القدس، أو مواهب الخدمة بواسطة وضع اليد. ولكن ادعاءاتهم، والحمد لله، منقوضة وباطلة من أساسها ولذلك لا تأثير لها على الأمناء.

على أن النقطة المهمة التي يجب أن نلاحظها في الموضوع هي أن مواهب الخدمة هذه قد أُعطِيَت من الرب بواسطة تأهيله للأشخاص وإرسالهم وليس بأي شكل أو مظهر آخر. فلنحترس من الأخذ والرد فيما اقتضته مشيئته وحكمته السامية وقد تسأل أيها القارئ: كيف نستطيع أن نميز وجود الموهبة؟ لا شك أننا نستطيع ذلك عن طريق إحساسنا بالتأثير الذي تحدثه على الضمير الممارسة الحقه لتلك الموهبة. ودعني أسألك بهذه المناسبة: كيف تعرف المسيحي الحقيقي؟ عندما تجد الناس يتكلمون أو يتناقشون نظرياً، يصعب عليك التمييز بينهم. ولكنك إذا أردت العمليات فذهبت إلى قسيس تقي يستطيع أن يريك طرقاً كثيرة بها يمكنك معرفة المسيحيين الحقيقيين فيمن يسميهم قطيعه. أصغ إلى الشخص المسيحي وهو يصلي ساجداً أمام الله تسمعه يخاطبه كابن لإلهه وأبيه بينما يجوز أنك إذا تناقشت معه بعد ذلك يخالف ما صرّح به في الصلاة فلا يستطيع أن يجزم ببنوته لله بسبب سوء التعليم، ولكن ما أجمل فرص التعبد التي فيها يتكلم الناس بالحق بقلوب بسيطة. دعهم يخاطبون الله بعيداً عن نظاماتهم تنكشف لك حقيقة أمرهم. من ذلك نرى أن في الواقع لا توجد صعوبة كبيرة في معرفة المتجددين من غيرهم. ثم أرسل مؤمناً إلى شخص مريض فهلا يستطيع معرفة الكلام اللائق به أن يقوله؟ ألا يسعى بأسرع ما يمكن لمعرفة ما إذا كان للمريض سلام في المسيح أم هو مشتاق لخلاص نفسه أم هو غافل بالمرة عن حقيقة ذنبه وهلاكه؟ فإذا وجده في الحالة الأخيرة أنذره بالدينونة ووضع أمامه الصليب وطلب منه أن يقبل المسيح.

مواهب أولاد الله

فإذا كان الميسور الحكم فيمن هم أولاد الله ومن هم ليسوا كذلك، أتظن أيها القارئ أن الحكم فيمن عندهم مواهب يوازي هذه المسألة غموضاً وإبهاماً؟ إن موهبة التعليم مثلاً تتضمن المقدرة على تفصيل كلمة الله وتطبيقها تطبيقاً صحيحاً؟ وموهبة التدبير والإرشاد – وأرجو أن لا يكون بيننا من ينكر استمرارها للآن – يسعى صاحبها لأن يمارسها بحسب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلمة الله ولكن لنتذكر أن الكتاب المقدس لا يكلمنا عن خضوع أعمى للذين يدبروننا لأنه مفروض أن المخدومين قد استيقظت ضمائرهم وتحررت قلوبهم من نير إبليس واجتُذِبت نحو المسيح. فخدمة المدبرين لهم ليست عبارة عن قيادة أعمى لآخر أعمى، ولا مبصر لآخر أعمى، بل هي قيادة مبصر لمبصر. والمسيح يعطي المخدومين حرية كما يعطيهم حياة، ويجعلهم مسئولين في صنع مشيئة الله. ومن أغراض الله نحو أولاده ألا يسعوا ليخترعوا لأنفسهم نظامات فراراً من الصعوبات التي يجدونها. فهم يحتاجون إلى الإيمان ليجوزوا تلك الصعوبات مع الله. فإذا كانوا حاصلين حقيقة على مواهب من الرب فعليهم أن يُثبِتوا ذلك بواسطة قوتها الحقيقية وإن كانوا يجدون تجارب وصعاباً من حين لآخر، فيرون مثلاً إعراضاً عنهم، أو شكاً من جهتهم، ولكن لينتظروا الرب فسوف يبررهم. وقد حصل هذا مع بولس. فقد ارتاب في رسوليته بعض من أفراد الكنيسة، وممن ولدهم في الإيمان ولكن أتى الوقت الذي فيه برر الرب خادمه العزيز وأخجل الإرادة الذاتية والكبرياء اللتين رفضتا الموهبة الإلهية. والغلطة الكبيرة التي نحن معرضون للوقوع فيها هي عدم الصبر، إذ لا نعطي الرب مجالاً ليعمل. وعدم صبرنا لا ينتج لنا سوى تأخير العلاج الذي نشتاق إليه. لأنه يزيد في مقدار الصعوبات.

موهبة الخدمة

أما عن تمييز موهبة الخدمة سواء في ناحية التبشير أم التعليم فعلى العموم هو أمر واضح بسيط. فإذا وقف أحد الإخوة ليتكلم في وسط الجماعة المسيحية بدون أن يكون حاصلاً على موهبة من الله فسرعان ما يعرف نفسه بمزيد الألم فإذا كان حاكماً على ذاته فسوف يتعلم من ضميره كثيراً. على أنه سرعان ما يسمع من الآخرين ما يشعره بأنه ليس حاصلاً على موهبة في نظر أخوته. ولكن إذا كان الأخ حاصلاً فعلاً على موهبة أفليس ممكناً أن يصب الناس عليه انتقادهم السابق لأوانه وبذلك يرفضون موهبته؟ بكل تأكيد أن هذا يحصل ولكن إلى حين. قد يفتكر البعض أفكاراً علمية عن موهبته، وقد يجهل صفات تلك الموهبة والمكان والزمان اللائقين لممارسة تلك الموهبة، وقد يكون مشغولاً لدرجة كبيرة بطريقته الخاصة في الكلام، ومشتاقاً أن يستعجل إظهار موهبته. كل هذا قد يحصل، وغالباً يحصل، ويخلق على الدوام صعوبات ومشاكل. غير أن هذا لا يؤثر على الحقيقة العظيمة الباقية وهي أن الذي من الله يثبت. وعلى قدر سعة ملاحظاتي ومعرفتي المحدودة فإن اختباري الخاص يجعلني أفتكر أن أولاد الله معرضون لأن يولعوا بالموهبة أكثر من أن يزدروا بها. وفي الحالة الراهنة التي آلت إليها الكنيسة لا نشعر بنمو في المواهب إلا قليلاً، وكلما سمونا في إدراكنا الروحي وتحققنا مركزنا الصحيح كلما ازداد فينا هذا الشعور. فهل تريد أيها القارئ أن تعرف مركزك معرفة صحيحة وكاملة؟ ثق في الله وفتش كلمة نعمته. ونحن نقول لك أنه قد تعترضك في طريق اتخاذك المركز الصحيح أمور كثيرة لا بل وتعمل على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إبعادك عن هذه الطريق. فمرة تصدك التعاليم التي ورثتها، ومرة تتوقف خوفاً من صعوبة الحصول على مورد أمين للرزق لاسيما إذا كنت ممن شغلوا مركز مبشر بين الطوائف. وإذا تأتي لك أن تترك مهنة التبشير (ولا أقول التبشير) باعتبارها لا تتفق مع الكتاب، فإنك تخسر كل ما كنت تحصل عليه من تلك المهنة، إذ قد تخسر حتى كسرة الخبز (هذا إذا لم يكن لك مورد للرزق غير التكسب من هذه المهنة) ومثلك يرى بواعث كثيرة جداً تحبب له البقاء محترفاً هذه المهنة. ومن ثم تجد صعوبات لا تحصى في طريق الانفصال عن هذه المهنة خضوعاً لكلمة الرب. على أن قوة الله هي وحدها التي تستطيع أن توجد في نفسك هذا التغيير وتحفظك في سلام حتى تسبح مع الرسول وتقول "راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين".

وبينما نحن متأكدون أن كلمة الله وروحه القدوس يحددان لنا بجلاء المركز الصحيح الذي يجب أن يشغله المسيحي والجماعة المسيحية، ولكن ينبغي ألا نتوقع – ما دامت الأمور كما هي في زماننا الحاضر – تنوعاً وقوة عظيمة في مواهب نعمة الرب. لا شك أنه له المجد يستطيع أن يعمل بحسب سلطانه المطلق – ونحن بكل تأكيد تحت التزام أن يشكره كثيراً جداً لأجل ما منحه لخيرنا – ولا شك أيضاً أنه تبارك اسمه يقسم مواهبه في أي مكان شاء. فقد أعطى مواهب لبعض أفراد وخدام الكنيسة الأسقفية وليس من يعارض في ذلك. كما أنه قد أعطى بحسب حكمته مواهب لبعض أفراد وخدام الطوائف المنشقة. وهل لنا أن نفترض عدم وجود شيء من عطايا نعمة الرب في الكنيسة الرومانية ذاتها؟ أما من جهتي فلا أستطيع أن أرتاب في ذلك. إذ من ذا الذي يقدر أن يرفض حقيقة وجود أشخاص في تلك الكنيسة نظير مارتن بوص مثلاً، الذي استخدمه الرب واسطة لتغيير الخطاة وتعضيد القديسين إلى حد كبير؟ أليس أمثال هؤلاء الأفاضل عطايا المسيح للكنيسة – عطايا صحيحة بغض النظر عن وجودهم في مركز غير صحيح كما لو وجدوا خارج ذلك المركز؟ فكونهم رومانيين، لا بل وكهنة رومانيين، لا يبطل نعمة المسيح مهما كان شعورنا من جهة أمانة أولئك الأفاضل. فالرب يعطي بالروح القدس كما يشاء وعلينا نحن أن نعترف بهذه المواهب أينما كان أصحابها. ولكن إذا كان شخص منتسباً إلى الطوائف المنشقة، سواء كخادم أو كأحد الأفراد، فأنا مقتنع أنه في كلتا الحالتين في مركز غير صحيح. على أنني حينما اعتقد أن الأساسات التي بنى عليها المنشقون نظامهم هي أساسات باطلة فليس ذلك الاعتقاد ناشئاً من شعور بالكراهية لهم، وأنني أرجو أن يحتملني قرائي المنتسبون لتلك الطوائف إذا ما قصدت أن أثبت بكل هدوء وخشوع عقيدتي الخاصة بأن مذهبهم غير سليم في مبادئه الظاهرة. إذ هو يعاكس بالتمام صفات الكنيسة باعتبارها جسداً واحداً: وسواء في الخدمة الجمهورية أم في انتخاب الخادمين فهو مذهب ينقض الخدمة كنظام إلهي ثابت صادر من نعمة المخلص. وهو مذهب اشتراكي يعارض في حقيقته مشيئة الله كأي مبدأ آخر، بل ربما أكثر. والأدلة واضحة: فأصحاب هذا المذهب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يستعيضون بانتخاب الشعب عن اختيار الرب يسوع المسيح، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

الكنيسة الأسقفية

ولكن هل حافظت الكنيسة الأسقفية على الحق أحسن من الطوائف المنشقة، وهل فيما تجريه مراسيم التعيين سواء بواسطة الإكليروس أو العلمانيين أو الحكومة ما يقال أنه احتفاظ بالحق؟ والعذر الواهي الذي يخلقه أصحاب هذا النظام وليد الإرادة الذاتية هو أن الأشخاص الذين تعينهم الحكومة أو أرباب الأملاك أو الكليات أو الاتحادات الكنسية يتم تعيينهم بالصفة العادية (أي أن الحكومة لم تغير من الأوضاع الكنسية شيئاً بل وضعت الختم بالموافقة عليها) ولكن هل يوجد ظل للشبه بين هذه الأنظمة العالمية وبين الترتيب الإلهي للمواهب الروحية التي يعطيها المسيح كما تراها مبينة في (أف ٤)؟ أنا لا أعتقد مطلقاً أن شخصاً غير المسيح الرب الذي صعد إلى الأعالي له الحق أن يعطي هذه المواهب. فهل تعتمد أيها القارئ على شخص آخر؟ هل تتوقع صعوداً غير ذاك الذي صعده المسيح؟ وهل تحنو عليها فقط من أجل خلاص نفسك؟ أو أنك تثق فيها وفي الروح الذي أوحاها للإرشاد من جهة الخدمة والمهام الكنسية أيضاً؟ وأي المسائل أدعى لاهتمام الرب أكثر من هذا؟ ولأي أمر نحن نفتقر أكثر من هذا؟ إنني كمؤمن أشعر بكل تأكيد بحاجتي إلى كلمة الله لسلوكي اليومي مهما كانت ظروفي أو دائرة عملي أو واجباتي. فهل تؤمن – بل هل تستطيع أن تؤمن – أن تلك الكلمة الحية والباقية إلى الأبد لا دخل لها في موضوع روحي خطير الشأن عظيم الأهمية نظير خدمة الكلمة. ألا تؤمن أنك تحت التزام أن تسمعها وتنحني أمام سلطانها؟

وخلاصة ما قلناه هو أن الكتاب المقدس يعلن لنا مبدأين عظيمين اعترفت بهما الكنيسة الأولى وهما: (١) أن الرب يمنح عطايا نعمته – عطايا لا تحتاج إلى تداخل بشري. (٢) وأنه أعطى ترتيباً لاستعمال السلطان الرسولي في المواضع التي كانت تستدعي تداخل الإنسان: نظير تعيين الشيوخ بواسطة الرسل أو الأشخاص الذين أخذوا وصية من الرسل لينوبوا عنهم في حالات خاصة (ونعلم أنه لم يكن سوى تيموثاوس وتيطس من قاما بعمل أحد الرسل بتفويض شخصي لكل منهما من ذلك الرسول). وواضح أنه لا يوجد في زماننا الحاضر ولا نواب رسل نظير تيطس الذي كلفه الرسول ليعمل عملاً من أعماله الرسولية. ولذلك فلا يستطيع القارئ – إذا كان خاضعاً لكلمة الله – أن يتوقع وجود شيوخ في صورتهم الرسمية الكاملة. وإذا ادعى واحد بوجود مثل هؤلاء الشيوخ فإنه يعمل حسناً لو تكرم وأدلى لنا ببراهينه من الكتاب المقدس. على أن ما ذكرناه فيما سبق فيه الكفاية على ما أعتقد لدحض هذا الادعاء. فغير ممكن أن يجد القارئ في يومنا هذا أشخاصاً معينين بصفة رسمية قانونية لهذا المركز ما لم تتوفر السلطة القانونية الرسمية المعطاة من الرب لتعيين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أولئك الأشخاص. وأنني أهمس في آذان أعضاء الطوائف النصرانية وأقول لهم: إن هذه السلطة الضرورية لإقامة الشيوخ لن تتوفر لكم على الإطلاق وهذه هي نقطة الضعف في مذاهبكم الواهية. فلا رسل عندكم ولا نواب رسل مكلفين من قبلهم بتعيين الشيوخ. ولذلك فإن نظام التعيين عندكم ينهار عن آخره لافتقاره إلى السلطة الكافية لقانونية التعيين. وإلا فهل تجسرون أن تقولوا عن شيوخكم أن الروح القدس قد جعلهم أساقفة؟ إنكم مكابرون إذ ليس عندكم من يُخوّلِ له الكتاب المقدس حق التعيين أو الرسامة.

فماذا إذن؟ ألا يوجد بيننا أشخاص يليقون لأن يكونوا شيوخاً أو أساقفة إذا ما وجد الرسل الذين ينتخبونهم؟ الشكر لله: فإنه يوجد بيننا أشخاص غير قليلين يليقون لهذه الخدمة. فيندر أن تتأمل في إحدى جماعات أولاد الله بدون أن تسمع منهم عن بعض الأشخاص المتقدمين في السن، الذين يفتشون على الضالين، وينذرون الذين بلا ترتيب، ويعزون المنحنيين، وينصحون ويوبخون ويرشدون النفوس. أليس هؤلاء الأشخاص هم الذين يليقون لخدمة المشيخة ويرشدون النفوس. أليس هؤلاء الأشخاص هم الذين يليقون لخدمة المشيخة فيما لو توفرت السلطة القانونية التي تعينهم؟ أنا لا أقول أننا نسميهم شيوخاً أو قسوساً بل نعتبرهم جداً من أجل عملهم ونحبهم ونعترف بهم كمن يدبرون أخوتهم في الرب. وإنني أسألك أيها القارئ العزيز بكل وقار: هل تعترف بشخص يدبرك أنت وإخوتك؟ هل تعترف ببعض من خدام الرب الذين يرشدونكم؟ وهل تتصور أن مثل هذا الاعتراف بهم يعتبر تعدياً على مبادئ الله؟ إنني بالأحرى أحذرك من اقتباس بعض الأقوال التي تروق لك في كلمة الله مما تدين لها دون غيرها بالاحترام والخشوع. لأننا إذا تصرفنا هكذا نكون عاملين على تأسيس طائفة نظير الطوائف الموجودة حولنا. ومن الجهة الأخرى أحذرك من إدخال هذه الخلافة المزعومة التي لا نقرأ عنها قط في الكتاب المقدس، وعمن أجاز لنا – بدون الرجوع إلى كلمته – بأن نعترف بهذا أو ذاك كخليفة رسولي بواسطة تصديقنا لدعوى حصوله على الرسامة. وواضح أن تعيين الشيوخ، بغض النظر عن توفر حسن النية فيه، هو تقليد لما عمله الرسل. وما لم يكن هذا التعيين صادراً من سلطة قانونية فهو ليس فقط غير مصرح به بل هو اختلاس لسلطة قد فات أوانها وأصبحت الآن خاصة بالرب يسوع المسيح وحده. فالفرق بين المركز الصحيح والمركز الباطل في حالة الكنيسة الحاضرة ليس هو أن شخصاً قد تعين بصفة قانونية وأن آخر يعوزه ذلك التعيين القانوني، إذ ليس في الواقع من تتوفر فيه هذه السلطة في أيامنا الحاضرة. فهل تعترف أيها القارئ بالحاجة إلى هذا التعيين القانوني؟ أو أنك ممن يحاولون إخفاء هذه الحقيقة المذللة الواضحة وهي أنكم لا تملكون سلطة التعيين التي يُقرُّها الكتاب المقدس؟ ومع ذلك فأنتم سائرون في مكابرتكم تعينون من تريدون مع أن لا رسل عندكم ولا نواب رسل! فأي النظامين أضل سبيلاً وأكثر فوضى؟ أن نعمل كما تعملون أو أن نعترف بحقيقة فقرنا، ونتصرف أمام الله والناس معترفين بافتقارنا إلى رسل أو نواب رسل، وبأننا لا نستطيع – إزاء هذا الافتقار – أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نحصل على شيوخ منتَخَبين قانونياً ومعَيَّنين رسمياً؟ على أنني أكرر ما قلته وهو أنه يوجد بيننا أناس لهم مؤهلات الشيوخ الرسميين ويستطيعون أن يستخدموا هذه المؤهلات قانونياً فيما لم توفرت سلطة كافية لتعيينهم رسمياً. ثم أن المبدأ العام الذي يذكره لنا الكتاب في (رو ١٢) هو أن المدبر – أو المرشد بين القديسين – تحت التزام أن يمارس موهبته باجتهاد (كما أن المعلم أو الواعظ أو سائر أصحاب المواهب المذكورين في ذلك الإصحاح مسئولون أن يؤدوا خدماتهم المعينة لهم من الرب) حتى لو وُجِد في ظروف يكون فيها تعيينه رسمياً لتلك الخدمة أمراً غير ممكن.

الخضوع لكلمة الله

على أننا إذا خضعنا لكلمة الله فإننا في الحال نكتشف أن الكتاب المقدس قد أعد لنا حلا يتفق بالضرورة مع حالتنا الناقصة بالنسبة لعدم وجود شيوخ نظير أيام الرسل. وقد سمح الرب في حكمته أن تشعر الكنيسة الأولى بالفراغ في هذه الناحية لذلك ألهم الرسل أن يكتبوا رسائل للكنائس التي لم يوجد فيها شيوخ كرسائل تسالونيكي وكورنثوس مثلاً. وقد اشتهرت كنيسة كورنثوس بعدم ترتيبها، فكان وجود الشيوخ ينفع إزاء هذه الحالة. ومع ذلك فلا نجد أقل كلمة أو إشارة إلى الشيوخ في الرسالتين اللتين كتبهما الرسول لتلك الكنيسةو ولو أنه وجد وسطهم شيوخ أغما كان الرسول يناقشهم الحساب ويوبخهم على نقص اهتمامهم التقوى ونشاطهم في المناظرة على القديسين الذين هم بينهم. على أننا لا نجد أقل أثر لهذه الأفكار. وفوق ذلك نحن نعلم أن الرسل لم يكن من دأبهم أن يقيموا شيوخاً للتلاميذ هناك، كانت كنائس عمّرت مبلغاً من الزمان ساعد على إنماء بعض المؤهلات الروحية في أفراد من تلك الكنائس. أما تلك التي كان أفراد قديسيها حديثي العهد في الإيمان، فكان لا بد من مرور وقت كافي لكي يبرز الأكفاء لهذا العمل. وبالنسبة لوجود حالات مماثلة في كنائس أخرى نظير كورنثوس فمن النادر أن نقرأ عن الرسل أنهم انتخبوا أو عينوا شيوخاً.

ومن الجهة الأخرى لنا في آخر إصحاح من الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي تعليم مهم جداً للقديسين. فمع أن هذه الكنيسة كانت حديثة العهد نظير كورنثوس إلا أن القديسين كان عليهم أن يعرفوا الذين يتعبون بينهم. ومن الأقوال الآتية نرى أنه قد وُجِد بين القديسين في تسالونيكي من يتعبون في تدبير شؤونهم في حالة عدم وجود شيوخ. يقول الرسول "ثم نسألكم أيها الأخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب وينذرونكم وأن تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم" (١ تس ٥: ١٢، ١٣) فحصولنا على من يدبروننا في الرب لا يستدعي وجود شيوخ، أي أننا نستطيع أن نحصل على هؤلاء المدبرين في حالة عدم وجود شيوخ معينين قانونياً ولنا في العددين اللذين اقتبسناهما من (١ تس) ملاحظة يجب أن نلتفت إليها، إذ أنه لا يوجد بيننا شيوخ كما لم يكن بين التسالونيكيين في زمانهم. وينبغي أن نضع في قلوبنا ما في تلك الملاحظة من نصائح: لا يخفى أن بيننا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وحوالينا عدد غير قليل من الذين يعتقدون، لسوء التعليم الذي وصل إليهم، أنه ما لم تتوفر في التعيين المراسيم المعتادة فلا يمكنهم الحصول على من يدبرونهم في الرب – وهو اعتقاد فاسد. لقد كان الرسول، أو النائب الرسولي، عندما يعين أحد الأشخاص بصفة رسمية لخدمة التدبير، يعطي للكنيسة التي يعيَّن فيها ذلك الشخص ضمانة قاطعة بأهلية هذا المدبر – وبذلك لم تكن الأهمية المعطاة لأولئك الشيوخ الرسميين قليلة. واعتماد الرسول أو نائبه لمثل هؤلاء الأشخاص كان له قيمة عظيمة في الكنيسة ونتائج خطيرة بين المتمردين. على أن الله عرف (سبحانه وتعالى) كيف يعد تعليمات خاصة للجماعات التي لا توجد فيها مناظرة رسمية. ويا لغني رحمته التي أعدت هذه التعليمات للأوقات التي لا يوجد فيها شيوخ نظراً لعدم وجود رسل! ولكن لنلاحظ أن كنيسة كورنثوس كانت غنية بالمواهب في حين لم يوجد بينها شيوخ. ثم أن التسالونيكيين لا يظهر عليهم أنهم حصلوا، نظير إخوة كورنثوس، على قوات ظاهرة مختلفة في حين لم ترد كلمة واحدة في رسالتي بولس لهم يستفاد منها أنه وُجِد بينهم شيوخ أو أساقفة. ومع ذلك فقد كان في كورنثوس بيت استفانوس الذين خصصوا أنفسهم لخدمة القديسين. والرسول يطلب من الأخوة في كورنثوس أن يخضعوا لمثل هؤلاء ولكل من يعمل ويتعب كما يطلب أيضاً من التسالونيكيين أن يعرفوا الذين يتعبون بينهم ويدبرونهم في الرب وينذرونهم. وواضح أن قيام أولئك الأشخاص بعمل التدبير أو الإنذار لم يتوقف على كونهم تعينوا بواسطة الرسل رسمياً، الأمر الذي لم يكن مستطاعاً بالنسبة لحداثة عهدهم في الإيمان كما أسلفنا القول. لا شك أنه لو تُرِكت الفرصة للمسيحي ليوازن بين القوات الروحية الحقيقية وبين الخدمة الخارجية لما تردد لحظة في أيهما يختار. نعم إن الحصول على القوة الروحية مضافاً إليها التعيين الرسمي يكون حسناً جداً فيما لو شاء الرب أن يمنحهما معاً. على أننا نرى في تلك الأيام الأولى أن بعض الأفراد كانوا يباشرون بالصواب خدمة الرب (أي خدمة التدبير التي نتكلم عنها) قبل حصولهم على موافقة الرسول (أي عملية وضع اليد). ونجد أيضاً أن الرسول يشجع نظير هؤلاء ويسلمهم بحرارة لمحبة واعتبار القديسين قبل موافقته عليهم بل بالأحرى بدون الحصول على تلك الموافقة. وكم هو ثمين لنا لو أننا رجعنا إلى ذلك المبدأ وتصرفنا بمقتضاه.

وحتى في وسط قديسي كورنثوس وتسالونيكي برز بعض الأشخاص الذين أظهروا مقدرة روحية في إرشاد وتدبير أولئك القديسين وهذه هي خدمة الأشخاص الذين ذكر عنهم بوجوب خضوع المؤمنين لهم
(١ كو ١٦)، وفي تسالونيكي أن يقدروا من "يدبرونهم في الرب" (١ تس ٥). ومثل هؤلاء الأشخاص لم يتعبوا فقط – لأنه قد يوجد بعض الأفراد المشغولين في عمل الرب ولكنهم ليسوا مدبرين في الرب – بل أظهروا قوة لمواجهة الصعاب في الكنيسة، وللقضاء على كل ما من شأنه أن ينتقص النفوس، ولكي يرشدوا ويشجعوا الضعفاء، ويفسدوا على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العدو جهوده ومساعيه. فلم يخافوا أن يثقوا بالرب في أوقات التجربة والخطر ولذلك استخدمهم مانحاً إياهم قوة التمييز وشجاعة ليتصرفوا في ما قد لاحظوه. وقوة التمييز كانت إحدى المؤهلات التي أهلتهم لخدمة التدبير في الرب. وقد وُجِد أمثال هؤلاء في تسالونيكي كما في كورنثوس أيضاً. ومع ذلك فلا نجد أدنى إشارة، في الرسائل لهاتين الكنيستين، إلى أن أولئك الأشخاص قد تعينوا رسمياً كشيوخ بل على العكس نرى فيها دليلاً قوياً على عدم تعيين شيوخ في هاتين الكنيستين. وقد كانت العادة التي اتبعها الرسل في تعيين الشيوخ (كما قلنا سابقاً) هي أنه لا بد من مرور زمان كافي للكنائس حتى يبرز بينهم من لهم مؤهلات الشيوخ. وما كان الرسل يعينون إلا عند جولاتهم على الكنائس أو في حالة إرسال نائب رسولي من قبلهم ينتخب الأشخاص اللائقين ومن ثم يقلدهم هذه المهمة أمام الكنيسة التي لم يكن لأحد سوى المتمردين أن يعارض في إقامة أولئك الأشخاص.

حكمة الله

وما أكرم الله فيما أعده من سخائه لتسديد أعواز أولاده! وبما أنني سأتوسع بمشيئة الله في هذه النقطة عند المحاضرة السادسة لذلك لا يسعني إلا أن ألفت نظر القارئ العزيز إلى حكمة الله البعيدة المدى في مواجهة صعوبات هذه الأيام التي لا تتوفر لنا فيها سلطة قانونية تقوم بتعيين الشيوخ كما كان في عهد الرسل. وليس معنى عدم توفر هذه السلطة أن الله ترك أولاده بلا معين. كلا. فإن لهم نفس الرب مصدر العطايا، ونفس الروح مجري هذه العطايا. لذلك لا حاجة إلى تعديلات يدخلها البشر، أو اختراع جديد يبتدعونه بقصد مواجهة الصعوبات الموجودة في أيامنا الحاضرة، بل الحاجة هي أن نرجع بالإيمان إلى ما كان، ولا يزال، موافقاً لمشيئة الرب. وهذا مع إدراكنا لحقيقة حالة الكنيسة والمشاعر التي تليق بتلك الحالة.

قد رأينا فيما مضى القاعدة الثابتة وهي أن الرب وحده هو الذي يعطي مواهب الخدمة هذه، وأن عطاياه تتوقف على محبته لكنيسته وأمانته نحو قديسيه. فهل لطف الرب يسوع نحونا في هذه الأيام الأخيرة أقل ولو ذرة واحدة من لطفه السامي نحو الذين كانوا موجودين في يوم الخمسين؟ من ذا الذي يقول هذا أو يتصوره؟ ولا أنا أستطيع أن أشترك بعواطفي مع الذين ينظرون إلى الأيام الأولى بحنين ورغبة في عودتها كأنها هي التي أفسحت المجال للأمناء. لا شك أن هالة النعمة متألقة أحاطت بذلك المشهد الحلو الذي لأول مرة حل فيه الروح القدس على الناس ببساطة وقوة أدهشت الجميع. ولكن من هو المصدر، ومن أين جاءت تلك القوة التي أنتجت ثمرات ندهش لها كثيراً لاسيما حينما نتأمل في ما كانت عليه الأرض من صلابة وعقم وجفاف؟ أليس مصدرها الرب الذي يعمل الكل لأجل اسمه الكريم بواسطة الروح القدس لما أخذ مركزه اللائق به في المجد بعد أن قام من الأموات وأصبح يعطي الناس عطايا؟ أفليست نعمته كافية لهذه الأزمنة الصعبة كما كانت كافية عندما أظهر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نفسه في إعلانه السر الذي كان مكتوماً منذ الدهور، ألا يوجد في هذه الأزمنة قديسون يحتاجون إلى تكميل؟ ألا يوجد خدمة ينبغي أن تعمل، ألا يحتاج جسد المسيح إلى البنيان؟ فلا شك إذن في أن عطاياه لا تبطل إلا حينما يتم العمل وينتهي الجميع إلى وحدانية الإيمان. أما الأعداء الكثيرون، أما الشراك القانصة، أما الصعوبات المتزايدة، فلا تعمل إلا على إظهار المحبة الأمينة – محبة رب الجميع. فالكنيسة في هذه الأزمنة لها ملء البركة في المسيح كما كان لها في الزمان الغابر. فيا ليتنا نثق فيه أكثر فأكثر في كل ظرف.

فهل نستخف بالحق أو نشك في نعمة الرب ونخترع لأنفسنا ما يروق لنا، ونصنع لنا عجلاً ذهبياً كأننا لا نعرف ماذا يليق بذاك الذي صعد إلى العلاء؟ حاشا لأولاد الله أن يعملوا هكذا!! ولكن افرض أيها القارئ أنك اجتمعت مع بعض إخوتك المؤمنين كجماعة الله، ولا تعرفون من الذي سيتكلم أو يعظ أو يشكر أو يصلي. طبعاً حالتكم هذه يراها عدم الإيمان فوضى وتشويشاً. ولكنه من الجهل بمكان إذا نسيت ذاك الذي في الوسط، كما أنه من أسباب الفشل والخيبة إذا كنت لا أؤمن أن الرب في الوسط، أما إذا تأكدت أن ذاك الذي دُفِع له كل سلطان في السماء وعلى الأرض يحب الكنيسة ويدبرها، وأن الروح القدس ذاك الشخص الإلهي يسكن معنا وفينا، فمن أي شيء أخاف يا ترى؟ وإن كان هذا الموقف يليق بأحد القديسين فإنه يليق بالجميع. أما عن نفسي فلا أجرؤ لحظة واحدة أن أستند على أساس لا يضم جميع أفراد كنيسة الله، ولا يسعى نحو جمع قديسي الله ليضمهم معاً. ولا ينبغي أن ننسى وجود حالات استثنائية لا يجوز فيها قبول أو ضم أشخاص واقعين في شر يستلزم قطعهم (استبعادهم) نظير فساد الآداب والتعليم الفاسد وما أشبه.

أما إذا عرفت أن هذا هو الأساس الكتابي الذي تقوم عليه الكنيسة، وأنه منذ البداءة لم يوجد أساس آخر تعرف بمقتضاه الرسل القديسون، فينبغي أن أسأل نفسي: هل أنا سائر بموجب هذا الأساس؟ إذا كنت مدعواً من الرب لأتعب في الكلمة والتعليم فإن الرب الذي دعاني هو الذي يريني كيف أخدم فهو يفتح الباب الذي لن يقدر أحد أن يغلقه، ويغلق ولا أحد يقدر أن يفتح. وهو يوجد طريقاً لأضعف خادم من خدامه ويعطيه الشجاعة الكافية والإرشاد الكامل فيما لو أراد أن يخدمه. فعلينا ألا نشك مطلقاً في أمانته.

ولكن قد يسأل واحد: ألا يجوز أن يوجد في كنيسة واحدة عدة أشخاص حصلوا على مواهب؟ الجواب: يا حبذا لو ازداد أمثال هؤلاء فإنهم ينفعون كثيراً. فإذا وُجِد في كنيسة واحدة خمسة أو عشرة من أصحاب المواهب فلنشكر الرب لأن ميدان الخدمة متسعاً للجميع. وليحمنا الله من أن نوافق على بدعة تفرد كل خادم بقطيع خاص لنفسه!!! أليست هذه البدعة سُبَّة وعارا في جبين الذين يروجون لها وجبين ذلك الذي يسمونه قطيعاً خاصاً بهذا الخادم دون ذاك؟ فلا يقدر أحد أن يتصرف حسناً – لا بل ولا يعرف أن يتصرف حسناً. ما دام لا يعتقد في أعماق نفسه بأن القديسين هم "قطيع الله". ولكنه واضح أن الناس

 All rights reserved © 2008-2018

إذا ما أهملوا أساس الكنيسة الإلهي فلا يتكلمون عن قطيع الله بل ترى بعضهم يقول "هذا قطيعي" ويقول آخر "ذاك قطيعك" وقد كان على الدوام مجال فسيح لممارسة مواهب الرب مهما كان وكيفما كان أصحاب المواهب الكثيرون. كما أنه من الغرابة بمكان أن يخشى أحد أصحاب المواهب أنه سيأتي وقت يُستَغنى فيه عن خدمته لأنه زائد عن حاجة العمل.

وحتى أصل إلى نهاية المحاضرة التي أشعر أن الكلام قد طال فيها أقول: أنني قد اجتهدت فيما مضى أن أوضح الفرق الجوهري بين المواهب والوظائف فقد رأينا أن المواهب صادرة من المسيح في الأعالي، وأن الوظائف فلا وجود لها الآن لعدم توفر السلطة القانونية لتعيين الخدام. وكل ما يجريه الناس في مسألة التعيين في هذه الأيام إنما هو تقليد دنيء – مملوء بالمكابرة – لما كان يعمله الرسل أو نوابهم. أما إذا كنت تحب الرب أيها القارئ وتحترم الترتيب الإلهي فإنك تحت التزام باسم الرب أن تعترف بجميع أصحاب المواهب بكيفية لم تتعود عليها. نعم- وأن تعترف بهم سراً وجهراً في العمل الذي أقامهم فيه الرب الذي دعاهم. فإذا كانت الموهبة صغيرة فيجب أن تعترف بالرب في تلك الموهبة من كل قلبك كما لو كانت عظيمة. وإذا كانت موهبة عظيمة فينبغي أن تعترف بها بكل تواضع ووداعة كاعترافك بالمواهب الصغيرة ومن الجهة الأخرى لا تقلد أنت وإخوتك ما كان يعمله الرسل. واحترسوا من أن تدّعوا عمل ما لا يجب عمله إذا لم تتوافر لديكم السلطة الرسولية، متذكرين في بالكم وقلوبكم أن تعيين الشمامسة أو انتخاب الشيوخ لم يسمح بها الكتاب المقدس ما لم تتوفر سلطة مباشرة أو غير مباشرة من الرسل – الأمر الذي لا وجود له في زماننا هذا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com